نسيم البوسفور

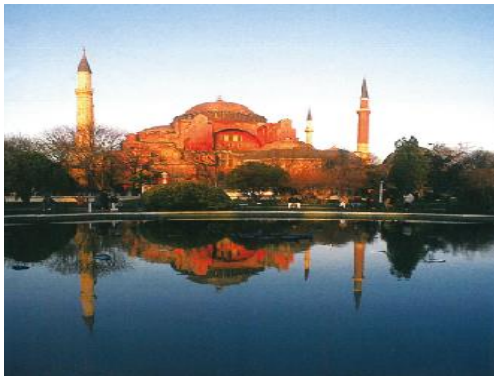

مسجد أيا صوفيا

الكتاب	نسيم البوسفور
المؤلف	عباس الجراري
إعداد ودراسة	بديعة لفضايلي
الناشر	منشورات النادي الجراري
الإيداع القانوني	2020MO1972
ردمك	978-9920-9738-6-1
الطبعة الأولى	1441هـ - 2020 م

تخليدا للذكرى التسعين لتأسيس النادي الجراري
2020-1930

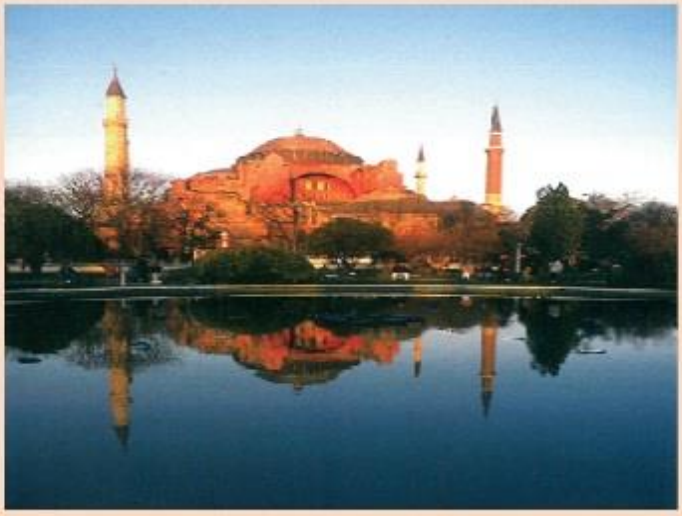

نسيم البوسفور

رحلة
عباس الجراري

إعداد ودراسة
د. بديعة لفضايلي

منشورات النادي الجراري رقم 85

إهـــداء

إلى روح العلامة محمد بن تاويت الطنجي
رحمه الله وأكرم مثواه

عباس الجراري

بسم الله الرحمن الرحيم

مباشرة بعد أن ناقشت الرسالة التي كنت أدرت موضوعها على **"الشاعر أبي الربيع سليمان الموحدي؛ حياته وشعره وتحقيق ديوانه"**، والتي نلت بها درجة الماجستير من كلية آداب جامعة القاهرة عام 1965 تحت إشراف الأستاذ المرحوم الدكتور عبد العزيز الأهواني (تـ 1980) وأنا إذ ذاك سكرتير بسفارة المغرب بالقاهرة؛ سارعت إلى تسجيل موضوع لأطروحة الدكتوراه **"الزجل في المغرب: القصيدة"** تحت إشراف الأستاذ نفسه أكرم الله مثواه. وذلك قبل أن أعود إلى المغرب، بأمر قد أفصل الحديث عنه لدى تحرير سيرتي الذاتية وما عرفته من منعرجات.

ثم كان أن قدمت استقالتي من العمل بوزارة الشؤون الخارجية لألتحق بهيئة التدريس بكلية آداب جامعة محمد الخامس، وكانت يومئذ هي كلية الآداب الوحيدة في المغرب ـ الجامعة التي كانت بدورها وحيدة ـ وإن فصلت عنها شعبة اللغة العربية لتحول إلى مدينة فاس التي اضطرتني ظروف العمل إلى السكنى بها مدة عامين.

وكانت طبيعة موضوع أطروحتي تقتضي أن أنتقل من مدينة إلى أخرى للاتصال بأشياخ الملحون ـ شعراء ومنشدين ومهتمين عموما- سعيا إلى الوقوف على بعض النصوص الشعرية التي كان يُبخل بها أو المعلومات التاريخية؛ ولاسيما ما يتصل بالأعلام وما إليها مما قد يسعفني في دراسة جامعية لهذا الموضوع البكر الذي أثار لي البحث فيه مشاكل عديدة ليس هذا مجال الحديث عنها.

وتحقيقا لهذا الهدف كنت أسافر كذلك خارج المغرب، على نحو رحلاتي المتكررة إلى إسبانيا للاطلاع على ما في بعض مكتباتها، ولاسيما الإسكوريال وما تضم من وثائق ومخطوطات، وكذا للاتصال ببعض المستعربين المعنيين.

واستمر العمل عندي على هذا النحو – بعراقيله ومثبطاته التي ستفضي فيما بعد إلى تشطيب اسمي من هيئة التدريس والوظيفة العمومية ـ إلى أن اقترب صيف 1968، ومعه اقترب موعد العطلة الصيفية، فقررت أن أقضي بقية هذا العام وجزء من 1969 في القاهرة لإتمام

البحث وما تتطلبه الإجراءات اللازمة من اتصال بالأستاذ المشرف ورقن الأطروحة والاستعداد لمناقشتها. وكانت النية أن أتوقف في طريقي إلى القاهرة بمدينة إسطنبول الغنية مكتباتها العديدة بما تزخر به من مخطوطات قد تسعفني في بعض مكملات البحث.

وحدث في هذه الفترة أن زار وفد من مسؤولي وزارة التعليم العالي التركي فاسا للنظر في إمكانية التعاون مع الجامعة المغربية والاتصال بأساتذتها. وحين علم رئيس الوفد بنيتي التوقف بإسطنبول في طريقي للقاهرة، اقترح علي تحقيق ذلك بمنحة جامعية تخصصها الحكومة التركية للأساتذة الباحثين. وكان أن تم الاتفاق على ذلك، فكانت هذه الرحلة التي كتبتها قبل خمسين عاما، وأنا ما أزال في أول الطريق، والتي جاءت على شكل رسائل كنت أبعثها يومئذ بانتظام إلى زوجتي حميدة، وغيرها إلى بنتي ألوف وعلا رحمها الله (تـ1993) والتي أتاحت لي الوقوف على بعض ما في تركيا من خزائن المخطوطات، وكذا على ما تزخر به العاصمة إسطنبول من معالم وآثار. وقد أعدتها للنشر مع دراسة دقيقة وعميقة عنها الأستاذة الجليلة الدكتورة بديعة لفضايلي التي أعرف مدى قدرتها على البحث العلمي وكبير تمكنها من أدواته، فلها مني خالص الشكر وصادق التقدير. ولعلي أن أوجه فائق التنويه والثناء للإخوة الأتراك المسؤولين عن التعليم العالي والقائمين على المكتبات والساهرين على ما تحتفظ به من ذخائر و نفائس. وهو ما لا يستغرب من شعب عريق ودولة عظيمة.

والله من وراء القصد.

عباس الجراري

الرباط في 6 جمادى الثانية 1441هـ

الموافق فاتح فبراير 2020 م

الدراسة

المقـــدمـــة

من ثنايا الحروف المتناثرة الشجية، وخلل دفق الكلمات الآسرة الحنية ، نرسم وجودا بهيا يضاهينا ، يحايث برفق تمثلنا ،نُشيد كونا لغويا يضارعنا. فتنسرب اللغة وهي تؤثث فضاء الحكي، تقفو تفاصيل الأحداث تعدو خلف حكايا نثبتها عبر حبر الكتابة الآسر ، تمارس لعبة السبي حين تخطفها من سبيل الزمن المارق لتضعها في خدر الخلود. وبين الترسل والترحل والذاكرة تمسك الضمائر بتلابيب القافلة ويغدو السرد حاذي الركب الأمين .

تلبسنا اللغة حين تقبض برفق على تلابيب ذواتنا وفي نسيم البوسفور لغة الهمس تورق على فنن الاشتياق ، وأجراس الحروف تقرع على وتر الفراق ، وهديل الورقاء يؤرق لواعج الخَفَّاق، فإذا هي لوعة الارتحال والالتحاق ، ترنو في خفر يضمخها عطر التوق إلى العناق.

ومثلما تبسم زهرة على فنن، أو تبرعم سوسنة على بنان غصن، انتابني ذات الازدهاء وقد غمرتني انتعاشة قطرة طل ندية ، حينما منحني عميد الأدب المغربي الدكتور عباس الجراري سفره الرحلي المخطوط **"نسيم البوسفور"**، كيما ألامس خباياه وأكشف خفاياه وأحمله من ظل التواري إلى مملكة العلن المحفوفة بالإظهار. ولعل مبعث فخري بذلك مرده إلى علتين اثنتين:

ـ أولاهما أنه بهذا الفعل ذي الأفضال أعلن اختياره لي، والاختيار انتقاء ومنح لملمح ثقة لامرئ تم اصطفاؤه وجرى تخصيصه دونا عن الآخرين بهذه الحظوة، ولست أحسب إلا أنني سأشمر عن ساعد الجد كي أبين له عن عزمي خوض غمار هذا المؤلف ومقارعة دلالاته ووطإ سهوبه. وعساني بهذا أوفه ما يقتضي صنيعه من ثناء لا ينضب ومديح لا ينقضي.

ـ وثانيهما : أنني وأنا في سبيل المروق من قراءة كتابات هذا العلامة الفذ، ذات الصلة بالنقد والدراسة والتقعيد والتأصيل، إلى امتشاق جادة الإمساك بتلابيب متونه الإبداعية ذات

السمت الخلاق ،سأنال حظوة دراسة أول نص عن محكي السفر خطه الكاتب صيف 1968 إبان رحلته إلى تركيا والتي دامت زهاء شهر حذاء البوسفور .

وليس يخفى أن ارتشافنا من حياض المناهل الإبداعية الثرة للدكتور عباس الجراري والتي ظلت متوارية لسنوات ليست باليسيرة، إزاء انسراب حبر يراعه الدافق في تدبيج المتون وتحبير الدراسات التي أماطت اللثام عن الأدب المغربي فصيحه ومعربه، أبان لنا عما يمتلكه هدا الأديب من باع طويل في المنظوم والمنثور كليهما. وإذا كنا سنة 2017 قد حظينا بتلقف ديوانه الشعري ذي الجزءين والذي أعده وقدم له و نسقه الدكتور محمد احميدة تحت عنوان **"من ديوان عباس الجراري"** ، فإن سنة 2018 أينعت قطوفها بالانعطاف صوب كتاباته النثرية ذات التميز، حيث تم نشر رحلته الموسومة ب **"ثلاثون يوما في الولايات المتحدة الأمريكية"** والتي أعدها و قدم لها الدكتور مصطفى الجوهري.

ولعل اضطلاعي بإعداد ودراسة ونشر رحلة نسيم البوسفور، إنما مرده إلى نية الدكتور عباس الجراري في نقل ما دونه ضمن هذا الجنس الأدبي القائم على محكي السفر من سراديب المخطوط إلى ضياء المنشور، حيث تزخر الخزانة العباسية بنصوص رحليه لازالت مكتوبة بخط يراعه ، ضمنها الكاتب مشاهداته وانطباعاته وأخباره أثناء أسفاره المتعددة، ونذكر منها :

- **"الوفد"** وهي رحلة حجية قام بها سنة 1402ه - م 1982.

- رحلة **"قمة الغمة "**.

- أمريـــكا في الذكرى الأولى لأحـــداث شتنبر2002 **.**(رحلة ثانية للولايات المتحدة الامريكية).

- لقطات أمريكية غشت - شتنبر 2003 **.** (رحلة ثالثة للولايات المتحدة الامريكية).

ومن شأن هذا الصنيع - ولاريب - أن يرفد الكتابة الرحلية المغربية بمظان علية تثرى آفاق مقاربة هذا اللون الأدبي ذي المزايا الوفيرة .

يمتلك المكان سطوة في هذه الكتابة ذات الحنايا الموضعية والتي تقوم في أساسها على فرضية التنقل وحركية الارتحال وتغيير المواضع إن على السمت الواقعي أو المنحى

التخييلي، وبتحول هذا الفعل الحدثي إلى معطى لفظي يكتسب شرعية النسب إلى جنس الرحلة ككتابة تؤسس ركائزها على الحديث عن السفر. ولعل يم الأدب المغربي بات زاخرا بمتون الرحلات الحجية والسفارية والسياحية والمعرفية والزيارية والتي أينعت بمدارك ومعارف ذات عراقة .

ولا غرو أن الإمبراطورية العثمانية غدت مكانا أثيرا لدى مرتادي الآفاق مند بعيد الأمد ، حيث يمم الرحالة شطر حواضرها ومآثرها غير هيابين لها ،وإذا بات ابن فضلان في **"رسالته إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة"**من أقدم من تحدث عنها قائلا :" **ثم أوغلنا في بلاد الترك لا نلوي على شيئ بغير جبل ...ولقد لقينا من الضر والجهد والبرد الشديد...وأشرفنا على تلف الانفس،"**[1] فلم يفت ابن بطوطة في رحلته " **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"**أن يورد زيارته إلى القسطنطينية وانبهاره بمعالمها مفصحا: **"وهي متناهية في الكبر ، منقسمة بقسمين بينهما مد وجزر ، على شكل وادي سلا من بلاد المغرب ...وأحد القسمين من المدينة اسمه اصطنبول"**[2].وقد أبدع الرحالة المغاربة في ما تلا ذلك نصوصا أتت في أغلبها تدوينا لرحلات سفارية قاموا بها ، مثل رحلة التمكروتي **النفحة المسكية في السفارة التركية** في عهد المنصور الذهبي، والتي يقول في مقدمتها : **"فإني أذكر في هذا الكتاب ما رأيته واستفدته في سفرتي التي توجهت فيها الى بلاد الترك وسميت هذه الرحلة النفحة المسكية في السفارة التركية "**،[3] و سيكتب ابو القاسم الزياني رحلته **الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا**، بعد أن أوفد من طرف المولى سليمان إلى إسطنبول محددا**:" وفي عام مائتين وألف وجهني أمير المؤمنين بهدية للسلطان العثماني لإسطنبول وهي الرحلة الثانية من المغرب الى المشرق ،"**[4]

---

[1]- رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة، احمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد،تحقيق الدكتور سامي الدهان، مطبوعات المجمع العلمي العربي دمشق ،طبعة 1959،ص:89

[2]- تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، محمد بن عبد الله بن محمد بن ابرهيم ابن بطوطة ، قدم له وحققه :الشيخ محمد عبد المنعم العريان ،راجعه وأعد فهارسه :الأستاذ مصطفى القصاص، دار إحياء العلوم ، الطبعة الأولى :1987 ، ج:1 ، ص 357

[3]- النفحة المسكية في السفارة التركية ، علي بن محمد التمكروتي ،تقديم وتحقيق :عبد اللطيف الشادلي ، المطبعة الملكية الرباط، 2002 ،ص:20 .

[4]- الترجمانة الكبرى في اخبار المعمور برا وبحرا ،أو القاسم الزياني ،حققه وعلق عليه عبد الكريم الفيلالي طبعة 1991 ،دار المعرفة للنشر والتوزيع، ص: 65

وسينهج السفير المكناسي ذات السمت قائلا : **"فعيننا سيدنا ومولانا أمير المومنين ...أبو عبد الله المنصور بالله سيدي محمد بن مولانا عبد الله ...وأمرنا أدام الله علاه بالتوجه أولا الى القسطنطينية العظمى".**[5]

وفضلا عن هذه الرحلات التي سيجتها البنود الرسمية ،ووثقت لحد كبير لعلاقة المغرب مع هذه الإمبراطورية العتيدة ، نصادف نصوصا رحلية إلى تركيا الحديثة دبجها الرحالة أثناء زيارتهم لها بهدف السياحة والبحث المعرفي ومنها "**الرحلة المشرقية لمحمد بن يحيى الصقلي** "والتي يقول في مقدمتها : **"أكتب هذه الكلمة وأنا على أهبة النزوح عن الوطن ...قاصدا الديار الشرقية مصر وسوريا وفلسطين وتركيا ... قصد التدبر والاستطلاع... استجلابا لترويح النفس وترويضها وربط أواصر المعاملة مع أهم المطابع والمكاتب والتنقيب عن نفائس الكتب الخطية والمطبوعات المهمة"**[6]،ثم يصرح وهو يهم بمبارحتها: **"ويوم الجمعة سادس عشر نوفمبر بارحنا الأستانة ممتطين قطار سكة حديد الاناضول التاسعة صباحا."**[7]

ولاريب أن الرحلة كانت دوما الجنس الأدبي الأكثر ارتباطا بالسفر، والكتابة الأشد توقا إلى تأسيس وعي معرفي بالأماكن والأشخاص جميعا، لذلك وهي تجوس ممالك الأسفار فتجلي المخاطر وتنقل الأخبار، كانت الأقدر على التوثيق والتقييد وتمثل العابر ونقله من الشفهي المارق الى المدون المكتوب ، ومن تلابيب سردها أينعت شجرة الحكايا ،فأورقت قصا وأزهرت نصا وطرحت رطبا جنيا .

[5]- رحلة المكناسي إحراز المحلى والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب محمد بن عبد الوهاب المكناسي ,حققها وقدم لها :محمد بو كبوط ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، الطبعة الأولى :2003

[6]- الرحلة المشرقية لمحمد بن يحيى الصقلي دراسة وتخريج د مصطفى الغاشي ، مؤسسة الانتشار العربي ، الطبعة الأولى2015، ص:29 .

[7]- الرحلة المشرقية ،ص:73

تمـــهـــيد

الكتابة حفر على جداريات الزمن ، نقش على صخر الذاكرة ، غرس لبذور التأصيل في أرض التذكر الغير يباب ، والرحلة مروق من رسوخ المكان توثب نحو مواضع تسمها المغايرة ، رُنُوّ ُصوب يم المغامرة الذي يفتقد إلى الشطآن ، سفر محفوف برهبة المجهول تمتطي فيه النفس صهوة المغامرة وينسل الحرف من بين براثن الأبجدية ليحول المجهول إلى معلوم ويفصل بوشمه على الصفحة بين النسيان والتذكر ، حين تخط الكلمات برزخا بين المفكر فيه المُهَدَّدِ بالزوال وبين المُدَوَّنِ الذي يحفه الخلود.

ولا جرم أن مقاربة نص **"نسيم البوسفور"** سوف تدنينا من كتابته التي تؤسس سنن الحكي داخله على بعدين اثنين: يرتبط أحدهما بالحيز المكاني ذي الثبات الموضعي ، ويمت الآخر بصلة إلى الذات المبدعة ومروياتها الوثيقة الصلة بها ،ومن ثم نلحظها وهي ترتقي مدارج البوح الحثيث والذي قد ينفلت من عقال التكتم الحَيِيّ حينا ليصل إلى ذرى التصريح الجلي أحيانا، لمّا يغدو التدوين نهجا والتقييد نمطا والتسجيل مسلكا للتوثيق والتدبيج والسرد، يمنحنا بموجبه الأديب متنا أدبيا مُشَيَّدا على وقائع معطى واقعي فعلي الحدوث .

تنسرب خيوط الحكي داخل هذا النص الذي انسرح على مدى خمس وأربعين صفحة مدبجا بخط يد مؤلفه ، من الحروف المشكلة لعنوانه ، إذ تبدو آصرة الارتباط بالمكان مؤشرا على الرحلة التي قام بها الكاتب إلى تركيا صيف سنة 1968 من أجل مرمى ثقافي حركته الرغبة في استقصاء تخوم المادة العلمية التي سيؤسس عليها أطروحته حول،**"الزجل في المغرب "**[8] والتي سجلها بجامعة القاهرة تحت إشراف الدكتور عبد العزيز الأهواني[9] ،مع ما يستوجبه ذلك من سبر لأغوار المتون واستبطان لنفائس المخطوطات التي تزين مكتبات هذا البلد العريق، يقول الكاتب:

---

[8]- نشرت هذه الأطروحة تحت عنوان: القصيدة : الزجل في المغرب مطبعة الأمنية 1970.

[9]- عبد العزيز الأهواني (1917-1980)مفكر وباحث مصري ، كان أستاذا بمعهد الدراسات العربية بجامعة الدول العربية ثم بجامعة القاهرة ،ألف جملة من الكتب منها : "أزمة الوحدة العربية "،"ابن سناء الملك ومشكلة العقم والابتكار في الشعر"، "مختارات من الشعر الاسباني" . تتمة الأعلام للزركلي ، محمد خير رمضان يوسف ،دار ابن حزم ،الطبعة الثانية 2003،ج:1 ،ص: 298.

"فكانت هذه الرحلة ... والتي أتاحت لي الوقوف على بعض ما في تركيا من خزائن المخطوطات، وكذا على ما تزخر به العاصمة إسطنبول من معالم وآثار"[10]، وإبان هذه الزيارة التي لم تَعْدُ ثلاثين يوما ،دبج تفاصيل الأحداث بمداد القص ، وبين الاستكشاف والإعجاب ، وبين الاغتراب والحنين، وبين الضجر والاستمتاع ، توالت التفاصيل ملامسة عبق الأمكنة متوهجة بصدى الأزمنة بواقعية صارت معها العين المبصرة شاهدة على ماجرى لاقطة لدقائق الأمور، متابعة لتطوراتها، ولم تفوت أدق ما حصل ، وكأنها بذلك تغالب النسيان و تحاكي الواقعي بالمكتوب.

ومن غرفته بفندق بإسطنبول في مستهل ليلة من شهر غشت القائظ، فاضت مدامع التذكر من أسلة يراعه على بياض القرطاس المقفر، فبات السرد استرجاعي المنحى وغدا الزمن ارتدادي السمت، حين عوَّل على تتبع مسار انتقاله من مطار الدار البيضاء مكلوما بوجع الفراق، عبر جنيف كفضاء عبور، قبل أن تستقر به عصا الترحال بتركيا ويتنشق بحذرٍ الغريب نسيم البوسفور.

ومن ثم كان له من الإبانة ما استطاع به أن يمتشق صهوة السرد ليمنحنا حكاية أطرها زمان ومكان بعينهما ،و عبرهما كان التنقل بين اسطنبول وبورصة بغية بلوغ المرمى المعرفي أولا وذلك باستكناه ما حوته مكتباتهما من مخطوط ومطبوع ، ليعرج بعدها على تحقيق المأرب الاستكشافي الاستطلاعي عبر سعيه لزيارة المعالم التاريخية والمآثر السياحية و المزارات الدينية يقفو حناياها ويوثق بصددها ما يدنينا من بعض سماتها ومزاياها ، كل ذلك في تساوق تام مع نهج ذاتي ارتضاه، أتاح لنا ملامسة ما كابده من ضنك الغربة ولوعة الاشتياق إلى الأهل والولد ،مع ما بدا من منغصات أرهقت كاهله وأضنته ،وسوف تتنامى الأحداث وتتوالى الوقائع ،وتترى الملاحظات وتشتد التقييدات لتبلغ بنا متم هذه الرحلة بنفاد الزمن الذي قيض لها ، والذي وفق خلاله الكاتب في تحقيق ما أتى من أجله ، وانتهاؤها بات إيذانا ببدء رحلة أخرى حط لها الكاتب عصا ه في القاهرة.

منذ البدء ثمة ولا ريب تحديد هوية بادي المعالم انضوى بموجبه هذا المتن ضمن زمرة جنس أدبي عريق هو "أدب الرحلة"، إذ يمنحنا التجنيس شهادة ميلاد بينة تثبت اندراجه ضمن محكي

[10]- مقدمة المؤلف (حرف ز) .

السفر، كما يعبر ذلك التحديد عينه عن مقصدية الكاتب في أن يوجه ذهن المتلقي صوب استقبال هذا النص كتدوين لسفر وتقييد لتنقل ، ومن ثم يغدو لزاما علينا أن نرسم أفق انتظار يكون التنقل والارتحال أشد تيماته بروزا.

ولاريب أن المؤلّف إذ يحدد جنس عمله، فإنما يسعى عن تبصر لأن يؤثث لمعرفة وثوقية لدى متقبل خطابه حين يقدم مُنتجَه الأدبي على هذه الشاكلة ، وقد استل له شهادة ميلاد تُثبت بنوَّته لهذا السمت من الكتابة .ومن ثم يقع القارئ في أُولى شراك التلقي بعد أن تنطبع لديه صورة ذهنية عما قد يتضمنه النص من دلالات فعلية ،ك**"مناورة من مؤلف لرهن طريقة القراءة".**[11]

وعلى هذا السمت تنبري العتبات النصية كنصوص موازية ومؤشرات ذات بعد مقصدي، كيما تعضد مسعى المؤلف الطامح إلى الإفصاح القبلي عما سيكتبه، ويكاد العنوان بوصفه فاتحة للقول وعبارة تصديرية استهلالية مُؤشِّرة ، وأول ما تجوسه حدقات المتلقي على غلاف الكتاب، أن يعد أشد الدلالات تركيزا، لأنه ذو حمولة تعريفية موجزة لدلالات النص المسهبة ، ولذلك غالبا ما يكون آخر ما يبدعه منتج الخطاب ويستدعي منه جهدا ليس باليسير حتى يشحنه بما يلزم من معاني ، كي يؤسس وشائج تواصل بصري نافذ مع المتلقي ترتسم بموجبه صورة ذهنية سريعة لديه ،ومطابقة ـ إن أمكن ـ للمعنى الذي يرمي إليه المرسِل.

ولاجرم أن عنوانا" **كنسيم البوسفور"** كان كافيا كي يعضد غاية الكاتب التجنيسية حين أقدم على جعل الحيز المكاني مؤشرا لفظيا على محتوى نصه سيما وأن الرحلة هي انتقال واقعي[12] في الفضاء واختراق فعلي للمكان، وسفر حقيقي لوجهة بذاتها ، قبل أن يتشكل إبداعا مكتوبا وخطابا موجودا .حيث يغدو العنوان **"صلة قائمة بين مقاصد المرسل ، وتجلياتها الدلالية في العمل".**[13]يقول المؤلف **:" وقد جعلت لها عنوانا دالا هو :نسيم البوسفور"**[14]

---

[11]ـ الأجناس الأدبية ، إيف ستالوني ، ترجمة محمد الزكراوي ،مركز دراسات الوحدة العربية ،الطبعة الأولى: 2014، ص:12.

[12]ـ قسم المنظرو ن الرحلات إلى واقعية مثل الرحلات الحجية والسفارية والسياحية والمعرفية ،وأخرى متخيلة مثل : الرحلة الأخروية لابن المؤقت ورسالة الغفران لأبي العلاء المعري والتوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي وغيرها .

[13]ـ العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي، محمد فكري الجزار، الهيئة المصرية العامة للكتاب مصر، بدون طبعة ،1998، ص: 9 .

[14]ـ "هكذا عرفت العلامة المرحوم محمد بن تاويت الطنجي"، عباس الجراري، عرض قدم للندوة العالمية التي أقامتها كلية العلوم الدينية بجامعة مرمرة، للأستاذ محمد بن تاويت الطنجي خلال 13- 14 أكتوبر 2011 في أنقرة تركيا، تم نشرها في

وقد أتى على ذكر البوسفور[15] في رحلته موضحا " **أن إسطنبول مقسمة إلى قسمين، بعضها في القارة الأوربية والبعض الآخر في القارة الأسيوية، يفصل بينهما خليج البوسفور واصلا بين البحر الأسود في الشمال وبحر مَرْمَرا في الجنوب. والمواصلات بين القارتين تتم بواسطة بواخر متوسطة تمخر عباب البوسفور في كل وقت. وقد سبق أن عبرت إلى هذه الضفة مرتين ذهبت فيهما للمعهد الإسلامي"[16]**. كما تنبه إلى وجود بعض المساجد التي تطل عليه قائلا وهو يتحدث عن قصر ضولمباتشي:"**وبجانب القصر جامع في غاية الروعة والجمال بقطع الرخام التي تزين جدرانه وبنوافذه وشكلها وزجاجها، وهو على صغره تحفة نادرة. وليس هذا هو الجامع الوحيد الذي يشرف على البوسفور وإنما يوجد جامعان آخران وربما ثلاثة. "**[17]وإذا كان البوسفور قد ذكر في العنوان من خلال ما نسب إليه وهو النسيم أي الريح اللينة التي لا تحرك شذرا ولا تعفي أثرا ،فلن أجانب الصواب إن أفصحت أن الرحالة صادف جوا مكفهرا "**منذ غادرت الفندق صباحاً في مطر غزير لم أعد إليه إلا منذ ربع ساعة"**[18]ممطرا :"**الأسبوع الثاني كان غاية في الحر والثقل، وإن كان المؤمل أن يتلطف الطقس بعد الأمطار الغزيرة التي نزلت عشية أمس والتي لم نألفها إلا في فصل الشتاء وأيام "الليالي" ولست أنوي إلا أن أرحل فور انتهائي من العمل خاصة وأن الجو الطبيعي أصبح لا يطاق.**"[19]يزري بالزائر ويؤرجحه بين قيظ خانق وانهمار الغيث في شهر غشت الصيفي الجاف عادة :"**سأستغل الأيام الباقية لي في إسطنبول لأزور أهم المتاحف والقصور ما لم يظل الجو قاسياً كما هو الآن حيث البرد والرعد والبرق والريح**

كتاب "مع المعاصرين أسماء وآثار في الذاكرة وفي القلب،" عباس الجراري، جمع خديجة العسري ، منشورات النادي الجراري رقم :82، الطبعة الاولى 2019، ج:4، ص:80.

[15]- "مضيق وممر مائى، طوله 32كم، واتساعه 549 كم فى أضيق جزء منه. يفصل تركيا الأوربية عن تركيا الآسيوية، ويصل البحرالأسود ببحر مرمرة. تقع إستانبول على كلا ساحليه. ويبلغ عرضه عند مدخله نحو (1500) مترًا، وتمتد على شاطئيه سلسلة من القرى المتجاورة أو من ضواحى مدينة إستانبول، أهمها:سكودار التى تقابل إستانبول. ويُعد البوسفور طريقًا استراتيجيًا، ارتبط تاريخه بغزو دارا ملك الفرس لليونان، وفتح محمد الثانى للقسطنطينية، ومحاولة الحلفاء الاستيلاء على إستانبول إبان الحرب العالمية الأولى، وقد نصت معاهدة مونترو عام 1936 م على حرية الملاحة المدنية فى البوسفور أيام السلم،ومنع مرور سفن الدول المتحاربة فى حالة الحرب وحياد تركيا." كتاب الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي، المكتبة الشاملة: www .al-maktaba.org book . ج:11،ص:434.

[16]- نسيم البوسفور ،ص:154.

[17]- نفسه، ص:199.

[18]- نفسه،ص: 150.

[19]- نفسه،ص:144.

والمطر الغزير،وكأننا في عز أيام الشتاء، وقد ينقلب بعد هذا حاراً لا يطاق كما كان في الأسبوع المنصرم والذي قبله."[20] فأي نسيم بعد هذا ؟ **! .**

بيد أن بعض العناوين قد تكون مخاتلة، فتخدعنا حين تضللنا بمعانيها التي تظهر خلاف ما تضمر أحيانا ،لكن عنوانا على هذا السمت سعى ـ حتما ـ لأن يؤسس لمعرفة وثوقيه لما سيحويه الكتاب الذي أعلن عن مكان الحدث وفضاء الحكي حين غدا البوسفور مؤشرا على تركيا فتمكن بذلك من أن **"يقدم لنا معونة كبرى لضبط انسجام النص وفهم ما غمض منه ، إذ هو المحرر الذي يتوالد ويتنامى ويعيد إنتاج نفسه ".**[21]

ولعل اطلاعنا على التقديم كعتبة نصية ذات حمولة توضيحية تفسيرية بما تحويه من إشارات تنهض على أساس توجيهي لسنن القراءة ، تكشف ملابسات لا توجد في النص وقد تكون من أسباب نشوئه ،و تمنحنا غالبا إضاءات لاستكناهه وسبر أغواره.

و في نسيم البوسفور يقدم المُؤلِف نصه موضحا :**"فكانت هذه الرحلة التي جاءت على شكل رسائل كنت أبعثها بانتظام إلى زوجتي حميدة"**[22].

إذن فالكتاب هو في واقع الحال مجموعة رسائل بعثها الكاتب إلى زوجته إبان رحلته إلى تركيا صيف سنة 1968.ويعضد ذات الطرح حين يقول: **"وأعد بنشر الرحلة التي كنت دونتها عن هذه المدة.وهي عبارة عن رسائل كنت أكتبها لزوجتي السيدة حميدة الصايغ مساء كل يوم ، أخبرها بما قمت به في هذا اليوم ، ولم أبعثها إليها في الرباط ـ مجموعة ـ إلا بعد وصولي إلى القاهرة"**[23].

فهل **"نسيم البوسفور"** نص رحلي تبعا لأولى العتبات النصية التي شكلها تجنيسه من قِبل المؤلِف الذي صنفه بكونه رحلة ؟ أم أنه أضمومة رسائل حسبما كشف عنه تقديم هذا المتن ؟

---

[20]ـ نسيم البوسفور ،ص:154.

[21]ـ دينامية النص الأدبي، تنظير وإنجاز، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء /بيروت، الطبعة الأولى، 1990، ص: 72.

[22]ـ تقديم المؤلف لنسيم البوسفور، ص: ح من هذا الكتاب.

[23]ـ مع المعاصرين أسماء وآثار في الذاكرة وفي القلب، ج:4، ص: 8.

قبل أن نشهد شدا وجذبا بين هذين الجنسين العريقي المنشإ والتشكل، نلفي ذواتنا إزاء جنس ثالث يسمح الكاتب لنصه بأن يتزيى بملامحه، ذلك هو جنس المذكرات حين يقول:"**فهذه رسالة بل مجموعة رسائل سأسطرها لك خلال هذه الأيام الباقية لي في إسطنبول، لأطلعك على أخباري في هذه الفترة بعد أن انتهيت أوكدت من البحث في المكتبات. ولن أبعثها لك إلا في آخر لحظة، جامعة لما كان يمكن أن أكتبه في رسائل مختلفة، فهي بهذا أشبه بمذكرة وجيزة عن آخر فترة من رحلتي إلى هذا البلد"[24]**. ويؤكد ذلك قائلا :**"لأني قصدت من هذه الصفحات ليس فقط أن أسجل مذكرات وإنما أن أصحبك في زيارة تلك المعالم، كما قصدت أن أطلعك على جميع تحركاتي سواء منها ما كان مفيدا أو غير مفيد. " [25]**

منذ الوهلة الأولى يبدو الكاتب واعيا بصنوف القول مميزا لها ، وقاصدا إلى صب كتابته في قوالبها ، إدراكا منه لمدى قدرتها على تمثيل خطابه واستيعاب دلالاته. فالمتصفح لهذا المتن سيلفي ذاته إزاء ثلاثة أصناف نثرية أصيلة تتناوب معمار النص ،وهي الرسالة والرحلة والمذكرة ، وهناك تصريح معلن بها .

فهل نحن إزاء صراع أجناس أدبية داخل "نسيم البوسفور"؟ وكيف تشكلت هذه الخطابات جنبا إلى جنب داخل هذا النص ؟وأنى تَأَتَّى للكاتب أن يحسم القول بشأن هوية نصه على أنه رحلة؟

[24]- نسيم البوسفور ،ص:155.
[25]- نفسه، ص:201.

الفصل الأول :

نسيم البوسفور وتشظي الجنس الأدبي : الأجناس المتعايشة

أن ينتمي صنف من الكتابة إلى ذات الجنس، معناه أن يحمل نفس السمات وينطبع بذات المعالم ويتشكل على النحو عينه ويتطور بالشروط ذاتها ويتميز عن الأنماط المتبقية الأخرى، ويتصف بخلال جامعة وينأى عن سمات مانعة ، ويحقق تراكما نوعيا به يصير مُثْبِتاً لهوية نصوص تندرج ضمن نفس زمرته بأن يمنحها شرعية الظهور ويهبها شرف الانتماء، ورغم أن رولان بارث كان قد أقر بكون **"الأجناس الأدبية تشكل حياة الأدب نفسها ، ويكمن مصدر الحقيقة والقوة في التعرف التام على تلك الأجناس ،والمضي حتى غاية التعرف على المعنى الخاص بكل جنس منها ،والغوص عميقا في قوامها ."**[26]فإن هذه الأجناس قد تشكلت منذ أرسطو ثم تحددت وسيجت حياضها منذ مدة ليست باليسيرة ، لكنها انفتحت وتعالقت مع بعضها في سبيل خلق حقل تلاقح ازداد خصوبة كلما دنت من بعضها وتنامت أواصر التقاطع بينها. **"وإن تسع نظرية النص الى إلغاء تمايز الأجناس الأدبية والفنون ، فذلك لأنها لا تنظر إلى الآثار الفنية كرسائل بسيطة ولا حتى كملفوظات ، ولكن كإنتاجات مستمرة العطاء".**[27]

لكننا نشهد داخل هذا المتن تشظيا تجنيسيا واضحا يستعصي معه تأكيد هوية ثابتة له، حيث تطفو الأجناس بمحاذاة بعضها تتناوب مضمار السرد والترسل والتدوين .

في كتابه القيم **الرحلة في الأدب العربي** ،تناول الأستاذ شعيب حليفي الأجناس الأدبية التي تتخلل محكي السفر حين رصدها في دائرة التخصيب وحددها في أنماط بعينها هي :**السيرة والتراجم والتاريخ والجغرافيا والسجل الاجتماعي والحكي والخبر والشعر والرسالة واليـــوميات**

---

[26]- مفهوم الأدب ودراسات أخرى ،سفيتان تودوروف، ترجمة عبود كاسوحة ، سلسلة الدراسات الأدبية ، منشورات وزارة الثقافة سورية ،دمشق سوريا 2002، ص:3 .

[27]- نظرية النص ،رولان بارث ، ترجمة محمد خير البقاعي ، ضمن سلسلة دراسات في التناص والتناصية ،مركز الانماء الحضاري ، حلب ، سورية ، الطبعة الأولى1998 ، ص : 4 .

و الخانة الفارغة.[28]إن تصريحا واثقا كهذا قد يوهمنا بأنه لا مدعاة لأن نزيد من التمحيص في هوية **"نسيم البوسفور"**، مادام الأمر يتعلق بجدال محسوم تصنف بموجبه النصوص الرحلية كأجناس هجينة غير صافية ، تنفتح على مقومات أجناس أخرى وتُغِير على حدودها وتتماهى مع معالمها، ويختلف مقدار اجتزائها من سماتها حسب ترسمها لماهيتها .لكن رغم طفو معالم تلك الأنماط على الخطاب الرحلي فإن له من بأس الاحتواء ما يُمكنه من الهيمنة عليها كجنس يمتلك هيبة إكساب النص صبغته .

لذلك حين نعود إلى جل الخطابات ذات السمت الرحلي لا نلفي مؤلِّفا قدم نصه بأكثر من جنس واحد، فالعبدري مثلا ورغم تداخل الأجناس في رحلته نلحظه يقول في تقديمه لكتابه: **"فإنّي قاصد بعد استخارة الله سبحانه. إلى تقييد ما أمكن تقييده، ورسم ما تيسّر رسمه وتسويده، ممّا سما إليه النّاظر المطرق، في خبر الرّحلة إلى بلاد المشرق، من ذكر بعض أوصاف البلدان، وأحوال من بها من القطّان، حسبما أدركه الحسّ والعيان، وقام عليه بالمشاهدة شاهد البرهان"**[29]،والناصري يؤكد في استهلاله لرحلته: **"إني كنت منذ عقدت يدي إزاري وتلوث مبيض صحيفتي بسواد أوزاري ، متتابع الزفرات والأنين ، كثير الاشتياق والحنين ، إلى تكحيل إنسان العينين ، بمشاهدة مشاهد الحرمين ، فكانت تلك الرحلة وهي من الله أعظم نحلة."**[30]" والتامكروتي ينحو ذات المنحى قائلا: **"فإني أذكر في هذا الكتاب ما رأيته واستفدته في سفرتي التي توجهت فيها إلى بلاد الترك وأثبت فيها ما شهدته من عجائب ركوب الفلك ...وسميت الرحلة النفحة المسكية في السفارة التركية "**[31]

بيد أن الإتيان على نص الدكتور عباس الجراري أبان عن استعماله لقوالب نثرية ثلاثة لملفوظ واحد وزاد أن صرح بوضوح بها. ولاريب أن تصريحا كهذا، يضع المتلقي قاب قوسين أو أدنى من تشظي الرحلة كجنس متخلل حيث نجدها لا تشمل الأجناس ولكن تتشكل فيها.

وقبل أن نحسم القول في هوية هذا النص النثري، سنتبين في خطوة أولى مدى اجتزائه من السمات المهيمنة على كل جنس ونرجئ الحكم إلى حين.

---

[28]- الرحلة في الأدب العربي ، شعيب حليفي ، التجنس و آليات الكتابة ،خطاب المتخيل ، الهيئة العامة لفصول الثقافة ،أبريل: 2002، ص: 67.

[29] - الرحلة المغربية ،أبو عبدالله العبدري تحقيق د. علي إبراهيم كردي ،دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ، 2005،ص:28.

[30]- الرحلة العياشية عبد الله بن محمد العياشي ، حققها وقدم لها د سعيد الفاضلي - د سليمان القرشي ،دار السويدي للنشر والتوزيع ، الامارات العربية المتحدة ، الطبعة الأولى 2006، ج:1،ص: 51-52.

[31]- النفحة المسكية في السفارة التركية ، علي بن محمد التمكروتي ص: 20.

المبحث الأول :

ملامح الرحلة ومحكي السفر

تمتلك الرحلة كجنس أدبي أثيل قواعد وقوانين تشيد بموجبها عراقتها ، ولا تفتح بوابات الانتساب إلا للمتون التي تستجيب لشروط جنسها وتذعن لثبوت الهوية وأصالة النسب ، فهي: **"مجموعة من الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة وقد يتعرض فيها لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق ،وتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها أو يسرد مراحل رحلته مرحلة مرحلة،أو يجمع بين كل هذا في آن واحد".**[32]

وقد وسمت الرحلة كخطاب مرجعي ذي سمت واقعي غالبا ، بأنها كتابة بصرية ، حيث تغدو العين شاهدة ولاقطة للأحداث ومجرياتها .فهناك تجربة واقعية محدودة بمكان وزمان بعينهما ثم ثمة كتابة توثق لهذه الرحلة، فثمة انتقال فعلي لذات موجودة خارج النص الأدبي سرعان ما تغدو كائنا لغويا ، فهناك معطى واقعي (المكان الزمان الشخصيات الأحداث)ثم هناك مواز لغوي يجعل من هذا السفر الفعلي جنسا أدبيا . فالرحلة إذن هي مؤشر على سفر ودليل على نمط من الكتابة.

وقد قعد الدارسون وانتهوا تماما من ترسيم معالم هذا الجنس، فهل امتثل نسيم البوسفور للخصائص النوعية للانتماء إلى أدب الرحلة؟

في البدء كانت الرحلة انتقالا فعليا إلى مكان بعينه ومبارحة واقعية لأحيزة مخصوصة في أزمنة معلومة ، وسفرا إلى وجهة مغايرة بذاتها ،لكنها سرعان ماغدت نصا مكتوبا واستحالت جنسا أدبيا يحكي عن فعل الارتحال عينه ، فباتت بذلك من أقدر المصطلحات التي تنسب الأدب إلى موضوعه. ولا غرو أن السفر يعد العامل الرئيس الذي يجعل من الكتابة الرحلية متضمنة لسماتها التجنيسية ، وفي هذا السياق يقول عبد الفتاح كليطو": **السفر يسمح بالتصنيف ، وهو في**

[32]- الحكاية والتأويل - دراسات في السرد العربي - ،عبد الفتاح كليطو ، دار توبقال للنشر،الدار البيضاء ،الطبعة الثانية ، 1997،ص:73 .

الوقت ذاته يمكننا من تلمس خصائص الكتابة ، مادامت الرحلة نوعا أدبيا يقلص من دور المصادفة ويقدم لنا بقدر كبير، قواعد إنتاج النص ، وقواعد تلقيه معا..."[33].

فكي يستحيل السفر إلى محكي السفر، على الرحالة أن ينجز خطابا لغويا ،وعليه أن يصير كائنا ورقيا ،وعلى مغامرته أن تغدو ملفوظات نصية ،حتى يدخل بوابة الأدب الرحلي ، وسوف لن يتأتى له ذلك ما لم يسلك سبيل التدوين والتسجيل والكتابة التي لها القدرة على نقل النص من الشفهي الذي قد يروى كله أو ينسى جله ، إلى حياض المكتوب الذي يرسخه حبر التقييد الآسر، ومن ثم يمتلك كفعل **"قصدية مزدوجة : قصدية السفر، أوالانتقال من مكان إلى آخر انتقالا ماديا أو متخيلا ، وقصدية من ناحية ثانية الكتابة عن السفر "[34]."**

وقد خلفت لنا رحلة الأستاذ عباس الجراري إلى تركيا متنا دعي **"نسيم البوسفور"** وبذلك ساوق الواقعي بالمكتوب والشفهي بالمدون .

لكن عرفين اثنين في أدبيات محكي السفر لم يمرا غفلا في هذا النص ، أحدهما هو ذكر دواعي السفر ووجهته وثانيهما الحديث عن السفر .

أ. دواعي السفر

لعل المتفحص لجل مقدمات الخطاب الرحلي لا بد أنه ملاق بين دفاتها ذكرا للأسباب التي حملت أصحابها على السفر، وربما يسر ذلك إمكانية تصنيفها تبعا لمقصدها، فظهرت بناء على تحديد الغاية والمرمى : الرحلات الحجية[35] والسفارية[36] والسياحية[37]

---

[33]ـ المقامات ، عبد الفتاح كليطو، ترجمة : عبد الكبير الشرقاوي ، دار توبقال ، 1993،ص: 127 .

[34]ـ نفسه ، ص: 29 .

[35]ـ مثل: إحراز المعلى والرقيب في بيت الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب ابن عثمان المكناسي أو"رحلة الرحلات مكة في مائة رحلة مغربية"، الدكتور عبد الهادي التازي ، مراجعة : الدكتور عباس صالح طاشكندي مؤسسة الفرقان للتراث الاسلامي 2005 .

[36]ـ مثل : التحفة السنية للحضرة الحسنية بالمملكة الاصبنيولية الكردودي ـ "الرحلة الابريزية الى الديار الانجليزية" ـ "رحلة الوزير في افتكاك الاسير" محمد الغساني تحقيق وتعليق: نوري الجراح ابوظبي 2003 .

[37]ـ أسبوع في باريز : محمد بن عبد السلام السائح و رحلة أمريكا الوجه الآخر لليلى أبي زيد.

والعلمية،[38] التي تنضوي نسيم البوسفور تحت مقوماتها ، **"فالرحلة لا بدَّ منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد، والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال"**،[39]كما يؤكد ذلك ابن خلدون.

فنسيم البوسفور سفر للبحث عن المعرفة ، وتنقل لاستجلاء مكامنها ،فيها يغدو الرحالة عارفا بتوجهه وراصدا لأمكنة زياراته ،وعالما بما يريد ، وشاهرا سيف البحث لجز رقاب المدارك، يقول المؤلف:**"وكانت طبيعة موضوع أطروحتي تقتضي أن أنتقل من مدينة إلى أخرى للاتصال بأشياخ الملحون – شعراء ومنشدين ومهتمين عموما- سعيا إلى الوقوف على بعض النصوص الشعرية ...وتحقيقا لهذا الهدف كنت أسافر كذلك خارج المغرب، على نحو رحلاتي المتكررة إلى إسبانيا للاطلاع على ما في بعض مكتباتها، ولاسيما الإسكوريال وما تضم من وثائق ومخطوطات، وكذا للاتصال ببعض المستعربين المعنيين...وكانت النية أن أتوقف في طريقي إلى القاهرة بمدينة إسطنبول الغنية مكتباتها العديدة بما تزخر به من مخطوطات.فكانت هذه الرحلة ... والتي أتاحت لي الوقوف على بعض ما في تركيا من خزائن المخطوطات...."**[40]

وربما كان شرف الغاية مدعى لتجشمه الغربة بكل صعابها، فعلة التنقل بين الأمصار كان المرمى منه هو التأسيس لدراسة الأدب الشعبي[41] بالجامعة المغربية ، حيث ظل ساعتها متواريا لايحفل به كإبداع مثبت للهوية المغربية ، وقد شيد الدكتور عباس الجراري مشروعه النقدي على النهوض بالأدب المغربي بشقيه الشعبي والمدرسي ، وهذه الرحلة تدنينا من بعض ما لاقاه في سبيل ذلك من مجابهة وعراقيل جمة تمثلت في إحجام البعض

[38]- مثل نشر ازاهير البستان في من اجازني بالجزائر وتطوان ابن زاكور الفاسي. .

[39]- المقدمة، العلامة ولي الدين بن محمد عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون ،تحقيق عبد الله بن محمد الدرويش ، دار البلخي، دمشق ، الطبعة الأولى 2004 ، ج:2 ص: 358

[40]- مقدمة المؤلف (حرف ز).

[41]- وربما هذا الشغف هو الذي حذا بالدكتور عباس الجراري إلى تأليف مجموعة من المتون التي اعتبرت من أمهات دراسات الأدب الشعبي المغربي ومنها : ، الزجل في المغرب (1970)- من وحي التراث (1971).- معجم مصطلحات الملحون الفنية (1978).- في الإبداع الشعبي (1988).- عاشوراء عند المغاربة (1999).- دليل قصائد الزجل في المغرب -الملحون- (2017) .

عن مده بنصوص القصائد التي ستشكل المتن الذي سيقيم عليه أود أطروحته للدكتوراه حول الزجل ،"... **سعيا إلى الوقوف على بعض النصوص الشعرية التي كان يُبخل بها أو المعلومات التاريخية؛ ولاسيما ما يتـصل بالأعـلام... واستـمر العمل عندي عــلى هذا النحو بعراقيله ومثبطاته"**[42]ـ كما يصرح ـ لكنه لم ييأس، لذلك نراه يقول مخاطبا زوجته التي تشاطره الأسى رغم البون: "**ولكني أقدمت على ذلك عن علم وطواعية وبمحض اختياري كما تعرفين،وهذه حقيقة لا ينبغي نسيانها لأن في تذكرها كثيراً من عوامل القوة للتغلب على موجات الضعف. ثم إن هناك حقيقة أخرى لعل تمثلها أن ينفخ فينا غير قليل من روح الصبر والثبات، وهي إدراك نبل المبدأ وشرف الهدف الذي نجتاز من أجله هذا الاختبار العسير. فمن شأن هذا الإدراك أن يهون كثيراً من الصعاب"**[43].

ثمة إذن إصرار بين على تحويل المثبطات إلى حوافز، وعزم على إخراج العلم من حيز المضمر إلى حيز المعلن، إنه إصرار العالم على تنكب الخبايا، وإلحاح العارف على الإحاطة بكل الخفايا، وحماسة المثقف لبلوغ منتهى الدراية، يقول:"**...نعم لابد لكل من يريد تحقيق أمل عظيم وغاية كريمة يخدم بها نفسه ووطنه أن يدفع الثمن،وأحمد الله أن قد وفقت – بمساعدتك إلى دفع الثمن غالياً غير بخس ولا رخيص."**[44]

2ـ محكي السفر في نسيم البوسفور

لاغرو أن الحديث عن السفر عد من أعراف جنس الرحلة، إذ شد ما كابد الكاتب من النأي الذي أفضى إليه هذا الانتقال من مكان معلوم ألفه وضم من أحب إلى حيز مجهول ليس به دفء الاحتواء حيث يصرح : **"السفر قطعة من العذاب " وسمعت من السيد الوالد يضيف: " ولو شئت لقلت إنه العذاب كله لما فيه من فرقة الأحباب والأهل والأولاد"**[45]،ويسترسل: **"ولو أن الذين قالوا إن "السفر قطعة من العذاب" عانوا ما أعاني أو قريبا منه، لقالوا إن العذاب قطعة من السفر، ولكن سبحان من رحمته وسعت كل شيء.**

---

[42]ـ مقدمة المؤلف (حرف ح).
[43]ـ نسيم البوسفور، ص: 140.
[44] ـ نفسه، ص: 141.
[45]ـ نفسه ، ص: 139.

ففي قول لعله حديث شريف "لو يعلم الناس برحمة الله للمسافر لأصبح الناس على ظهر سفر إن الله بالمسافرين رحيم".[46]تبدو اللغة مثخنة بالأسى مثقلة بلوعة التغرب ، يلفها الإحساس الغامر بالوحدة ، معها ما يفتأ السفر أن يغدو قرينا للعذاب ، رديفا للألم ، سيما حين تتوق النفس العليلة إلى الأسرة والأبناء .

يلج هذا النص مضمار الرحلة انطلاقا من بنية السفر التي تؤطرها الملفوظات المتواترة على جسده والتي تمت جميعا بصلة إلى التنقل والارتحال، ولما غدا هذا السفر فعليا عدت الرحلة بموجبه جنسا مكانيا بل أشد الأنماط القولية ارتباطا بالفضاءات والأحيزة، وهنا تسيد المكان معمار النص لذلك سنلمس في هذا السفر تنصيصا على أمكنة الانطلاق والعبور والوصول.

وسوف يتساوق السرد كأسلوب لرواية الأحداث مع الوصف كسبيل لعرضها "**لأن السفر والتنقل من مكان إلى مكان يعمل على تمديد الحكاية وتوسيعها**"[47]،لذلك فإن أولى عبارات النص سوف تلقينا في هذا الأتون المتحرك غير الساكن الذي ينسجم فيه السفر مع التحرك في المكان .

يمكن أن نتبين بجلاء أن أماكن الانطلاق داخل النص الرحلي تؤسس البداية الرسمية لفعل السفر، فمنها سيباين الرحالة الأرض التي ألفها ، وعنها سيغيب ويغترب ، وإليها سوف يحن ويشتاق، وبها الحبيب والقريب ومن يعرف ،لذلك لم تمر غفلا داخل نسيم البوسفور بل تم ذكرها، يقول الكاتب يغمره الرضى والتفاؤل :" **لقد كانت الرحلة من البيضاء إلى جنيف في غاية المتعة والراحة والغناية.**"[48] ولعل هذا الانتقال صوب بلد مغايربصفته محطة عبور مؤقتة ، سوف يشرع الباب أمام الرحالة للتمكن من ملامسة حضارة مباينة ورؤية أناس مختلفي الأرومة والثقافة والانتماء مما قد يمنحه سلطة الملاحظة والمقارنة والتمييز،وينشط حاسة الاستكشاف المتأمل لديه ، ثم لا يلبث الرحالة أن يصل إلى المكان الذي من أجله نوى السفر، فيفضي به مسار الرحلة إلى مكان الوصول وهو المكان الهدف الذي بارح من أجله الوطن وفيه ابتغي إيجاد ما إليه يصبو ،ومنه

---

[46] - نسيم البوسفور ،ص: 175.

[47]- "تيمة السفر في النص السردي القديم"،شعيب حليفي ،مجلة فصول،المجلد الثالث عشر،العدد الثالث،عام1994، ص:252.

[48] - نسيم البوسفور ،ص:136.

سوف يدون ويسجل وقائع سفرته يقول: **"استأنفت الطائرة سيرها إلى إسطنبول حيث وصلنا قبل الثامنة بربع ساعة."**[49]

ويتساوق عرض مسار الرحلة مع ذكر وسائل النقل التي بها يستطيع الرحالة الانتقال وبلوغ المرام ، وهي التي تيسر هذا الغدو والرواح أو تعسره وحيث أن الرحلة باتت جوية فقد كانت الطائرة هي الأنسب يقول **"استأنفت الطائرة سيرها الذي طال ساعتين وعشر دقائق"**[50] ، وذكرها أتى متساوقا مع إيراد المطار يقول وهو في جنيف :**"وبعد الغداء مباشرة اتجهت إلى المطار"**[51]،و حين حط الرحال بتركيا قال : **"وفي مطار إسطنبول وجدت ممثلة الشركة تبحث عني لتوصلني بمندوبي وزارة التعليم والجامعة اللذين جاءا لاستقبالي."**[52]

لكن الأمر لم يخل من متاعب الطريق ومفاجآتها والتي تجعل الرحالة عرضة لمواقف قد لا يحسد عليها ،ومن ذلك إصرار الجمارك في جنيف على دفع قيمة الوزن الزائد وهو ما لم يكن في حسبان المسافر يقول :**"ولكن الأمور لم تسر سيرها الطبيعي، فممثلة الشركة أصرت على أن أدفع مقابل الوزن الزائد، فدفعته مضافا إلى خمسة فرنكات من قبل ضريبة المطار"**[53]،ومنها كذلك اكتشاف الكاتب أنه مسجل بلائحة الانتظار مما كاد يفقده أعصابه **"فوجئت بعد انتهاء جميع الإجراءات أني مسجل في لائحة الانتظار وأن مكاني في الطائرة غير مضمون، فأصررت بدوري على ضرورة السفر في هذه الطائرة، خصوصاً وأن الموافقة مسجلة في التذكرة من البيضاء، فاضطرت الشركة إلى نقلي للدرجة الأولى"**[54]، وثمة التأخير الذي أثر على موعد الوصول إلى اسطنبول وأرجأه لساعة إضافية مفاجئة ،وذلك **"أن الشركة أعلنت عن تأخر إقلاع الطائرة بساعة، فبعد أن كان مقررا في الثانية تأجل إلى الثالثة."**[55]

---

[49]- نسيم البوسفور ، ص:137.
[50]- نفسه ،ص: 136.
[51]- نفسه.
[52] - نفسه،ص: 137.
[53]- نفسه، ص: 136.
[54]- نفسه، ص: 136-137.
[55]- نفسه ، ص:137.

ولم تكن تلك هي المعاناة الأخيرة في رحلته، فقد امتعض من سوء تصرف شركة النقل الهولندية التي أقلته عبر طائرتها إلى القاهرة قائلا: **"والذي أريد أن أخبرك به هو المعاملة السيئة التي تعامل بها هذه الشركة (ك.ل.م) الهولندية ركابها. ولكي تدركي إلى أي مدى بلغت هذه المعاملة في السوء تصوري أن كل المحمولات من حقائب اليد وكتب وغيرها توزن وتدخل في الوزن المحدد...وبعد أخذ ورد خفض هذا الوزن إلى ثمانية عشرة أي إلى أربعة وعشرين دولارا."**[56]ولاغرو أن نظير هذه السلوكات المباغتة من شأنها أن تشكل منغصات في محكي السفر وقد تثبط همة هذا المرتحل وتفت من عضده .

ويكاد هاجس السفر أن يلقي بظلاله على امتداد النص ، ذلك أن محكي السفر عد **"معيارا نقديا يتم فيه التمييز بين الرحلة وباقي نصوص السفر"**[57] ،فما إن يصل الكاتب إلى اسطنبول حتى يبدأ في الاستعداد لرحلة أخرى يقول :**"ولعل الجديد في أخباري أني لن أتمكن من السفر قبل منتصف الأسبوع الأول من سبتمبر، وأعني السفر إلى القاهرة. أما من إسطنبول إلى أنقرة فقد أسافر في الفاتح أو الذي يليه."**[58]، لذلك **"واستعدادا للسفر بدأت أستفسر ففوجئت بأنه لا توجد بواخر تذهب إلى الإسكندرية من إسطنبول أو من أي ميناء تركي آخر"**[59].ذلك أن مسار الرحلة يقتضي انتقاله من المغرب إلى تركيا ومنها إلى القاهرة ، وهنا نلاحظ أن مكان الوصول سيتحول إلى مكان عبور مرة أخرى حينما سيعزم على الرحيل صوب القاهرة يقول :**"ذلك أني قد حددت موعد السفر إلى القاهرة ولم يعد بيني وبينه إلا أيام. وقد قضيت ظهر اليوم في البحث والسؤال من شركة إلى أخرى، وتبين لي بعد طول عناء ما يلي: أن السفر من أنقرة إلى القاهرة غير متيسر إن لم يكن مستحيلا."**[60]

ولعل الخشية من مغبة تضييع موعد الطائرة للذهاب إلى القاهرة، هو ما حذا بالمؤلف إلى القلق الذي بدا واضحا عليه وهو يبحث عن حجز التذكرة على عجل حتى إذا ما أزف وقت الرحيل تكون كل الترتيبات مهيأة لذلك يقول: **"" الوسيلة الوحيدة للذهاب إلى**

---

[56]- نسيم البوسفور ،ص: 200-201.
[57]- أدبية الرحلة ، عبد الرحيم مودن ، دار الثقافة ،الدار البيضاء ،الطبعة الأولى 1996،ص : 21.
[58] - نسيم البوسفور ، ص: 153 .
[59]- نفسه، ص: 144 .
[60] نفسه، ص: 155.

القاهرة هي الطائرة من إسطنبول، ولعل هذه خير من الثانية التي تسافر مرة كل سبت. وحبذا لو كان في استطاعتي السفر يوم السبت الذي يقع آخر الشهر، ولكن مواعيدي مع المصورين ممتدة حتى صباح الثلاثاء، ومن حسن الحظ أن الطائرة لا تقلع إلا عشية."[61]ومن ثم نراه والإجهاد يعتريه بعد أن حقق مراده يقول**: "وهكذا وبعد أن انتهيت من مشكل السفر عدت إلى الفندق في حال عناء شديد."**[62]

وسوف تتواتر على جسد النص مجموعة من الأفعال الدالة على التنقل والسفر مثل أترك أرحل ، أسافر ،أذهب ،ومن اليسير أن نلاحظ أن اسطنبول غدت المنطلق والمآب أثناء حلوله بها ، فمنها سافر إلى جزيرة الأمراء يقول : **"وفي نيتي أن أترك إسطنبول وأرحل إلى إحدى "جزر الأمراء" في بحر مرمرا جنوب المدينة على أن أعود في المساء"**،[63]ومنها انطلق الى مدينة بورصة قائلا :" **أما غداً إن شاء الله فأنوي الرجوع إلى عالم المخطوطات، ولكن ليس في إسطنبول وإنما في مدينة بورصة التي لا شك أن رحلتها ستستغرق يومين."**[64]وبعد الإياب قال :**"وهكذا انتهت رحلتي الخاطفة إلى بورصة."**[65]

وتبدو وسائل النقل حاضرة وافرة، فهي الطائرة من المغرب إلى إسطنبول ومنها إلى القاهرة ـ كما رأينا ـ وهي الباخرة من إسطنبول إلى جزيرة بويوكودا يقول: **"وقد قطعت الباخرة المسافة من إسطنبول حتى جزيرة بُويُوكُودا (بل بويوكادا) وهي أهم "جزر الأمراء" في ظرف ساعة وخمس وأربعين دقيقة،"**[66] أوإلى ميناء بالوفا، وهي السيارة من هذا الميناء إلى بورصة، يقول: **"ها أنا في بورصة ومنها أكتب لك هذه السطور. وقد تم سفري إليها على مرحلتين، الأولى بحرية حتى ميناء (بالوفا) استغرقت ساعتين وعشر دقائق ،أما المرحلة الثانية فبرية بواسطة السيارة."**[67]ويوضح هذا السبيل المتعب حين حديثه عن العودة من بورصة الى إسطنبول قائلا **: "وتركت الخزانة وأسرعت إلى سيارة أجرة**

---

[61]ـ نسيم البوسفور،155-156 .
[62]ـ نفسه،ص: 156.
[63]ـ نفسه ص: 160.
[64]ـ نفسه:ص: 167.
[65]ـ نفسه ص: 173.
[66]ـ نفسه، ص:160.
[67]ـ نفسه، ص:168 .

للذهاب إلى ميدان "كراج"، وكنت مخيرا بين انتظار حوالي ساعة لأركب في الحافلة وبين ركوب سيارة أجرة وقف صاحبها ينادي محتاجاً إلى شخص واحد ليكمل عدد الركاب. وفضلت هذه، ولم تكد تمضي أربعون دقيقة حتى كانت تقف بباب ميناء بالوفا، فأخذت التذكرة ودخلت. وبمجرد ما وضعت قدمي داخل الباخرة أطلقت الصفارة معلنة عن الإقلاع. ونظرت إلى الساعة فإذا هي الواحدة. وحسنا فعلت بهذا الإسراع، ولو لم أفعل لاضطررت إلى الانتظار حتى المساء".[68]

3. بنية المكان

المكان هو ذلك الرحم الممتد الذي يسيجنا فتحوطنا إحداثياته بجلاء ،إنه الحضن الذي نستوطن قسماته وسهوبه ، وفي ثناياه نحيا ونستكين وإلى تخومه ننتسب ،مع سكونه ننسج علاقات خفية تتضح بالحب الأصيل حينا ،وقد تعلوها سمات النفور والمقت أحيانا ، لذلك ثمة أمكنة تسكننا حين نسكنها ،وثمة مواضع تلفظنا ونحن لها كارهون ، **"فالمكان لم يكن ممقوتًا لذاته؛ بل نتيجة لما يتضمنه من تهديد لأمن الإنسان، وتقزيمه لروحه، ومعاداة لينابيعها الأصلية، وأنماطها العليا التي ترسخت في نفسه منذ صباه".**[69]

ولما باتت الرحلة أدبا ينتجه المكان، وسردا يتنامى بتغير المواضع واختلافها، تسيدت الأحيزة معمار النصوص حين صارت مسرحا للحدث ، فمنها تنطلق الأحداث وإليها تؤوب الشخصيات. **"فالرحلة معاناة والسفر مشاركة للمكان في التحول واستبدال منظر بمنظر،وموقع بموقع، ومنزل بمنزل،وكلما تغير المكان تجددت معه جملة الأحاسيس**

---

[68]- نسيم البوسفور،ص :172 .

[69]- جماليات المكان،غاستون باشلار، ترجمة غالب هلسا،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشروالتوزيع، بيروت- لبنان، ط 1984 ،ص:42 .

التي تتخللنا ونحسبها، فنكتسب منها رهبتها وجلالها أوحشتها وتوجسها أولطفها و جمالها. " [70]

لقد لبست الأمكنة داخل هذا النص الرحلي لبوسا مختلفة ، تباينت تبعا لمسار الرحلة وحركية السفر، حيث شهدنا تواترا في الحديث عن أمكنة عامة وأخرى خاصة ، وأحيزة مفتوحة وأخرى مغلقة ،ومع كل فضاء مخصوص نلمح أن حدوده ترتسم ليس انطلاقا من جغرافيته الفعلية، ولكن تبعا لإحساس المؤلف الذي يسبغه عليه وحسب نظرته إليه. لذلك سينتفتح الفضاء على عوالم تاريخية أو ثقافية أوقد تكون دينية حسب ما ستفضي إليه بنية التنقل.

لم تقدر الأحيزة في نسيم البوسفور أن تبقى محايدة ، حينما لم تستطع الانفلات من تمثل الرحالة لها ومدى تأهبه لقبولها أو الامتعاض منها .

وتبدو الفنادق كفضاءات مغلقة يستبدل بها المسافر مأواه الأصلي ، فهي التي ستحضنه ،وإليها سيأوي في نهاية نهاره ، وبها سيقضي ليله المسهد أو المريح لفترة قد تطول أو تقصر- حسبما يخطه مسار الرحلة- ماثلة إزاء هذا السمت من التقييم .وإذا كان الرضى جليا في المستهل يقول المؤلف "**وفي جنيف وجدت ممثل الشركة في انتظاري يسأل عني، فأخذني في سيارته إلى فندق ممتاز**"[71] فإن غلاء فندق أطلس باسطنبول حيث حجزت له الوزارة غرفة ، أقض مضجعه يقول عنه :وهو " **قريب من الجامعة والمكتبات ولكني أنوي تغييره قريبا بسبب ارتفاع ثمنه.**"[72]حيث خشي الكاتب أن يغير سعره غير الزهيد على ميزانية السفر لذلك سوف يجهد في البحث عن آخر بتكلفة أقل ،حتى يتأتى له تدبير ماليته ، ولأن مبلغ المنحة كان قد هزل بسبب كثرة تكاليف الدمغات واقتطاع ضريبة الدخل وكذا ثمن

---

[70]- فلسفة المكان في الشعر العربي قراءة موضوعاتية ،حبيب مونسي، منشورات اتحاد الكتاب العرب ،د ط 2001،دمشق - سوريا ،ص :20.

[71]- نسيم البوسفور،ص:136.

[72]- نفسه،ص:137.

نسخ المخطوطات يقول :**"أفكر في الانتقال إلى فندق آخر أرخص. وبحثت ولكن عبثا كنت أبحث لأن الفنادق على كثرتها واختلاف مستوياتها مزدحمة بالسواح."**[73]

بيد أن الرحالة وهو يدنينا من هذه الأحيزة التي سكنها نراه مقتصدا في الوصف فهو لا يقدم لنا نعوتا تصورها لنا من حيث الضيق والاتساع أو من حيث الفخامة والبساطة ،ولكنه ينقل لنا فقط تأثيرها عليه وما تخلفه في جيبه أو نفسه من صدى ، فعن غرفته التي يروم الاستراحة بها والتي يتضح أنها غدت وسيلة عذاب له لافتقادها لأسباب الراحة ، يقول:**"وقد حاولت أن أنام قليلا ولكن دون جدوى، فالغرفة حارة بسبب الشمس التي تضرب فيها طول النهار، وتزمير السيارات لاينقطع وفي تجاوب عجيب. ثم لاتسألي عن الإذاعة تدوي في كل مكان فتصل أصداءها قوية"**[74]. لذلك شكل يوم الأحد بهدوئه وقلة حركته يوم راحة بالنسبة له **"من بين كل أيام الأسبوع، هذا هو اليوم الوحيد الذي أستيقظ فيه دون منبه، وأعني بالمنبه تزمير السيارات وحركة المطابع ونداءات الباعة المتجولين وجلبة المارة وضوضائهم. ففي هذا اليوم تهدأ المدينة وتسكن حركتها حيث تقل السيارات وتخف حركة المرور بصفة عامة حتى بالنسبة للراجلين".**[75]

وفضلا عن هذا الهرج والمرج فإن الحمام بها لا يكون ساخنا إلا ليلة الجمعة، وفي بعض الأحيان يصيبه عطب مباغت، يقول: **"وسألت عن الحمام الذي لا يكون ساخناً إلا ليلة الجمعة فقيل لي إن قلة الماء ينتج عنها ضعف في قوة الدفع يحول دون تسخين الماء. ومثل هذا حصل في الأسبوع الماضي، بل فوجئت به داخل الحمام حيث اضطررت إلى أن أستحم بالماء البارد.".**[76]

وإذا كانت هذه الفضاءات المغلقة التي تعد الأقرب للرحالة قد سلبته أسباب الراحة، فإن هذا السبب عينه هو الذي جعله كارها لها ولا يعمد إلى التفصيل فيها ، وكأن دورها هو إيواءه وكفى ، لذلك سيبدو الحمام العمومي حاملا له سعادة غامرة فنراه منجذبا له ومسهبا في وصفه قائلا:**"أما كيف هو داخل الحمام؟ فهو عبارة عن قبة دائرية كبيرة أرضها وجدرانها**

[73]- نسيم البوسفور،ص: 142.
[74]- نفسه،ص:146.
[75]- نفسه،ص:160.
[76]- نفسه ، ص: 156.

من الرخام تحيط بها أحواض رخامية صغيرة يصب فيها الماء الساخن والبارد، بعضها مكشوف وبعضها داخل غرفات. وعند كل حوض وضعت طاسة من معدن أبيض. والناس يجلسون كل إلى جانب حوض من هذه الأحواض، وفي وسط القبة مرتفع رخامي على شكل دائري يستلقي عليه بعض الذين يرغبون في "التكسال" وعدد المكلفين بذلك غير قليل."[77]ومن شدة استشعار الرحالة للراحة تدب في أوصاله في هذا المكان، طلب كأس شاي بعد إحساسه بالرضى عما قدم له من خدمات ،حتى أنه قدم بقشيشا مقابل ذلك.الأمر الذي حمله على معاودة الكرة في الأسبوع الموالي يقول: **"ذهبت إلى الفندق حيث أخذت لوازم الحمام الخارجي، لاسيما وقد ارتحت له في الأسبوع الماضي"**[78].

فالأمكنة لا تكتسب ميزاتها انطلاقا من الانغلاق والانفتاح، ولكن تبعا لما تؤسسه من صلة حب بين أو نفور جلي بينها وبين ساكنها أو مرتادها.

وتبدو المقاهي كفضاءات مفتوحة حاضرة في نسيم البوسفور ، ورغم أنها ذكرت بالاسم دون الوصف فإنها اكتسبت دورين أساسيين في حياة الرحالة ، أحدهما هو تناول وجبة الإفطار يقول: "**نهضت أسعى إلى المكتبة العامة بعد أن شربت الشاي وأكلت سميطا في مقهى قريب."**[79]وثانيهما أنها بدت كأحيزة أشعرت المؤلف بنوع من الارتياح ومنحته فرصة للتأمل ، يقول:**"وحين قررت أن أستريح قصدت أن أتيح لجسمي وذهني فترة من السكون والهدوء.وإذا كانت مثل هذه الراحة تتاح للجسم بالجلوس في المقهى أو غيره ...، بل إن سكون الجسم وتوقف حركته ينشطان دوران الذهن ويمدان تيار التفكير."**[80]لذلك شكل المكوث بها والتلذذ بفنجان قهوة تركية متنفسا له وفرصة لتدبيج الرسائل إلى الزوجة **:"وخرجت لتناول القهوة. وذاك ما أفعل الآن، أشرب وأكتب لك هذه السطور"**[81].ولعل ما أتاحه له المقهى بمرتاديه ونادله من إحساس بأنه يحيا وسط الجماعة ،بدد غربته وجعله يشعر

[77]- نسيم البوسفور، ص: 156-157.
[78]- نفسه،ص: 180 .
[79]- نفسه،ص:172.
[80]- نفسه،ص:148.
[81]- نفسه،ص:147.

بألفة لم يحس معها بانسراب الوقت ،يقول:"**أحس أني أثقلت على صاحب المقهى بطول الجلوس وسأضطر إلى الوقوف عند هذا الحد ".**[82]

وإذا كان الكاتب دأب على تخير المقاهي التي تناسب ميوله إلى الهدوء والتأمل ورغبته في الكتابة ،فقد اضطرته بعض الطوارئ إلى الجلوس في مقهى شعبي اتقاء لشر العاصفة وبلل المطر ،وهنا يبدو نفوره واضحا من هذا المكان الصاخب المزدحم ومن جلاسه الذين يتهافتون على ألعاب التسلية يعلوهم دخان نرجيلاتهم، ولأن المطر ظل منهمرا فقد أرغم الرحالة على الانزواء في كرسي والمكوث هناك مكرها لا بطلا يقول:

" فوجئت خلال الطريق بالجو ينقلب مكفهرا والريح تهب شديدة والتراب يعصف قويا والمطر ينزل متهاطلا فالتجأت إلى أقرب مكان، وهو مقهى شعبي يخنقه دخان النرجيلة (الشيشة) ويزدحم فيه لاعبو الورق والطاولة والدومينو وغير هذه وتلك من الألعاب. ولم أجد لي مكانا فاكتفيت بكرسي إلى جانب جماعة من اللاعبين أتفرج على حركاتهم وحيلهم وضحكاتهم الصاخبة. ومر وقت طويل قبل أن يخف المطر".[83]

إن المتصفح لنسيم البوسفور لا يعتم أن يميز بجلاء بين ثلاث فضاءات رقشت جسد النص وجغرافيته ، وغدت منذ انطلاق الرحلة مسرحا لأحداثها وركحا لمضمار تنقل الرحالة. وإذا كانت الرحلة ذات مرمى علمي ، وكان الرحالة باحثا منقبـــا عما به يقيم أود أطروحته حول الزجل فلا ريب أن **المكتبات** ستمثل أولى الوجهات وأحبها إلى فؤاده، فما إن وطأ أرض اسطنبول حتى صرح " **سأبدأ الاتصال بالمكتبات صباح غد إن شاء الله، وهي كثيرة وموزعة في مختلف أنحاء المدينة، وسأحاول أن أصل إلى أقصى ما يمكن الوصول إليه، وعسى أن أوفق إلى ما يكون فيه جديد."**[84]

وتبدو المكتبة السليمانية أولى وجهات المؤلف يقول وقد مضى على وصوله إلى تركيا بضعة أيام **"منذ بدأت العمل حتى اليوم وأنا أبحث في مخطوطات الخزانة**

---

[82]- ، نسيم البوسفور ص:149.
[83] - نفسه ،ص:197.
[84]- نفسه ، ص:137.

السليمانية".[85]ومن ثم يمنحنا الرحالة معلومات دقيقة عن هذا الحيز تتعلق بتاريخ تشييده ووقت دوامه وما يحويه من نفائس يقول:**"وكان مبناها في الأصل مدرستين ملحقتين بالمسجد السليماني الذي أسسه السلطان سليمان القانوني في منتصف القرن السادس عشر. وقد ألحقت بهذه الخزانة مجموعة من المكتبات وصلت فهارسها إلى ستة وخمسين فهرساً أغلبها مطبوع. ومن حسن الحظ أن نظام العمل بها متصل من الثامنة والنصف صباحاً حتى الخامسة عشية بما في ذلك أيام الجمعة والسبت والأحد. ويؤمها الدارسون والباحثون من كل البلاد حيث التقيت بكثير من العرب والمستعربين"**،[86]والغرض هو " **أن أعثر في هذه الخزانة على ما يضيف لما عندي بعض الجديد."**[87]فهو في مرحلة استقصاء لتخوم مصادر أطروحته ومن ثم غدت المكتبات عاملا مساعدا له لتحقيق هدفه ، حيث كان يقضي بها سحابات يومه متنقلا بين رفوفها وأروقتها ومخطوطاتها ، ليعود كل مساء إلى غرفته ـ كما يصرح ـ **"كي أنظر في الأطروحة التي اعتدت أن أراجع فصولها كل مساء وأضيف إليها ما قد أكون اكتشفت خلال النهار في هذا المخطوط أو ذاك".**[88]

وعلى هذا النحو كان البحث عن المكتبات كأمكنة مرغوب فيها مسعي إليها ، دافعا للرحلة إلى الأمام ، **"اليوم انهيت العمل في مكتبة "كوبريلي" بعد أن أنهيته في مكتبة البلدية، وبايزيد، وجامعة إسطنبول والمكتبة السليمانية. وبقي على أن أذهب إلى المكتبات الأخرى التي أقدر أن أفرغ منها في نهاية الشهر بإذن الله"**[89] إذ شكل البحث عن هذا المكان المرمى الذي من أجله غادر موطنه ،وبسببه صبر على الغربة والوحدة والانعزال، وارتياده سيبلغه الهدف المنشود وهو إتمام بحثه،ومن ثم نراه في حركة سعي دؤوب لبلوغ كل المكتبات يقول:**"تعد المكتبات في طليعة جدول الزائر، وقد كدت أن انتهي منها جميعاً إذ لم يبق لي منها إلا أربع أو خمس مكتبات. وآخر ما زرت من هذه المكتبات هي مكتبة قصر "توبكابي" التي قضيت فيها أمس وصباح اليوم، وقد أعود**

---

[85]ـ نسيم البوسفور ،ص:141.

[86]ـ نفسه ،ص: 141-142 ، وعنها يقول : "أخبرني مسؤول في السليمانية أن هذه المكتبات لم تلحق بالسليمانية إلا في الأربع سنوات الأخيرة وذكر لي أن أيا صوفيا مثلا لم يمض على إلحاقه إلا سنة". دليل مكتبات إسطنبول وبورصة ، الملحق رقم :1 ، ص:209 من هذا الكتاب .

[87]ـ نسيم البوسفور ،ص:142.

[88]ـ نفسه،ص:149.

[89]ـ نفسه،ص:144.

إليها لنصف يوم آخر خلال الأسبوع."[90]وفي سبيل ذلك سينتقل إلى الضفة الأسيوية من المدينة من أجل زيارة مكتبتين اثنتين ، ثم سيسافر إلى بورصة عبر الباخرة في يوم صادف إغلاقها بمناسبة عيد وطني ، ويذكر **أن "مخطوطات مكتبات بورصة مجمعة في خزانة جامع أورخان ،وفي داخل الساحة المحيطة بالجامع توجد مكتبة نور وعثمان"**[91]وتتضمن**"فهارس سبع خزائن هي1- أورخان 2- خراجي أوغلو 3- حسين شلبي 4-قورشونلو5-الجامع الكبير 6-ملى 7-كُنل"**وفي الدليل الذي وضعه الرحالة عن المكتبات قال : **"توجد في مدينة بورصة أربع مكتبات عمومية، وفي واحدة منها هي مكتبة أورخان جمعت كل المخطوطات سواء منها العربية أو التركية أو الفارسية وعددها 7352 مخطوطا موزعا كالآتي:**

1- العربية: 5948

2- التركية 1051

3- الفارسية 353".[92]

لاريب أن زيارة الأستاذ الجراري للمكتبات لا يمكن أن تعدلها زيارة أي سائح عادي أو مرتاد حمله الشوق إلى الرؤية والنظر والاستكشاف وربما المطالعة، فرحالتنا مثقف ودارس وباحث وأستاذ بجامعة محمد الخامس وبشعبة اللغة العربية التابعة لها بمدينة فاس، ثقف التنقيب في المكتبات وبرع فيه ، ومن أجله دأب على السفر لتحصيل المعارف من مظانها ،يقول : **"كنت أسافر كذلك خارج المغرب، على نحو رحلاتي المتكررة إلى إسبانيا للاطلاع على ما في بعض مكتباتها، ولاسيما الإسكوريال وما تضم من وثائق ومخطوطات."**[93]ورغم أن ما يشغله هو تجميع ما يفيده من مخطوط ومرقون في أطروحة الزجل، إلا أن هاجس البحث والتحقيق والدراسة كان حاضرا لديه بشدة لا تخفى ،فلم يفته وهو في مكتبة قصر توبكابي أن يعود إلى مشروعه القديم الذي كان قد سطره، وهو تحقيق ديوان الشاعر أبي الربيع سليمان الموحدي الذي أنجز حوله رسالة للماجستير تحت إشراف أستاذه الأهواني

---

[90]- نسيم البوسفور،ص:148.

[91]- نفسه،ص:172.

[92]- دليل مكتبات اسطنبول وبورصة ، الملحق رقم 1 ،ص :246 من هدا الكتاب .

[93]- مقدمة المؤلف (حرف ز).

تناولت حياته وشعره،يقول مخاطبا زوجته **"سبق أن أخبرتك أني ذهبت مرتين لمكتبة قصر توبكابي وأني سأعود إليها مرة ثالثة. وهذا ما فعلت اليوم حيث أمضيت يومي هناك. وكان آخر ما طلبت الاطلاع عليه ديوان أبي الربيع، وتعتبر نسخته هنا أهم من نسخة الرباط أو الاسكوريال"**[94].والحق أن الوصول إلى هذه النسخة كان مبتغاه منذ أن كان في القاهرة سنة 1965يقول: **"ذلك أن العلامة المرحوم عبد الله كنون في إحدى زياراته لحضور دورة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، قد وعدني بإحضار نسخة مصورة لمخطوطة الديوان الموجودة في الإسكوريال ، ولكنه بدلا من أن يحضرها جاءني بخبر فاجأني إذذاك ، وهو أن الأستاذ المرحوم محمد بن تاويت التطواني يرى أن أعدل عن هذا الموضوع، لأنه بصدد إخراج الديوان ، بمعية الأساتذة محمد بن تاويت الطنجي ومحمد بن العباس القباج وسعيد أعراب "**[95] .ورغم أن المؤلف تمكن من الحصول ساعتئذ على نسخة مصورة من الديوان للمخطوطة الموجودة في مكتبة الإسكوريال ، كما قيض له التحوز على مثيلة لها من مكتبة أحمد الثالث باسطنبول ، فإننا نراه يعمل بمشورة صديقه الأستاذ الكبير محمد بن تاويت الطنجي الذي نصحه في إحدى الجلسات الجمعية بالنادي الجراري **"بضرورة زيارة تركيا للاطلاع على ماقد يكون في مكتباتها متصلا بالموضوع (**أي موضوع أطروحته حول الزجل**) ولاسيما ما يوجد منها في اسطنبول ، وكذا للوقوف على النسخة الأصلية لديوان أبي الربيع المشار إليها من قبل**[96]**"**.لذلك نراه لم يفوت الفرصة ولم ينس شغفه بالتحقيق وطلب نسخة مصورة من ذلك الديوان .

وعدا المكتبة السليمانية ظلت المعالم المعمارية للمكتبات متوارية غير جلية يقول: **" اليوم انهيت العمل في مكتبة "كوبريلي" بعد أن أنهيته في مكتبة البلدية، وبايزيد، وجامعة إسطنبول والمكتبة السليمانية. وبقي على أن أذهب إلى المكتبات الأخرى التي أقدر أن أفرغ منها في نهاية الشهر بإذن الله"**[97]، ، ويبدو أن هوس الرحالة بالتنقيب عما يريد ،وخشيته من إهدار الوقت جعلاه لا يهتم من المكتبة إلا بفهارسها ، لأن كل يوم يمر يقلص من الظرف الزمني المخصص لهذه الرحلة المؤطرة بوقت محدود ، لذلك رأيناه يتحسر حين أمضى سحابة يومه في بورصة يطلع على فهارس ست مكتبات بجامع أورخان دون أن

---

[94]- نسيم البوسفور ،ص:159.
[95]- مع المعاصرين أسماء وآثار في الذاكرة وفي القلب،" عباس الجراري،ج:4،ص:78.
[96]- نفسه،ص:79.
[97] نسيم البوسفور،ص:144.

يظفر بشيء يغني ما يرمي إليه ، يقول عن الأسفار التي عاينها : **"وهي في جملتها غير ذات أهمية بالنسبة لما أنا بصدده."**[98]

وربما أتى إحجام الرحالة عن الحديث عن المكتبات والإسهاب في تقديمها من كونه خصص لها مفكرة ـ سيتم ذكرها في الملاحق ـ حوت بتفصيل فهارسها وما ضمته من كتب وذخائر معرفية .يقول " **وقد تكفلت بتسجيل ذلك في مذكرتي عن المكتبات"**[99]،دونها بخط يد جلي ودقة متناهية ،أبانت عن كعبه العالي في تنكب سبل البحث ومدى قدرته على التوثيق."**وقد جمعت فيها مخطوطات حوالي ثمانين خزانة على ما سجلت في مذكرتي الخاصة بذلك".**[100]

لقد أتاح لنا الرحالة الدنو من هذه الأحيزة المعرفية ، ليس تبعا لفخامة معمارها ولا لعراقة أروقتها ولا حتى انطلاقا من اتساعها أو ضيقها ، بل بالنــظر إلى الصلة التي أسسها معها ، والتي جعلت منها أمكنة جذب بالنسبة له كباحث ، وإذا كان توفرها على الفهارس حببها إلى المؤلف على اعتبار أن"**كل مناطق الألفة موسومة بالجاذبية**"[101]، فإن بروز بعض المعيقات كاد أن ينفره منها وقد اتضحت أساسا في :

1- لغة التواصل التي جعلت التفاهم مع قيمي المكتبات يربك الكاتب ويزعجه، يقول:"**نهضت أسعى إلى المكتبة العامة بعد أن شربت الشاي وأكلت سميطا في مقهى قريب.وبعد كثير من الأخذ والرد مع قيمها الذي لا يعرف غير لغته استطعت أن أفهم – وبمشقة -أن مخطوطات مكتبات بورصة مجمعة في خزانة جامع أورخان."**[102]لذلك غمره فرح عارم حين صادف من يتجاوب معه، يقول :**"ومن حسن حظي أن وجدت قيمها يفهم العربية قليلا".**[103] وساوره ذات الإحساس حينما تمكن من التحدث الى قيمة مكتبة **ملت** وإن

---

[98]- نسيم البوسفور،ص:172.

[99]- نفسه ، هذه المذكرة سيتم إيرادها في الجزء الخاص بالملاحق تحت عنوان "دليل مكتبات اسطنبول وبورصة" ابتداء من الصفحة 205 ومابعدها من هذا الكتاب .

[100]- نسيم البوسفور،ص:194.

[101]-جماليات المكان، غاستون باشلار،ص42.

[102]- نسيم البوسفور ، ص:172.

[103]- نفسه .

باللغة الفرنسية يقول : **"فقد ساعدتني القيمة على إيجاد مكان داخل أحد المكاتب وأحضرت لي ما طلبت من مخطوطات، وهي تتكلم الفرنسية ولولا ذلك ما كنت لأتفاهم معها."**[104]

2 ـ ارتفاع تكلفة النسخ التي كادت أن تجهز على ما بحوزته من مال المنحة يقول :

" توجهت قبل الخامسة بقليل إلى مكتبة السليمانية حيث كان محددا لي موعد استلام بعض الأفلام. ومن المصادفات أني وجدت جميع طلباتي جاهزة ... ولكـــــني أجلت الاستلام لأنه يقتضي في المقابل دفع حوالي تسعمائة ليرة ليس لي منها الآن بالضبط غير نصف العشر، مع أني غيرت خلال مقامي في إسطنبول خمسة وأربعين دولارا. وسأنتظر حتى يوم الإثنين حين أستلم قيمة الشهر الثاني لأسدد المبلغ، علما بأني سبقت للتصوير من قبل أربعمائة ليرة. وأظنك ستستغربين لهذا القدر الذي يفوق مرتب شهر، ولكن استغرابك سيزول إذا علمت أني صورت ألفين وأربعمائة وخمسين ورقة، وكل ورقة صفحتان بالطبع. ولعلك بعد هذا تفهمين لماذا أشد الحزام."[105]

3ـ تأخر النسخ الذي خشي المؤلف أن يؤثر على مسار رحلته ،خاصة حينما حدد وقت السفر إلى القاهرة واشترى التذكرة ،يقول :" **وقد قيل في السليمانية عن طلباتي أنها لن تكون موجودة قبل شهرين أو ثلاثة أشهر بسبب هذا الضغط"**[106]، ويقول أيضا متبرما **:"أما من إسطنبول إلى أنقرة فقد أسافر في الفاتح أو الذي يليه، على الرغم من أني سأنهي العمل في آخر هذا الأسبوع، ذلك أن (الميكروفيلم)لن يتم إنجازه قبل آخر الشهر".**[107]

وبدهي ألا يغفل الكاتب عن زيارة الجامعة فهي المكان الأثير لديه حيث دأب على الذهاب إليها للالتقاء بالأساتذة الأتراك،ومن ثم قدم لنا كرحالة تقريرا أجلى فيه تاريخ نشأتها وعددها وما تضمه من تخصصات ، يقول:"**الجامعة وهي مؤسسة سنة 1845، على عهد عبد المجيد الأول وكانت تسمى أول الأمر بدار الفنون. وكان الطلبة يلتحقون بها بعد أن يتخرجوا من المدارس التي كان يغلب عليها طابع علوم الدين. ولم تحمل اسم الجامعة إلا في**

---

[104]ـ دليل مكتبات اسطنبول وبورصة ، الملحق رقم :1،ص:243.

[105]ـ نسيم البوسفور ،ص: 172 ،يمكن العودة الى الملحق رقم :2 الذي يوضح عدد المستنسخات وتكلفة نسخها ،ص: 251 من هذا الكتاب .

[106] نفسه،ص:159.

[107]ـ نفسه،ص: 153.

بداية عهد أتاتورك أي سنة 1923"[108].ويبدو مرتاحا لرحابتها قائلا:**"وهي تضم في هذا المبنى الفسيح إلى جانب عدد من المدرجات وقاعات المحاضرات والمكتبات، كليات الآداب والحقوق والاقتصاد و الصيدلة والعلوم الفيزيائية والطبيعية والكيميائية. وتضم هذه الأخيرة مجموعة من المختبرات وقاعات البحث"**[109].وقد شدت هذه الأماكن اهتمامه ،لذلك فهو يقدم للقارئ معطيات وافرة عنها ويذكر تفاصيل تغني التصور والتمثل لديه، منها أنه توجد باسطنبول جامعة أخرى" **حديثة خاصة بالدراسات التقنية يطلق عليها الجامعة التقنية...وأكاديمية رسمية للعلوم الاقتصادية والتجارية وخمس مدارس عليا للتجارة والكيمياء والتقنية والاقتصاد والهندسة الكيميائية. وفي مدن تركية أخرى توجد جامعات أهمها في أنقرة وإيزمير وأيرز و رونوطْرابْزون،"**[110]، وأكثر من هذا نراه كأكاديمي يقدم إحصائيات وأرقاما تتعلق بعدد الطلبة لأن ذلك من شأنه أن يمنحنا صورة عن مدى الإقبال على التعليم العالي بهذا القطر انطلاقا من عدد المسجلين به، فيصرح في غير وثوق بل على سمت تقديري فقط **"ويقولون إن عدد طلبة جامعة إسطنبول يفوق عشرة آلاف"**[111]، لكنه يجلي لنا ملمحا آخر للمستوى المتميز للتعليم العالي بتركيا ساعتها ، والذي يتضح من خلال إقبال الطلبة من بلدان أخرى على الجامعات التقنية ، **"ويقولون كذلك إن عدد الطلاب الأجانب كثير في الجامعة التقنية وخاصة في فروع الكهرباء والهندسة المعمارية والميكانيكية والكيميائية."**[112]

ولأنه أستاذ للأدب العربي بكلية الآداب بالمغرب، فإنه لم يتورع عن استقاء بعض المعلومات عن الفضاءات المخصصة للدراسات العربية بجامعة اسطنبول حيث علم **"أن بالكلية قسماً خاصاً للدراسات العربية وبه نحو خمسين طالباً، وأن لهذه الدراسات معهداً مستقلاً عن الكلية به عدد من الباحثين المتفرغين ولا تعطى به دروس وإنما هو خاص**

---

[108]- نسيم البوسفور،ص:194.
[109]- نفسه .
[110]- نفسه،ص:194-195.
[111]- نفسه، ص: 194.
[112]- نفسه .

بالتحقيق والبحث، وله مكتبة ممتازة، ويسمى المعهد الإسلامي، على أن هناك معهداً إسلامياً آخر هو الذي يدرس به الأستاذ ابن تاويت وبه عدد أكثر من الطلاب"[113].

ثمة إذن حب وانجذاب جلي بين الرحالة وبين هذه الأحيزة الأثيرة لديه ، غدا معه ذكرها مشوبا بالرغبة في الإحاطة بها والدنو منها والاطلاع على ما بها، لذلك خامرته حسرة بالغة حين أدرك أن وجود الجامعات ـ التي عنها سمع ـ في مدن أخرى ، سوف لن يتيح له رؤيتها يقول : **"والأسف شديد أني لن أتمكن من زيارة هذه المدن وبالتالي ما بها من جامعات."[114]**

ولعل انشغال الرحالة بارتياد المكتبات في بداية الرحلة في حركة دؤوب نقلته من حيز إلى آخر، سيوازيه ارتياح في الأسبوع الأخير بعد تحصيله للمادة العلمية التي كان يبتغيها ، ومن ثم قال :**"سأستغل الأيام الباقية لي في إسطنبول لأزور أهم المتاحف والقصور".[115]** وبانتقال الرحلة من المقصدية المعرفية إلى الغاية السياحية ستنجلي الفضاءات الدينية والأمكنة التاريخية وكذا الأحيزة الثقافية .

في حنايا المكان وتعرجاته بدت المساجد بسكونها وصفائها ، أكثر الأماكن ألفة بالنسبة للرحالة ،ففيها شعر بالأمان ، وبين صفوف المصلين أحس دفء الجماعة هو الوحيد المعنى في غربته ، وبين أروقتها استمع إلى القرآن يتلى بلسان عربي مبين ، وهناك انتابه خشوع العابدين المتبتلين ، لذلك نراه قد شمر على ساعد التقصي وجهد ألا يغفل أيا منها ، وساعده في ذلك أنه قصدها لأداء شعائره، يقول :**"أما المساجد وتعتبر من أهم ما يزوره السواح ففي أوقات الصلاة فرص لرؤيتها، وقد هيئ لي أن أزور كثيراً من هذه المساجد وخاصة منها المشهورة"[116].**ومن ثم يمنحنا قائمة ليست بالقصيرة لعشرات المساجد ، كمسجد بايازيد ومسجد رستم ومسجد الوالدة والجامع الأخضر ومسجد نوروعثمانية ،وهو وإن وصفها جميعا ،فقد شده جمال المعمار وفخامة البنيان في بعضها، يقول مبديا إعجابه الشديد بالمسجد الأزرق**: "واغتنمت فرصة وجودي قريبا من مسجد السلطان أحمد فأديت فيه**

[113]ـ نسيم البوسفور ،ص:180.
[114]ـ نفسه ،ص: 195.
[115]ـ نسيم البوسفور،ص:154.
[116]ـ نفسه، ص:148.

الصلاة. وعلى الرغم من أني دخلت عشرات المساجد في إسطنبول وكلها استرعت انتباهي ودهشتي لعظمة البناء وروعة الزخرفة وجمال الكتابة و من هنا كانت تسميته بالجامع الأزرق. وهو ينسب للسلطان أحمد الأول الذي أسسه في بداية القرن السابع عشر ويعتبر من بين أعظم معالم هذه المدينة"[117].لكن نقوش الجامع الأكبر ومنبره الرخامي استرعى منه الانتباه والتأمل، يقول:**"فذهبت أولا للجامع الأعظم ULU CAMI وهو مؤسس في أواخر القرن الرابع عشر على عهد السلطانين باجازى ومحمد الأول. وهو من أروع المساجد التي رأيت، ويقولون إنه الوحيد الذي يصل عدد قبابه إلى عشرين. وتعتبر مجموعة كتاباته ونقوشه من أغنى مجموعات هذا الفن، كما يعتبر حفر منبره الخشبي غاية في الإتقان. والعادة أن تتخذ المنابر من الرخام لا من الخشب، ومع ذلك فمنبر هذا الجامع تحفة بديعة.**[118]"،بيد أنه وهو يعاين ويلاحظ ، نراه قادرا على التمييز في نقوش المساجد وقبابها ، وفي أجنحتها ومحاربها بين حضارات متعاقبة تركت بصماتها جلية في العمران ، وماكان ليستنتج ذلك لولا امتلاكه لمدارك تاريخية ومعطيات حضارية بها يستطيع استقراء هوية المكان وتحديد خصوصياته.ومن ذلك ملاحظاته الدقيقة على مسجد شهزاد وعنه يقول :"**وهو من تأسيس سليمان القانوني الذي أقامه ذكرى لمقتل ولديه محمد وجها نغير اللذين ذهبا ضحية غيرة زوجته روكسلان، ويعتبر فن هذا الجامع فريدا من نوعه لمزجه بين الطراز السلجوقي والتركي والهندي والمصري في نقش دقيق للحجر بلغ غاية الروعة والإبداع؛ ويرجع تاريخه إلى منتصف القرن السادس."**[119]وفي سبيل منح متلقيه أخبارا وثوقية المنحى، نراه يذكر تواريخ تشييد هذه الأماكن وطرائق بنائها .

وينطلق من أسمائها لتحديد الآمر بتأسيسها ، مثلما فعل مع جامع الوالدة ،حين قال: **"وقد أسس هذا الجامع على عهدين، بدأت إنشاءه سنة 1597 صفية زوجة السلطان مراد الثالث وأم محمود الثالث، وأتممته سنة 1663 ترخان والدة السلطان محمد الرابع. وهو ضخم البناء ذو شكل مستطيل، ومكسو بزليج في رسوم دقيقة مختلفة يغلب عليها اللون**

---

[117]، نسيم البوسفور،ص:158.
[118]- نفسه،ص:168.
[119]- نفسه،ص:188.

الأزرق"[120]، ومثلما انبهر ببعض المساجد ألفى بعضها عاديا، كما صرح عن مسجد السليمانية:"**وكما يبدو واضحا من اسم جامع السليمانية، فإنه من تأسيس السلطان سليمان القانوني في منتصف القرن السادس عشر، وليس فيه ما يلفت النظر إذا قورن بالمساجد الأخرى سوى ضخامته وروعة نقوشه ورده القوى للأصداء."**[121]

وارتباطا بالمكان وتجلياته تستأثر بالرحالة أحيانا بعض الجزئيات التي تؤثثه وتضفي عليه عبقا خاصا ،ومنها تلك الشموع التي لاحظ أنها ملازمة لأمكنة العبادة، يقول :" **ولست أدري إذا كنت أخبرتك من قبل عن شمعتي المحراب اللتين لا يخلو منهما أي جامع، وكان يهيأ لي قبل أن ألمسهما أنهما عمودان من الرخام الأصفر لضخامتهما وطولهما، فهما في الغالب من مترين ونصف أو ثلاثة أمتار، وقطرهما حوالي أربعين سنتيمترا، وهما مرفوعتان على سكة من النحاس ضخمة وقصيرة، تساعد في تثبيتهما مخاطف تمسك بالحائط، ومكانهما في جانبي المحراب. وغالبا ما تكتب عليهما بعض الآيات، ويوضع على رأسهما مصباح للكهرباء مكتوب كذلك. وكثيرا ما يكون إلى جانبهما شمعتان على نفس الهيئة والشكل، ولكن في حجم صغير"**[122]،وقد جهد أن ينقل لنا تفاصيل سلوك المصلين داخل المساجد، ومن ذلك عاداتهم في حفظ السبحات في أكياس، وكذا خلعهم للقبعات عند دخولهم للمسجد واستعمال بعضهم للطاقيات المختلفة الألوان والأنماط ،كما استلطف عادة تبادل الطيب بين المصلين عقب انتهاء الصلاة، وكأنهم بذلك يعطرون مجالس ذكرهم الشذية بابتهالاتهم ،وهو في كل هذا يعاين مدى احترامهم لهذا الموضع الطاهر حيث يؤدون شعائرهم. ومن أجل هذا أحب هذه المواضع حين قال :"**وأود وأنا أودع هذه الأماكن التي غدت أليفة لدي أن أخلد ذكرها في هذه الصفحات التذكارية لاسيما وأنها جزء مهم وعظيم من تاريخ هذه المدينة وآثارها."**[123]

وتكاد المتاحف بعراقتها أن تستأثر بدهشة هذا المسافر إلى بلاد البوسفور ، ففيها يقف التاريخ بجلال ، يلبس بهاء الحضارة ،و تمنحنا المعروضات حكاياها بسخاء ، وكل قطعة

---

[120]- نسيم البوسفور،ص:189.
[121]- نفسه ،ص:194.
[122]- نسيم البوسفور،ص:189.
[123]- نفسه،ص:193-194.

تنطق في صمت ، فتخبر عن خفاياها ، ومن سكون الأشياء نغوص في ثناياها، لذلك كان شغوفا بذلك يقول: **"لقد أمضيت يوماً حافلا بالزيارات إذ ذهبت إلى متحف الآثار ومتحف الخزف والزليج وحديقة الحيوان، ومتحف الآثار الإسلامية ومتحف الفسيفساء"**[124]، وفي كل هذه الأحيزة حرص على أن يمدنا بالخلفية الأركيولوجية لموصوفاته ، مرتدا ليسترجع تاريخ نشأتها وتشكلها. ومن ثم عمد إلى الوصف كتقنية أسلوبية تعينه على تقديم مشهدية بينة تؤثثها قدرته على التصوير الدقيق لمرئياته .فتساوق في نصه العرض التاريخي مع سعيه لتقريب ما يبصره إلى المتلقي وذلك بإسباغ نعوت تكاد تجعله ماثلا للعيان ، وقد كان يقصد إلى ذلك قصدا ،يقول مخاطبا زوجته :**"أرجوك أن تقرئيها بتمعن وهدوء محاولة تصور تلك الأماكن في لحظة زيارتي لها، لأني قصدت من هذه الصفحات ...أن أصحبك معي في زيارة تلك المعالم "**[125]، لذلك نراه يستطرد في الشرح والتفسير والتشبيه والمضارعة وهو يتغيى خلق صورة لغوية نظيرة للمرئي الواقعي الذي يشاهده **"وأخشى أن تجديها مملة بما حوته من وصف واستعراض".**[126]

وقد اتبع الرحالة نهج التدقيق والتفصيل والإحاطة بما ينقل من أوصاف تتعلق بما رآه في المتاحف ، أسعفه في ذلك قدرته على الاستبطان والتمييز والتقييم ، فحين زار متحف الآثار وعاين ما عرض به من تحف ولقيا وقطع نادرة ،استخلص أنها **"تكشف أثر الحياة والإنسان في هذه البلاد لتلك العهود، بل تكشف صراعه من أجل البقاء كما يصور رسم هرقل وهو يقتل أسد (نيمي)، وهي لا تكشف الصراع فقط وإنما المتعة كذلك على حد اللوحة التي رسم فيها (أورفي)وهو يعزف على القيثارة وحوله من خلال أغصان الأشجار طيور أليفة جميلة كالبط والطاووس".**[127]فهو لا يكتفي بالوصف بل يلاحظ ويستنتج ويقارن ثم يحكم ، انطلاقا مما يعرفه عن الموضوع الذي يعاينه ، وذلك ذاته ما قام به حين رأى متحف الزليج وذكر**أن "بنايته ترجع إلى عهد الفاتح، وهو يضم أجزاء وقطعاً مختلفة من الخزف والزليج السلجوقيين، ويغلب عليها اللون الأزرق داكنا وفاتحا، كما يضم من الخزف والزليج**

---

[124]- نسيم البوسفور ،ص:164.
[125]- نفسه، ص:201.
[126]- نفسه.
[127]- نفسه،ص:165.

التركيين"[128]،واستنتج أن ذلك إنما" **يدل على دقة الزخرفة ونصاعة الألوان وجمال الكتابة."**[129]

فإبداء الرأي كان ملازما له وهو يستكشف نفائس التحف فيعجب وقد ينبهر ، لكنه مع هذا وذاك نعاينه وهو يركن إلى التقييم، وإذا كان أهم مالفت نظره في متحف الفنون الإسلامية هي " **القاعة رقم 1 وما بها من مصاحف بمختلف الخطوط والأحجام، بعضها على الورق وكثيرها على رق الغزال أو جلد الجِمال. "**[130]وبتأمله ومعرفته بالخط الأندلسي رجح " **أن غير قليل من هذه المصاحف يرجع إلى عهود الأندلس على ما يبدو من الخط. ومن أروع هذه المصاحف مصحف صغير في حجم مصحف الصدف الذي عندنا، وهو عبارة عن لوحات من الفضة محفور عليها القرآن الكريم"**[131]وانطلاقا من معرفته بالنص القرآني قدّر أن ما يوجد في ذلك المصحف من آيات قائلا**:" وما أظن ما ضمّه يتعدى جزءاً أو جزءين"**[132].

إذ هناك تفاعل جلي للرحالة مع المرئيات ، يحتكم فيه إلى مداركه في تقبل الأشياء, وإذا كان قد وجد متحف الفسيفساء "**على بساطة تنظيمه في غاية الروعة والأهمية"**[133].فإن متحف المدينة في بورصة أثار انتباهه إلى غرابة قطعة نقدية مقعرة يقول وهي " **من الذهب مستديرة وفي مقياس درهمنا، رسم فيها رجل وامرأة واقفين، ولكن <u>الغريب</u> فيها أنها غير مسطحة وإنما مكورة من الجوانب على شكل جفنة وهي مسكوكة في عهد قسطنطين العاشر"**[134].فالرحالة دائما يسعى لاكتشاف الغريب والعجيب والبعيد عن المألوف .

وعن متحف توبكابي قال :"**والواقع أن الحديث عن هذا المتحف وما يحوي من كنوز وذخائر ونفائس لا تكفيه مجلدات، ولكني سأكتفي بأن ألقط لك بعض ما يلفت النظر وبإيجاز"**.[135] وإذا كان المبنى في مجمله تسمه البساطة ويبدو عاديا فلعل أهم ما لفت نظر الرحالة هو أروع قاعات القصر وأفخمها نقشا وزخرفة وهي تلك التي تضم الأمانات

[128]- نسيم البوسفور، ص: 165.
[129]- نفسه.
[130]- نفسه،ص:166.
[131]- نفسه.
[132]- نفسه.
[133]- نفسه،ص:167.
[134]- نفسه،ص:169.
[135]- نفسه ،ص: 176.

المقدسة، أي بعض المتعلقات التي تخص رسولنا الأعظم ص، يقول : ""**وفي الوسط وضعت واجهة دائرية وضع في داخلها صندوق صغير من الذهب والأحجار يقولون إنه قد وضعت فيه بعض أسنان الرسول ص. وفيها كذلك، وداخل صندوق مفتوح، حجر عليه آثار قدم يقولون إنها آثار قدمه عليه السلام. وبالواجهة رسالة صغيرة في إطار مضاء يذكرون أنها رسالة الرسول ص للمقوقس ملك القبط يدعوه للإسلام. وفي ركن من هذه القاعة شباك يطل على ممر يطل بدوره على غرفة بواسطة شباك آخر. وفي داخل هذه الغرفة التي تبهر بذهبها وبإضاءتها الفنية الرائعة، وضعت صناديق مصنوعة من الذهب والجواهر تحفظ بها جبة الرسول التي أهداها الشاعر ابن زهير إثر إنشاده قصيدة "بانت سعاد،" وسيفان أضيفت لهما أيد وأغشية مرصعة"**[136].وذكر أن تقديس تلك القاعة بلغ حد حظر لمس الشباك المحيط بها ، بل وحتى أمر تنظيفها عهد به إلى أحد رجال الدين .

ولست أظن إلا أن الكاتب استوقفته هذه القاعة بما تحويه من آثار مرتبطة برسول الإسلام، والموجودة في بلد صار علمانيا!

غير أن ما شده في غرف متحف المدينة، هو "**تلك التي خصصت للأراجوز؛ وهو فن صيني في الأصل حمله من الصين فنانون أتراك في عهد قديم. وهم يفتخرون بذلك بل يفخرون على اليونان الذين يريدون أن ينسبوا لهم هذا الفن، ولكنهم –على زعم الأتراك- لم يستطيعوا حتى التخلص من تسميته التركية. وقد عرضت في الغرفة مجموعة من العرائس ولعب الظل في إطار خاص"**[137]. واستنتج الرحالة أن جل الشخصيات المعروضة مرتبطة بالمجتمع التركي كالغني والتاجر والسكير والمتسكع واليهودي وغيرها. وقد سعى وهو ينظر إلى المسرح الصغير أن يتصور طريقة تشغيل هذه الدمى، يقول مخاطبا زوجته **:"وعرض في داخل الغرفة مسرح صغير مغطى بشاشة بيضاء من القماش، خلفها نماذج من هذه الشخصيات يلقى عليها الضوء فتسير لتقدم من خلال ظلال متحركة مسرحياتها المضحكة والمليئة في نفس الوقت بالنقد والحكمة والفلسفة. وكان الضوء الذي يلقى على هذه**

[136]- نسيم البوسفور ،ص:177.
[137]- نفسه ،ص:193.

العرائس من الشموع، أما النموذج المعروض فمضاء بالكهرباء ولا يعمل وإنما صورت لك كيفية عمله كما تخيلتها وكما تتم في الواقع."[138]

وإذا كان الأتراك يسعون إلى نسبة فن الأراكوز إلى أنفسهم ،فإن الأستاذ عباس الجراري الذي ذكر هنا أن أصل هذا الفن يعود الى الصين ، نراه بعد أن محص في تاريخ المسرح عند العرب والمغاربة سنة 1977 يقول وهو يستعرض إرهاصاته وبوادره ومنها خيال الظل قائلا :**" وإن مال الظن أن الأتراك تلامذة المصريين في هذا الباب استنادا إلى أن فرقة مصرية لخيال الظل زارت تركيا سنة اثنتي عشرة وستمائة وألف، وكانت برئاسة الشاعر الزجال داوود العطار"**،[139]ومع ذلك يأتي على ذكر إحدى الأساطير التركية التي ترجع نشأة كراكوز أو القراقوز الى حادث وقع في عهد السلطان أورهان عند منتصف القرن الرابع عشر الميلادي .[140]

وبعد أن تملى في المعمار الإسلامي وتجلياته وسبر أغوار متاحفه ومساجده استبدت به الرغبة للاطلاع على ملمح آخر لتركيا وتجشم في سبيل ذلك عنتا لا يخفى ، حين سافر إلى بورصة ،قال : **" ولم أرد أن تفوتني زيارة بعض الآثار الباقية من عهد البيزنطيين فسألت وسألت وكدت أيأس من الوصول إليها، ولكني بعد ساعة من البحث المتعب وصلت إلى منطقة تسمى هيصاري وهي في أقصى المدينة وأعلاها - إذ أن مجموع المدينة على شكل منحدر- فوجدت آثار قلعة قديمة لم يبق منها إلا باب متهدم وبعض الجدران الخربة"[141].**

لكن زياراته إلى هذه المواضع برمتها أجلت له ما تعرفه هذه المآثر من إهمال جلي، حيث بدت متآكلة تكاد أن تنهدم ،مثل متحف القديسة إيرين " **وهو عبارة عن معبد بيزنطي بل أولى كنائس المدينة. وقد قدم العهد بإصلاحه حتى بدأ ينفض ويكشف عن أحجاره، وليس به**

---

[138]- نسيم البوسفور، ص: 193 .

[139]- الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه، عباس الجراري مطبعة النجاح الجديدة ،الدارالبيضاء،المغرب، الطبعة الثانية 1982 ، ص:258 .

[140]- مفادها أن : السلطان أمر ببناء جامع "وكان يشرف على بنائه شخصان ، أحدهما بناء هو كراكوز ،والثاني حداد هو حاجي عيواظ .ولكن مرح هذين الرجلين وميلهما الى القص والحكي والتسلية حالا دون إنجاز العمال للبناء في الوقت المحدد،وأصدر السلطان أمرا بقتل الرجلين ،ولكن سرعان ما تملكه الندم والحزن على ذلك،فلجأ أحد مسليه واسمه كوسترى إلى وضع ستار في إحدى غرف القصر ، وأخذ من خلالها يعرض أمام السلطان شخصية الرجلين المرحين بمغامراتهما المضحكة ".نفسه،ص:258-259.

[141]- نسيم البوسفور،ص:170.

من المعروضات إلا مجموعة كبيرة من المدافع القديمة وضعت في أفنيته وبعض حجراته"[142].

وربما كان ذلك نتيجة اهتمام تركيا بالحضارة الإسلامية وازدرائها أو إهمالها لما عداها، ولا أدل على ذلك من الأوصاف التي قدمها الرحالة للمتاحف والقصور والمساجد الإسلامية والتي توضح الصيانة والعناية التي تحظى بها .

ولم يفت الكاتب أن يزور أحد أهم معالم تركيا الشهيرة وهو مبنى أيا صوفيا العجيب ـ كما وصفه ـ وبعد أن تحدث عن تاريخه الذي يعود إلى القرن الرابع الميلادي قائلا وضخامته وعلو بنيانه وأنه في الأصل كان كنيسة يقول :"**ولعلك تعرفين أن المعبد حول مسجداً في عهد الفاتح أي في منتصف القرن الخامس عشر، وأنه حول بعد ذلك متحفاً في عهد أتاتورك. ومن مظاهر الإسلام التي تشع في هذا البناء محرابه الدقيق الزخرفة ومنبره الحجري المنقوش وكتابات في دوائر بالأعلى تبرز أسماء محمد وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن والحسين.**"[143]ولعل الخلاصة التي يمكن أن نظفر بها من تقديم الرحالة لهذا المكان هو هذا الطمس للمعالم الحضارية البيزنطية ، ورسوخ الوجود الإسلامي بتحوله من كنيسة الى مسجد ثم متحف ، ممثلا في النقوش والمنبر والمحراب المنقوشة عليه أسماء الرسول ص وصحابته وأسباطه.

وإذا كان رحالتنا يرتكز على التاريخ ووثائقه حين يقول مستعرضا مراحل بناء أيا صوفيا :"**وهو في الأصل كنيسة أقامها قسطنطين في بداية القرن الرابع، ثم أعاد بناءها تيودوس الثاني في بداية القرن الخامس بعد أن أصابها حريق. ثم تعاقبت على المدينة ثورات وانقلابات جعلت المعبد يهدم ليقيم مكانه الإمبراطور جوستنيان هذا البناء الذي يشاهد اليوم، والذي حمل له الرخام والأحجار المختلفة الألوان من مصر وإفريقية وغيرها من البلاد"[144]**،فمن الطريف حقا أن نلفي ابن بطوطة الذي زار نفس الصرح في زمن ولى

---

[142]ـ نسيم البوسفور، ص: 179.
[143]ـ نفسه.
[144]ـ نفسه .

يقدم تاريخا مباينا قائلا **:" أيا صوفياء ويذكر انها من بناء آصف بن برخياء ، وهو بن خالة سليمان عليه السلام ، وهي من أعظم كنائس الروم." [145]**

وقد يسهب الرحالة في وصف المكان والتوغل في ماضيه بهدف الإحاطة به ومنح نظرة شاملة عنه،"**فالمكان التاريخي لا يذكر بمعزل عما مر به من حوادث**".[146]

فحين زار بورصة قال متوجها بالحديث لزوجته "**ولعلك تودين معرفة قليل عن تاريخها. ...تدرجت المدينة في مراحل مختلفة تبعا للدول التي تعاقبت عليها من بيزنطية وسلجوقية وعثمانية، بل إنها كانت عاصمة الدولة منذ عهد السلطان أورخان غازي الذي فتحها سنة 1326م حتى عهد السلطان محمد الفاتح الذي نقل العاصمة سنة 1453 إلى القسطنطينة أي إلى إسطنبول. ولم تنقل العاصمة إلى أنقرة إلا في عهد أتاتورك**"[147].ومثل هذه المعلومات تضفي على الرحلة عمقا معرفيا ، لأنها تنحو بالخطاب من سطحية الوصف إلى استكناه البعد التاريخي للأمكنة المرتحل إليها ، وتتيح للمتلقي التعرف على هذا الفضاء ليس في لحظة الزيارة فحسب، بل إن الارتداد من شأنه أن ينحو به صوب تشكيل بطاقة هوية لذلك المكان عينه.

وإذا غدت الأزقة والشوارع والأسواق فضاءات نزهة وتجول بالنسبة للكاتب فإن رغبته أوعزت له بزيارة إحدى "جزر الأمراء" في بحر مرمرا جنوب اسطنبول ،وتعتبر من المعالم السياحية الذائعة الصيت في تركيا يقول " **وأهم ما يلفت الزائر سكون مطلق يخيم على الجزيرة، لاسيما وأنه لا أثر فيها للسيارات وإنما يتم التنقل داخلها بالدراجات والدواب وعربات الخيول. وأكثر مطاعم الجزيرة تقدم السمك**"[148].

وعلى غير المتوقع فوجئ الرحالة بهذا الفضاء الذي خيب أفق انتظاره فقال:"**وليس للزائر ما يشاهد في هذه الجزيرة غير البحر، يجلس قريباً منه في مقهى**

---

[145]- تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، ابن بطوطة، ج:1 ، ص: 357 .

[146]- الرحلة في الأدب العربي، شعيب حليفي ، ص229:

[147]- نسيم البوسفور،:173.

[148]- نفسه ،ص: 161.

صغير ليستمتع بمنظره ويشرب الشاي أو القهوة أوغيرهما من المشروبات"[149].فالكاتب لا يحكم على الأشياء حتى يراها ،زاده في ذلك مشاهدته وعدته تقييمه ، فهذه الجزر إنما تمتلك أهميتها من تاريخها الذي كانت بموجبه مكان نفي للأمراء والقواد والثائرين ، أما حاضرها فلم يجذب المؤلف سوى إلى شيئين :أولهما تجلى في قوله **:"ومن أعجب ما رأيت في هذه الجزيرة نوع من القرعة السلاوية (أو الشريفة) يزيد طول الواحدة منها على متر ونصف.**[150]وثانيهما هذه الورود النظرة العطرة التي ابتاع منها باقة بعثها إلى زوجته قائلا :**"ومن ألطف الأشياء أن الناس يتفاءلون بزهور هذه الجزيرة وورودها، بل أن العادة جرت أن يشتري الزائر باقات صغيرة تباع في المرسى وداخل الباخرة. وكم كنت أتمنى لوكنت معي حتى أهديك باقة من هذه الباقات العطرة الجميلة، ومع ذلك فلم أترك الفرصة تمر دون أن أرسل لك صحبته بعض الزهور قطفتها بنفسي. "**[151]ولم يفت الرحالة وهو يتحدث عن المدن التي إليها سافر أن يبحث عن سر تسميتها ، حيث خلص إلى أن بورصة هي"**من تأسيس بروسياسPRUSIAS بإيعاز من هنبال الذي كان لاجئا عنده في أواخر القرن الثاني قبل الميلاد، وربما كان اسمها مأخوذا من اسم مؤسسها"**[152]، أما اسطنبول فعنها يذكر **:" ومن اللطيف ما يقال من أن إسطنبول تحريف لإسلامبول ومعناه بلد الإسلام"،**[153]ومن اليسير أن نلاحظ أن الكاتب يعرض مايقال دون أن يبدي تأكيده ، ولكن ربما مال به الرأي إلى إعمال كفة الترجيح استنادا إلى الاشتقاق اللفظي للتسميات. . وإذا كان الوصف أسلوبا ينتهجه الرحالة لتقديم نعوت لمرئياته، فإننا نراه يستعين فضلا عن ذلك بالصور والرسومات لتقريب الرؤية لمخاطبه ، يقول في إحدى خطاباته: **"وقد تصلك مني بطاقات ... عن هذه الزيارة أو تلك."**[154] وقد استعان رحالتنا بذلك حين بعث صورة المطفية المشيدة منذ عهد قسطنطين والتي زارها في بورصة، بعد أن قدم أوصافا ضافية عنها يقول :**"ولها منظر رائع – كما لاشك لاحظت في البطاقة التي بعثت لك – حيث أن بها اثنى عشر صفا من الأعمدة عليها أقواس**

---

[149]- نسيم البوسفور، ص: 161.
[150]- نفسه .
[151]- نفسه،ص: 162.
[152]- نفسه، ص: 173.
[153]- نفسه.
[154]- نفسه،ص:154.

تُعطي في مجموعها شكل قباب صغيرة، وفي كل صف ثمانية وعشرون سارية، ولها من الطول مائة وأربعون متراً ومن العرض سبعون. ونظراً لأن الإضاءة لاتصل إلى كل أجزائها وخاصة منها الداخلية فإن الناظر يحس كأن أعمدتها متصلة إلى مالا نهاية"[155].وحين زار نافورة الجامع الأعظم لم يتوان عن تمثيلها لعين مخاطبه بمزاوجة النعوت بإرسال صورة عنها ، يقول :" **وأهم ما لفت نظري هو وجود خصة كبيرة وسط الجامع وتحت قبته الكبيرة، وحولها أحواض صغيرة للوضوء،**

[155]- نسيم البوسفور ، ص:185.

وقد أرسلت لك بطاقة تمثل هذه الخصة وتبرز بعض الكتابات. "[156] أما المتعلقات الخاصة بالرسول ص، فبعد أن ذكرها وأسبغ عليها صفات أحاطت بكل تفاصيلها ،أشار على زوجته كي تستوثق من منظرها أن تعود لتأملها في دليل سياحي قائلا : "**ولعلك واجدة في أسفل خزانة الفراشات نشرة مصورة كنت أخذتها من السفارة التركية بالرباط عنوانها "الأمانات المقدسة" فارجعي إليها فستعينك على تصور عظمة المكان."**[157]

و"هكذا تصبح الرحلة حين تزاوج بين الصورة والكلمة نصا يخلق تعدد الأنظمة التي تتكامل فيها العلاقة اللغوية بالعلامة الأيقونية التي تسمح بالرفع من نسبة التأويل وصولا إلى تخوم الفهم والتفسير".[158]

وسوف يستعين هذا النص المكتوب بالمرسوم ، فبعد أن قال يصف الطريق إلى جامع أيوب :"**أخذت الحافلة إلى الجامع الذي ذكرت، والطريق إليه طويل، فهو في منطقة أيوب وتقع في أقصى شمال المدينة الغربي عند نهاية خليج "قرن الذهب" ومشرفة عليه."**[159]ويردف "**ثم قمت بجولة سريعة في المنطقة، عدت بعدها إلى وسط المدينة، ولكن ليس في الحافلة وإنما في مركب صغير يصل حتى مدخل الخليج عند قنطرة كـالاطا."**[160]سوف يعمد الى رسم خريطة دقيقة المعالم عين فيها بمهارة خليج البوسفور الذي يشق اسطنبول إلى ضفة أسيوية أجلى بعضها ، كما وطن طرفا من الجزء الشمالي من المدينة الجديدة الأوربية وحدد موقع طرف آخر من الجزء الجنوبي من الضفة الأوربية المدينة القديمة ، ولم يغفل أمكنة البحر الأسود وبحر مرمرا، ووضع نقاطا بالخريطة تؤشر على المآثر والمعالم والكنائس والقصور والمكتبات والمساجد والجوامع الموجودة على الضفتين، مجليا قنطرتي أتاتورك وكالاطا وخليج قرن الذهب ،كل ذلك في إجادة ودقة متناهيتين ،وكأننا إزاء جغرافي خبر الأبعاد وأتقن حساب المسافات . ولا عجب في ذلك فالرحلة انطلقت في بدايتها من أتون البحث الجغرافي ولا أدل على ذلك من رحلة الادريسي نزهة المشتاق ورحلة ابن حوقل ومن لف لفهما ،

---

[156] ـ نسيم البوسفور،ص:169.
[157]ـ نفسه ،ص: 177.
[158]ـ الرحلة المغربية ، ص: 115.
[159]ـ نسيم البوسفور ،ص:182.
[160]ـ نفسه،ص: 183.

حيث **"أصبحت الرحلة مطية الاجتهاد الجغرافي متفردا ، وهو يميط اللثام عن المجهول...أو وهو ينجز الكشوف الجغرافية الكبرى، "**[161]وكان **"هذا الحس الجغرافي الفطري وحده ...عينا مبصرة في معية الرحلة ترشد خطواتها على الطريق ."**[162] وربما ساعد الرحالة في ذلك المهارات الشخصية التي يملكها والتي مكنته من تمثل واقع فعلى برسم خرائطي مبين ، ولعل كثرة ارتياده لهذه الأمكنة ، وركوبه الحافلة التي أتاحت له فرصة تملي كل المباني المشيدة على امتداد الطريق المؤدية إلى جامع أيوب ،وكذا المركب الصغير الذي قاده في جولة عبر قنطرة كالاطا ، كل ذلك منحه القدرة على مساوقة المكتوب بالمرسوم والمرئي بالمتصور .وسوف يعيد الكرة بكل إتقان حينما أقدم على رسم خريطة لبورصة متقفيا فيها إحداثيات هذه المدينة العريقة المنشأ. وهذا ما يؤكده حسين محمد فهيم في قوله: **"ونظرا لارتقاء الوصف في كثير من أعمال الرحالة وبلوغه حدا كبيرا من الدقة ، علاوة على الأسلوب القصصي السلس والمشوق ، أدخلت ادبيات الرحلات متعة ذهنية كبرى".**[163]

[161]ـ الرحلة عين الجغرافية المبصرة ،صلاح الدين الشامي،منشأة المعارف ،الطبعة الثانية 1999،ص: 156

[162]ـ نفسه ،ص:32

[163]ـ أدب الرحلات ، فهيم محمد حسين ، سلسلة عالم المعرفة ،رقم 138، الكويت ، يونيو 1989

جامع أيوب
طرف من الجزء الشمالي من الضفة الأوربية للمدينة
(المدينة الجديدة أو الأوربية)
شكله
قديم
الجزء من الضفة الأوربية للمدينة
أسكودار
بحر مرمرا

4. رفقة السفر: الشخصيات :

ولما كان "**المكان هو ما يؤسس الحكي**"[164] داخل المتن الرحلي فإن سرد الأحداث مثلما ارتبط بالسفر الذي منحه ميزة التنامي تبعا لحركة الرحالة في المكان، ارتبط أيضا بالشخصيات التي لاقاها هذا المسافر في مبارحته لمواضع وحلوله بأخرى، ولا غرو أنها تمثل داخل متن الرحلة ، الآخر بوجوده الفعلي الذي سعى الرحالة لأن يؤسس معه علاقات جديدة، أن يتواصل معه أو ينفر منه ، فكاد أن يغدو عاملا مساعدا له أو معيقا لتقدمه ،و من ثم يمكن أن نتبين بجلاء داخل نسيم البوسفور شخصيات عابرة وأخرى أثيرة.

إذ تمنحنا الرحلة أسماء أشخاص ظلوا مبهمين فلم نتبين ملامحهم إلا من خلال المهن التي إليهم أسندت كممثلة الشركة ومندوب الوزارة يقول :"**وفي مطار إسطنبول وجدت ممثلة الشركة تبحث عني لتوصلني بمندوبي وزارة التعليم والجامعة اللذين جاءا لاستقبالي**"،[165] و كذا قيمي المكتبات والإمام والقاضي والنادل ومرتادي المقهى ، ولا غرو أن الإحجام عن التفصيل والوصف بخصوص هؤلاء مرد ه إلى أنها لم يكن لها أثر بين في رحلة الكاتب وإنما اقتضتها ظروف المعاملات اليومية مما جعلها تمر في خفر .

بيد أن هذا النص أجلى اسم علمين اثنين كان لهما جميل الوقع على فؤاد رحالتنا ،أما أحدهما فالأديب المغربي العلامة محمد بن تاويت الطنجي، وأما ثانيهما فالأديب الفلسطيني الكبير الدكتور إحسان عباس،اللذين نفسا كربة رحالتنا وشدا أزره وآنساه.

فلقاء الرحالة بالأديب ابن تاويت أدخل البهجة عليه حتى قال :" **ومن المفاجآت السارة في صباح هذا اليوم أني وجدت العلامة الكبير السيد محمد بن تاويت الطنجي (وينطقونها هنا بترقيق الطاء)ينتظر وصولي إلى هذه الخزانة. وكنت قد كلمته بالهاتف أخبره بهذا الوصول**"[166].وتبدو الآصرة بين الكاتب والعلامة ابن تاويت الذي كان يُدَرس ـ ساعتها ـ بالمعهد

---

[164]ـ بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي ، حميد الحميداني،المركز الثقافي العربي، الطبعة : 3، سنة 2003،ص:7

[165]ـ نسيم البوسفور ،ص: 137.

[166]ـ نفسه ،ص:142.

الإسلامي بإسطنبول ـ مكينة ، فمعرفته به تعود إلى لقائه به في المجالس العلمية الجمعية بالنادي الجراري يقول الأستاذ عباس الجراري :" **في صيف عام خمسة وستين...كنت ملازما لجلسات نادي الوالد ...وكان العلامة الطنجي بعد أن عاد الى المغرب موظفا بوزارة الدولة للشؤون الإسلامية ، غالبا ما يحضر هذه الجلسات الجمعية التي أتاحت لي أن أتعرف إليه،عالما كبيرا يتمتع بفكر هادئ رزين ،وشخصية وديعة مرحة** .... "[167]،وقد ذلل الصعاب أمامه نظرا لما له من مكانة علية لدى القيمين على المكتبات يقول الرحالة :" **والأستاذ الطنجي معروف لدى القائمين على هذه المكتبة وعلى غيرها لمكانته العلمية الكبيرة فحدثهم عني وعن هدفي من زيارة تركيا، موصيا إياهم أن يمدوا لي يد العون. ثم انصرف إلى عمله بالمعهد الإسلامي بعد أن وعدني بالعودة لتناول الغداء معه. وما كاد ينصرف حتى أحضر لي المناول بسرعة فائقة عشرة كتب مخطوطة كما كنت طلبت. وكما وعد فقد عاد السيد ابن تاويت قبيل أذان الظهر، وأخذني إلى مطعم غير بعيد مألوف لديه، وقدم لي صاحبه بأنه أحد تلاميذه. وحين أخبرته بسرعة مناولة المخطوطات قال: "الحمد لله أن مخطوطاتنا العربية وصلت إلى يد العجم فحافظوا عليها "**.ولا ريب أنه استبشر خيرا بهذا اللقاء الذي بعث فيه روح الأمل ،قال: "**كانت هذه الضيافة مع التوصية من البشائر التي تفاءلت بها لتحقيق هدفي من الرحلة، "[168]**،** لذلك سيشدد ،هو الوحيد في غربته ،على الإبقاء على الصلة مع هذا الأديب الأريب المنحدر من موطنه يقول: **"فشكرته على أن نبقى متواصلين خلالها متى أمكن".**[169]

والواقع أن الأستاذ عباس الجراري كان وفيا لما أسداه له هذا الرجل النبيل، لذلك لم يفته في حفل التأبين الذي أقامته السفارة التركية على إثر وفاته سنة 1975 أن عاد به الحنين إلى هذه الأيام حذاء البوسفور حيث قال:"**وقد تسنى لي خلال الأسابيع التي قضيتها في تركيا ، أن أسعد بلقاء متواصل مع الأستاذ الطنجي الذي رحب بي ـ رحمه الله ـ وابتهج لقدومي ،وأكرم وفادتي ،وأخذ بيدي وفق برنامج ضبطه بنفسه ، وهو ما أتاح لي زيارة مختلف مكتبات اسطنبول وبورصة ،التي يسر لي الاتصال بقيميها الذين كانوا يظهرون له الكثير**

---

[167]ـ مع المعاصرين أسماء وآثار في الذاكرة وفي القلب ، عباس الجراري ،ج:4 ،ص:78 ـ 79.
[168]ـ نسيم البوسفور ،نفسه ،ص:142.
[169]ـ نفسه.

من الاحترام والتقدير، ويبدون له كامل الاستعداد لتصوير ماكنت استفدته وأود الاحتفاظ به من مصورات مخطوطات تلك المكتبات ."[170]

وسوف تبدو شخصية أخرى بددت قتامة عزلة الرحالة ذلك هو الأديب إحسان عباس الذي كانت تجمعه علاقة صداقة وطيدة مع الأستاذ ابن تاويت قال : **"والحق أني قضيت وقتا ممتعا مع الدكتور إحسان الذي أبى –وفي إصرار- إلا أن يدعوني للغداء ؛ فذهبنا إلى مطعم بشارع الاستقلال، وهو من أرقى وأعظم شوارع هذه المنطقة"**[171].وقد ألف الرحالة هذه الصحبة النبيلة حتى أننا نراه يعود الدكتور إحسان عباس بعد علة ألمت به قائلا:**"ذهبت صباح اليوم، على الساعة التاسعة والنصف، لعيادة الدكتور إحسان عباس الذي أصيب – بسبب تقلبات الجو- بنزلة صدرية ألزمته الفراش طوال الأسبوع. "**[172]

والحال أن حالة الضجر والتبرم والإجهاد برمتها كانت تتحول إلى انشراح وارتياح حينما يلتقي الكاتب بهذه الشخصيات المبدعة العالمة المانحة لأسباب الانبساط والتدارس والتفكه، يقول:**"والحق أني قضيت يوما في غاية التعب لم يخفف منه إلا بعض الوقت أمضيته مع الدكتور إحسان والدكتور يوسف نجم والأستاذ ابن تاويت بعد الخامسة،فكانت جلسة أدبية ممتعة تخللتها نكت وطرائف"** .ويبدو أن المقصود بيوسف نجم هو الأديب والناقد الفلسطيني محمد يوسف نجم الذي كانت تلمه آصرة شديدة بالدكتور إحسان عباس.

ولست أظن إلا أن الدكتور إحسان عباس لم يسل عن هذه اللقاءات التي جمعته إلى العلامة ابن تاويت في ذات الصيف بإسطنبول ، لذلك نراه يوثق للفترة عينها في سيرته الذاتية **"غربة الراعي"**، مبديا الامتنان لهذا الأديب الذي كانت له عليه أفضال شتى هو أيضا ،قائلا :" **وأنا أقضي إجازة سنة1968 في استانبول وأعمل يوميا في مكتبة السليمانية ، حيث جمعت عشرات المكتبات التي تحوي مخطوطات عربية ، أطلع وأقرأ وأدون ما أجده مهما،كانت صداقتي لمحمد بن تاويت الطنجي الذي يدرس في كلية الإلهيات باستانبول وأنقرة تسهل علي الوصول إلى ما أريده في بلد لا أحسن لغة أهله،وكان ابن تاويت عارفا**

---

[170]- مع المعاصرين أسماء وآثار في الذاكرة وفي القلب ،ج:4 ص: 80.
[171]- نسيم البوسفور ،ص: 192.
[172]- نفسه، ص: 198 .

بالمكتبات ، فزرت معظمها بصحبته، كما كنا نقضي الأمسيات معا في المقاهي ، ونخصص بعض الأيام لركوب المركب الذي ينقل الركاب بين استانبول واسكدار أو نذهب إلى الجزائر القريبة بويوكاضا وأخواتها."[173]لكننا نلاحظ أن الأستاذ إحسان عباس قد أغفل الحديث عن الأستاذ الجراري والأستاذ يوسف نجم كليهما في إيراده لهذه الذكريات ،وربما خانته الذاكرة فسقطا من خرومها، خاصة أنه تنبه إلى بعد العهد بكتابة سيرته الذاتية حين قال : **"وإذا كان هناك من عيب في الإقدام على كتابة مثل هده السيرة ،فذلك هو أنها تأخرت في الزمن ، وكان في الحق أن أكتبها قبل حلول الشيخوخة ."**[174]

وحيث أن الرحلة تستند على مركزية خطاب ينبثق من ذات المرتحل الذي يغدو راويا لأحداثها وناقلا لتفاصيلها، وبطلا لمغامراتها ،وشاهدا على وقائعها ، ومدبجا لنصوصها، فإن ذاتيته الفعلية سوف تتزيي بلبوس لفظي حين يغدو ضمير المتكلم أس الزاوية والمرتكز داخل هذا الصنف القولي ،**"فبنية الضمائر مرآة أولية لفهم طبيعة اشتغال الذات /الأنا في النص ، خصوصا حينما يتعلق الأمر بنص شخصي ينبني على فعل وسلوك واستيهامات ذاتية ."**[175]

فالأنا داخل نسيم البوسفور كانت الكاتب الواقعي المدون اسمه كعلم على صفحة الكتاب بصفته الدكتور عباس الجراري ذو الوجود الفعلي في مكان وزمان محددين، وهي الكاتب ذو الوجود الرمزي داخل نصه، وهي الرحالة الذي رأى وسمع وسافر وغامر ودون ووثق **"ها أنا في بورصة ومنها أكتب لك هذه السطور. وقد تم سفري إليها على مرحلتين"**[176]،وهي الشخصية المحورية داخل هذه الكتابة ذات السمت السردي كشخصية من ورق ،وهي السارد المركزي الذي يحكي ويسرد ويصف **"قضيت اليوم في خزانة متحف الآثار التي دخلتها بإذن خاص. واغتنمت فرصة وجودي قريبا من مسجد السلطان أحمد فأديت فيه الصلاة."**،[177]وهي الضمير النحوي الذي التصق ببنية الكلمات فتملكها ،وهي الأنا التي تصدرت الحكي وجللته، وهي ياء المتكلم التي نسبت كل الأفعال والأسماء إليها، وهي بعد ذلك إقرار بالوجود ونفي

---

[173]- غربة الراعي، سيرة ذاتية ، إحسان عباس دار الشروق للنشر والتوزيع ،الطبعة الأولى ، 2006 ، ص: 244.
[174]- نفسه ،ص:7
[175]- الرحلة في الأدب المغربي ، شعيب حليفي ، ص: 57-58 .
[176]- نسيم البوسفور ، ص: 168.
[177]- نفسه ،ص:158.

للعدم ،وهي إعلام بتجرد الأنا المرتحل تجاه الآخر المستقر ،وهي إيذان بالمفرد الوحيد إزاء الجماعة المتعددة. انه ضمير الحضور والشهادة والفعل .

المبحث الثاني

الرسالة وتحـبير الخطابات

لا غرو أن الرسائل كجنس أدبي أصيل استمدت عراقتها من امتدادها التاريخي كتشكيل أدبي من زاوية، و من امتلاكها لسنن ثابت يرسخ هويتها من زاوية أخرى ، فهي تلك الخطابات المكتوبة ذات السمت النثري المخصوص التي يبعثها مرسل ناءٍ شط به النوى إلى متلق مبارح له غير ماثل أمام ناظريه، لكنه يستحضره وينشأ الخطاب لأجله وينتظر رده ، فنصوصها لا تنتهي بالإرسال ولكنها تتنامى بالإجابة لأنها كتابة موجهة للآخر، ومن ثم تؤسس تواصلا كتابيا بينا يتبادل فيه طرفا العملية الترسلية البعث والاستقبال .

وانطلاقا من براعة ترسل عبد الحميد الكاتب و حتى بلوغ تقعيد القلقشندي شهد هذا الصنف القولي اكتماله ونضوجه الكلي ، وقد اعتبر قدامة بن جعفر أن " **الترسل من تراسلت أترّسل ترسّلاً و أنا مترسل،و لا يقال ذلك إلا لمن يكون فعله في الرسائل قد تكرر،وراسل يراسل مراسلة فهو مراسل؛و ذلك إذا كان هو ومن يراسله قد اشتركا في المراسلة، و أصل الاشتقاق في ذلك أنه كلام يراسل به من بَعُدَ أو غاب، فاشتق له اسم الترسل و الرسالة من ذلك**"[178].

وإذا كانت الرسائل قد صنفت إلى **ديوانية** تضمنت "**المسامحات والإطلاقات ومناشير الإقطاعات والهدن والأمانات والأيمان وما في معنى ذلك ككتابة الحكم وغيرها**"[179] ، وأخرى إخوانية و"**هي الرسائل التي تعبرعن مشاعر الكتاب والشعراء نثرًاو نظمًا من مدح وهجاء واعتذار وعتاب،ورثاء إلى غير ذلك .وكاتب الرسالة الإخوانية يكون على جانب عظيم من الثَّقافة .**"[180]

---

[178]ـ نقد النثر، قدامة بن جعفر ،دارالكتب العلمية ، بيروت ، لبنان1982 ط: 1 ،ص:95 .
[179]ـ صبح الأعشي صناعة الإنشا، القلقشندي،ج1،دارالكتب المصرية،القاهرة،1340هـ،1922م،ص: 54.
[180]ـ النثرالعربي وفنون الكتابة:أبوالرب توفيق :،ط2،دار الأمل، إربد، د.ت،ص:162 .

فإن تشكل نسيم البوسفور في قالب الرسالة يدعونا إلى استحضار مسألة التجنيس ثانية ، فهل يتعلق الأمر بإطلاق اسم الرسالة على الرحلة إلى تركيا ؟أم أن الأمر يرتبط بخطابات فعلية دبجت وفق ما اقتضته سنن الترسل؟

لعل سبرنا لـأغوار الأدب الرحلي، لا يلبث أن يسلمنا إلى متون ذات عراقة نعتت بلفظ الرسالة ،ومنها على نحو خاص رحلة ابن فضلان إلى بلاد الترك والصقالبة والروس ، بيد أن المتأمل لهذا النص لا يلبث أن يتبين أنه أتى على شاكلة تقرير أورد فيه هذا الرحالة وقائع رحلته إلى هذه الأماكن موفدا من طرف الخليفة المعتضد ، فلم نلفه ممتثلا لبنود هذا النسق من الكتابة القائم على البعث والتلقي . وتكاد رسالة الغفران لأبي العلاء المعري وإن أتت إجابة عن رسالة بعثها إليه ابن القارح أن تندرج من حيث صيغة كتابتها ضمن جنس الرحلات المتخيلة ، وذلك بما حملته من جماليات أسلوبية ،كما أن رسالة التوابع والزوابع تنتظم على نفس شاكلتها من حيث تقديم رحلة مرتبطة بسفر مختلق .

بيد أن الرسائل في نسيم البوسفور أذعنت طوعا لقواعد هذا الجنس العريق .الذي ظل مرتبطا بالكتابة أو الإجابة في استحضار دائم للآخر ، "**فلعلك كنت تنتظرين مني أن أكتب لك فور وصولي إلى تركيا حتى تطمئني وكم كنت أتمنى ذلك، ولكني فضلت أن أرجئ الكتابة حتى تستقر بي الأمور أو توشك، وحتى إذا ما بعثت لك كان في رسالتي ما يدعو إلى الاطمئنان**"[181]،وهنا ظهر العنوان كتحديد فعلي لمكان واقعي خصص لاستلام الخطاب يقول:"**أرجو أن تجودي علي ببعض أخبارك وأخبار الأولاد والأسرة حتى أطمئن، ولكن نظرا لأني سأنتقل من الفندق لا تبعثي لي بالرد حتى أكتب لك ثانية لأؤكد لك العنوان**".[182] ثم لايلبث أن يؤكد ذلك العنوان:

HOTEL **ATLAS**

(CHAMBRE 28)

---

[181]ـ نسيم البوسفور ،ص:135.
[182]ـ نفسه،ص:138.

NURUDS MANIYE COD MENGENE SOK N: 13

CAGALOGLU

ISTANBUL[183]

ويقول ثانية زيادة في التأكيد على مكان الإرسال"**أمس بعثت بطاقة لألوف لست أدري إذا كنت قد أكدت لك فيها عنواني الذي بلغك في الرسالة فلتكتبي لي عليه"**[184]

وخشية أن يطال رسائل زوجته الضياع و مع دنو موعد رحيله عن تركيا قاصدا مصر،يخاطبها بقوله: : " **ونظراً لأني أنوي السفر في أواخر الشهر فلا ترسلي لي شيئا إلى إسطنبول بل إذا شئت إكتبي لي على عنوان السفارة المغربية بالقاهرة"**[185].

وسوف يبرز مكون آخر يؤثث فضاء التراسل ،ذلك هو وسيلة نقل هذه المكاتبات من مكان الرحلة إلى الموطن الأم ، حيث يبدو البريد حاملا لخطابات واقعية في أظرفة مختومة بين المرسل والمتلقي كليهما ،وعنه يقول وقد طال به الانتظار:" **يبدو أن البريد بين البلدين يتأخر كثيرا"**[186]، ومن ثم بدا تاريخ الإرسال وزمن الاستلام ليعكس لهفة السؤال،يقول :**"ولست أدري كم تستغرق المراسلات بين البلدين ولكني لا أظن المدة تزيد على ثلاثة أيام أو أربعة على أكثر تقدير مالم تصادف أيام عطل. ولعلك تستطيعين تحديدها من نظرك في تاريخ الإرسال والوصول."**[187]

ولأن الرسائل كتابات تتنامى بالتفاعل بين قطبي الإرسال والتلقي"**سبق أن أخبرتك في رسالتي السابقة ...وأهمس لك أن أسرعي بالجواب"**[188]،ألفينا الكاتب إما منتظرا لرسالة **"كنت اليوم أنتظر وصول جوابك على رسالتي خاصة وقد أكدت لك في الثانية عنواني**

-

[183]نسيم البوسفور،ص:143.
[184]- نفسه.
[185]- نفسه، ص: 149..
[186]-نفسه.
[187]- نفسه،ص: 144.
[188]- نفسه، ص:142.

بالفندق الذي نزلت به أول يوم، ولكني لم أتوصل بشيء،"[189]أو متوصلا بها: "**وكم كان سروري عظيماً حين وجدت رسالتك تنتظرني عند الاستقبال"**[190]،أو باعثا لها :"**لا أريد في هذه الرسالة الأولى أن أحدثك عن الحياة في إسطنبول** "[191].

ولعل من شأن هذه الشروط الظاهرية أن تمنحنا متنا يضم ستة رسائل بعث المؤلف إلى زوجته خمسة منها من تركيا إبان رحلته إليها صيف 1968 والسادسة أرسلها لها عند وصوله إلى القاهرة.

تمنحنا هذه الخطابات نفسها دون تبرج ، مكتوبة بخط عفوي مقروء بقلم حبر جاف أزرق أو أسود أحيانا ، ظاهر تارة ،وضامر تارة أخرى بسبب هذا اليراع الذي شكا الفراغ ، يقول المؤلف وهو بصدد كتابة رسالته الثالثة : "**وأظنني لن أطيل فالقلم "الجاف" قد جف وهذا في الطريق إلى الجفاف.** "[192] ،ويقول تارة أخرى: " **وأنا الآن مضطر للتوقف لأن القلم الناشف جف، فلجأت إلى قلم الحبر وكان قد جف من قبل فغمسته في الماء فتحرك فاترا كما ترين"**[193].صيغت بحروف صغيرة وأسطر متقاربة تكاد تمتد لتنتهك حرمة الهوامش أحيانا ، وقد لا تتعدى بعض رسائله بياض الصفحتين من كل ورقة، لكن البعض الآخر قد يطول لتستوعبه صفحات تصل إلى الأربع ،لكننا نراه وقد دبج آخر خطاباته على شاكلة ألوكة انسرحت على امتداد ثلاثة وثلاثين صفحة ،بدأها في فندق أطلس باسطنبول وأنهاها في فندق منيرفا بالقاهرة ، وقد بلغ مجمل عدد صفحات الرسائل مخطوطة برمتها ثمانية وأربعين.

وإذا كانت هذه الخطابات قد امتثلت بوفاء للأركان الخارجية للرسالة الفعلية المألوفة ،فإن ملامستنا لها كنصوص سوف تفضي بنا إلى تبين مدى تمثلها لما قننه مقعدو ذلك الجنس في هذا الباب .ومن هذا المنطلق تبدو بنية الرسائل الجرارية مذعنة للمعمار الذي أجازه السابقون ،والذي يقوم على ركائز ثلاث هي الاستهلال والمتن والخاتمة .

189- نسيم البوسفور ، ص:144.
190- نفسه ،ص: 151.
191- نفسه،ص:138.
192- نفسه،ص:149.
193- نفسه،ص:197

1- الاستهلال

ويشكّل الاستهلال أو المقدمة عنصرًا من العناصر الأساسية التي بنى عليها مؤلف نسيم البوسفور رسائله،إذ صدر خطاباته جميعها بالحمدلة، ومن ثم لم تأت قطعاء[194]، وقد كان البدء بالبسملة ديدن المترسلين على الدوام مالم يرغبوا في ان تكون مكاتباتهم بتراء، وربما جرت على لسانه - هو - عبارة **"الحمد لله"**، كاستفتاح تقليدي ألفه ، أو كتعبير منه عن الرضى والتسليم لهذا القدر الذي نأى به عمن يهوى ، أو كإظهار منه للشكر وبالغ الامتنان حين وطأ أرض تركيا لإتمام مسعاه العلمي ،بيد أني أرجح أن هذه الجملة الاسمية الأثيرة لديه إنما استحبها وانسربت من بين حنايا الالفاظ عن قصد منه أو عن غير نية لأن من الحمد اشتق اسم الحبيبة **حميدة** التي من أجلها غمس الحرف في حبر الكتابة وثوى خلف رسائله ينتظر الردود،وقد شكلت المرسل إليه في هذا الخطابات فذكر اسمها صراحا وترك بهاءها يجلل مكاتباته حين كلل هاماتها بها، فهي **"حميدتي الحبيبة"**[195]أو **"حميدتي العزيزة"**[196] .

وبعد الافتتاح بدت عبارات التقديم التي كادت أن تتماثل في رسائله برمتها ، وفيها التحايا التي تراوحت بين الإيجاز كتلك التي خص بها زوجته دون سواها أحيانا في قوله: **"طابت أوقاتك"**[197] ،وبين تلك التي رقشها بذكر كريمتيه علا وألوف : **"تحيات وأشواقا وقبلات حارة لك ولعلا وألوف، راجياً أن تكونوا جميعاً بخير"**،[198] وإذا حمله الحنين إلى إهداء السلام إلى كل ذي قربى يقول :**"تحيات وأشواقا وقبلات حارة كثيرة لك ولعلا وألوف، وسلاماً خالصاً للوالدين والإخوة والأحباب في الرباط والبيضاء، راجيا أن يكون الجميع بخير"**[199].

---

[194]- عملاً بقول الرسول صلى الله عليه وسلم من حديث لأبي هريرة: « **كل أمر ذي بال لا يبدأ بالحمد،أقطع**». السنن ابن ماجة القزويني ، باب النكاح ،حققه : شعيب أرناؤوط - محمد كامل قرة بلي - أحمد برهوم ، دار الرسالة العالمية ,الطبعة الأولى 2009،ج:3،ص:90 .

وفي **صبح الأعشى**:" قيل **إن صيغة «الحمد لله» أبلغ من صيغة «أحمد الله» لما في«الحمد لله» من معنى الاستغراق والثبوت والاستمرار على ما هو مقرر في علم المعاني** "، ج: 6،ص:225 .

[195]- الرسالة الأولى .

[196]- الرسالة الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة.

[197]- نسيم البوسفور،ص:192.

[198]- نفسه،ص:135.

[199]-نفسه ،ص:146.

2. المتـــن

وبعد التحايا يأتي المتن مجليا محتوى الرسالة والذي يعد الجزء الأهم فيها، فهو لبها وجوهرها وفيه "**يتناول الكاتب الموضوع الذي أنشئت من أجله الرسالة**"[200]، ويقع عادة بين المقدمة والخاتمة.

ما إن نجيل الطرف في رسائل نسيم البوسفور حتى نتبين ومنذ الوهلة الأولى أنها توشك أن تكون دبجت على النحو ذاته، من حيث ديدن الكاتب في بنائها وصياغة أفكاره داخلها، وغالبا ما ينشطر كل خطاب إلى شق يخص به الزوجة والأبناء، وشق آخر ينقل فيه وقائع رحلته وأخبار سفره، ففي سبيل الاطمئنان على أسرته لا تخلو أي رسالة له من ذلك القلق الممض الذي ظل يساوره يقول مخاطبا زوجته:"**أريد أن أقرأ لك في هذه الفترة الباقية لي في إسطنبول أكثر من رسالة لأني مشتاق لمعرفة أخبارك وأخبار الأولاد والبيت والأسرة. فماذا فعلت بالنسبة للعمل؟ وهل سجلت ألوف في الروض أم لم تسجل بعد؟ ... وهل استطعت استخراج النقود بسهولة من البنك؟ وهل جددت تأمين السيارة؟ أو على الأقل هل بدأت إجراءات التجديد؟ وكيف هو حال البيت؟ هل أصلح ما كان بالحمام من ضرر؟ وكيف أنت مع الخادمة؟ و... و ...؟ ثم لا تنسي أن تبعثي لي في أقرب فرصة صورا لك وللأولاد.**"[201] ولعل الاستفهام من حيث هو أسلوب إنشائي يعكس الانفعال والتوتر، نراه يتناسل على فسيفساء النص مجليا قلق الكاتب ـ بصفته زوجا ووالدا ـ على أسرته الصغيرة التي بارحها كرها فظل مكلوم الحشى ،ولأجل ذلك بدا الترسل كأسلوب كتابة أكثر قدرة على مساعدته على استقصاء أخبارهم لذلك غالبا ما استحثها على الإجابة من خلال السؤال مرددا:"**أرجو أن تجودي علي ببعض أخبارك وأخبار الأولاد والأسرة حتى أطمئن**"[202]

وإذا كانت الرحلة قد ارتبطت بشخصيات لها صلة بمحكي السفر وماثلة في المكان الذي إليه ارتحل ، فإن الرسائل ربطتنا بشخصيات بارحها الكاتب في موطنه الأصلي

---

[200]ـ أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري ،فايز عبدالّنبي فلاح القيسي، دار البشير للنشر والتوزيع ،عمان ـ الأردن ، الطبعة الأولى : 1989، ص: 85 .

[201]ـ نسيم البوسفور ،ص:145.

[202]ـ نفسه ،ص: 138.

واستحضرها بحذاء البوسفور ،حيث نتعرف عليها من تضاعيف الكتابة ،ومنها الزوجة التي تبدو معناة من هذا الفراق المفاجئ ، وتكاد أجوبتها أن تنكأ جراح الكاتب النائي موضعا، لأنه يشعر أن طاقة التحمل لديها أصابها الإجهاد جراء مسؤولية عنايتها بالطفلتين الصغيرتين وبين متاعب البحث عن تدريب في مكتب للمحاماة ،فضلا عن منغصات الحياة اليومية : **"وأحسست في رسالتك مرارة وألماً شديدين بسبب بحثك عن مكتب للعمل مناسب... فلست أرى داعيا للانزعاج والقلق، بل يكفيك ما تعانين من الاضطراب والضياع بسبب الفراق...وأحسست في رسالتك كذلك ما عانيت في البحث عن روض مناسب لألوف... وأحسست بعد هذا تضايقك من الصغار ومن الخادمة"[203]**، ، لذلك يسعى لأن يطيب خاطرها ويحملها على الهدوء والجلد في ترفق رقيق وحديث شفيق راجيا إياها سلك سبيل التؤدة مع علا وألوف قائلا :"**هؤلاء الصغار -حميدتي- هم زهرة حياتنا اليانعة وينبوعها الفياض وأملها الزاهي ووردها الزاهر وغدها المشرق. لا أريدك أن تقولي "جاء البنون وجاء الهم يتبعهم " وإنما أريدك أن تقولي " جاء البنون وجاء الخير يتبعهم. "[204]** وإذا كان " **أولادنا بيننا أكبادنا تمشي على الأرض فمن الطبيعي أن نأخذ من أنفسنا لنعطيهم، نأخذ من راحتنا ووقتنا ومالنا وكل ما نستطيع تقديمه إليهم."[205]**ومن شأن هذه العبارات أن تكشف لنا شقا من شخصية أديبنا الخافية عنا ، فهو هنا يتحدث بلسان الزوج المسؤول وحدب الأب العطوف نصيحة المربي الناضج الذي يعظ ويقدم المثل للتأكيد والإقناع، كما فعل حينما دعا زوجته قائلا :**"وأما بالنسبة للخادمة فحاولي كسبها باللين"[206]**،مستحضرا حلم الخليفة المأمون العباسي مع خادمه بعد أن أبدى تصرفا غير لائق في مجلسه ،وبدل أن يضرب عنقه لم يزد أن قال عنه لأحد جلاسه: **"إذا حسنت أخلاق قوم ساءت أخلاق خدمهم وإذا ساءت أخلاق قوم حسنت أخلاق خدمهم، ونحن يا عبد الله لن نسيء أخلاقنا لكي تحسن أخلاق خدمنا**

---

[203]- نسيم البوسفور ،ص:151.
[204]- نفسه ،ص:152.
[205]- نفسه.
[206]- نفسه، ص: 153 .

"[207].ولذلك نرى الكاتب الحليم السجايا يدعو حليلته الى التغاضي قائلا :"**وقديما قيل فيما يشبه المثل " من كرم المولى سوء أدب الغلام".**[208]

ولم تأت الرسائل خلوا من الحديث عن علا وألوف اللتين استوطنتا عبارات الاستهلال والوداع غالبا ،كقوله في رسالته الأولى محييا :"**تحيات وأشواقا وقبلات حارة لك ولعلا وألوف"**[209] خاتما إياها بعبارة **:"مع قبلاتي الحارة لك ولعلا وألوف"**[210] ، وسنعلم من خلال قراءتنا للرسائل أن ما تعانيه زوجة مؤلفنا إنما مرده إلى صغر سن الفتاتين وما تستدعيه هذه الفترة من أناة في التعامل مع طفلة تخزها آلام التسنين ،وأخرى تبعث فيها حيوية الطفولة حماس الحركة، مع أم فارغ فؤادها بمبارحة الإلف والونيس ،لذلك يقول في ترأف جلي دون طيف عتاب : "**أما بالنسبة للصغار فأرجوك أن تصبري وتوسعي صدرك لشيطنتهم وخاصة ألوف، لأنك إن لم تفعلي نمت عصبيتها وتطور عنادها وغدا سلوكها لا يطاق. ولعلها تجد في الروض متنفساً لطاقاتها التي تكبت في ذلك البيت الضيق، ولعلها كذلك تجد في بيت جدها متنفساً آخر وفي أيام أخر. وليست علا بأقل حاجة إلى صبرك وسعة صدرك خاصة وأنها تمر بفترة الأسنان".**[211]

وقد منح الترسل الكاتب فرصة لسرد التفاصـيل واستحضار ما جرى والتكهن بما سيكون ، لأن الرسائل كمحررات موجهة منه إلى زوجته رأسا ودون وسيط أتاحت له فرصة البوح والكشف والحديث بتلقائية ، ولذلك نراه مستحضرا لابنتيه متخيلا ما هما عليه وكأنه بهذا يحس أنه أقرب منهما رغم البعاد يقول: **"فما أظن ألوف إلا ناهضة من فراشها مسرورة بيوم عطلتها توقظك وأختها الصغيرة. ولعل عينك لم تغف إلا منذ لحظات بعد أن أعطيت علا وجبتها الصباحية ولاعبتها قليلا، وأظنك ستأخذين الصغار إلى بيت جدهم إن كانت الأسرة قد عادت من سفرها، أو إلى البحر أو غيره من أماكن الراحة"**[212].ومن ثم تكاد صورهما ألاتفارقه البتة يقول بعد أن أزرت به الغربة: **"وقنعت بالجلوس في كرسي خشبي بميدان**

---

[207]- نسيم البوسفور،ص: 153.
[208]- نفسه.
[209]- نفسه ،ص:135.
[210]- نفسه ،ص:138.
[211]- نفسه ،ص:152.
[212]- نفسه،ص: 160.

صغير، أتأمل وأتفكر وأجتر مرارة الفراق والبعاد عنك وعن فلذتي الكبد علا وألوف. وأخرجت من محفظتي تلك الصور اللطيفة التي أرسلت لي وأخذت أنظر إليها وأقلبها؛ واستعذبت كثيرا تلك الصورة التي بدت فيها ألوف معانقة أختها بيدها اليسرى ومستفسرة بيمناها كأنك كنت تطلبين منها شيئا لم تفهمه. وفي نظرة كل منهما بعد وذكاء وإمعان وتوثب، أرجو الله أن يوفقنا إلى تربيتهما في طهر وصلاح وعلم ودين."[213]

وإذا كانت هذه الرسائل تشمل في شقها الثاني حديثا عن وقائع هذه الرحلة التي زار خلالها الكاتب اسطنبول[214] ومنها بورصة وجزر الأمراء ،واطلع على مكنونات عشرات المكتبات وجاس بحدقتيه متاحف وقصورا ومآثر عتيقة ،وانبهر بفخامة نقوش ومنابر ومحارب مساجد وجوامع فخمة ، كما تنكبت سبل تنقل الرحالة إليها وما سجله من انطباعات وملاحظات بشأنها ، فضلا عما أجلته من سهر المؤلف في سبيل إيجاد ما يطعم به أطروحته التي يعدها حول الزجل ،وضمن ذلك أخباره التي وافى بها زوجته في مراسلاته قائلا : **"ولعلك كذلك تودين معرفة مختلف التفاصيل حتى تتابعي الرحلة معي خطوة خطوة، وهذا ما سأحاول في رسائلي إليك إن شاء الله وبقدر ما تتيح الظروف"**[215].

فإنها تنفتح أمامنا بكل بذخها ،ليبدو أمامنا كاتبها متجردا من وقاره ،متحللا من هيبته ، يفتح لنا حديقة أسراره بكل عبقها ومن ثنايا حروفه نلمحه زوجا مخلصا وأبا حنونا ومحبا وامقا ،وعلى هذا النحو تنضوي ضمن ركب الرسائل الذاتية و تلج باقتدار باب مانعت ب"رسائل الأدباء إلى زوجاتهم ".

حين نفتح أضمومة رسائل الأدباء إلى زوجاتهم ،فإننا نلج ممالك المستور ونهتك حجب الظاهر لنعانق أشد خلجاتهم غورا ،نفاجأ ببوحهم في لحظات الضعف والانهيار، ونعاين اضطرام مشاعرهم دون تشذيب أو رقابة ،ونشهد سلوكاتهم العفوية دون صناعة ،يتضوع أمامنا شذى أحاسيسهم ، ندنو من دواخلهم لنكشفهم مجردين إلا من حقائقهم ، يرتدون لبوس الإفصاح ليدبجوا بحروف اللغة ما يحسون به أو منه يبرمون ،ولأنها خطابات

---

[213]- نسيم البوسفور،ص:190.

[214]- تم تفصيل ذلك في الشق الخاص بالرحلة في هذه الدراسة والمعنون ب: "ملامح الرحلة ومحكي لسفر،"ص:15ومابعدها.

[215]- نسيم البوسفور ، ص: 135.

كتبت لتقرأ بين اثنين فإن حروفها تستحيل همسا يلقونه في أذن المتلقي التي لن يعدوها ، وما تلبث مثل هذه الكتابات أن تتيح لنا أن نزيح ستار النمطية التي رسمناها لهم لنقترب منهم ونفهم جوانبهم القصية في حالات حبهم حين يشتد بهم أوار الجوى ،وفي أويقات غربتهم حين يهصرهم حنين الشوق.

ولم يخل أدبنا العربي القديم مما دعي برسائل الأشواق و التي لم تعدما دبج من مكاتبات بين الخلان والمحبين وذوي القرابة الذين شط بهم النوى وتفرقت بهم السبل ،حيث أفرد الهاشمي جزءا ليس باليسير من سفره "**جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب**" لهذه الخطابات ذات المنحى الذاتي قائلا :"**الرسائل الأهلية وتعرف برسائل الاشواق وهي ما دارت بين الاقارب والأصدقاء وأسفرت عن مكنون الوداد وسرائر الفؤاد ولا حرج على الكاتب إذا بسط فيها الكلام على سجيته ...وتنفرد هذه الرسائل بأن يطلق فيها الكاتب العنان للقلم ، ويتجافى عن الكلفة ويعدل عن الانقباض**"[216].

ولن يتأتى لنا أن نغض الطرف عن هذه الحروف الوامقة و الحنايا الدافقة، ولهفة الترقب وهصر الصبابة الذي انساب سلسالا من المكاتبات الناعمة بين زمرة المحبين من الأدباء العرب في العصر الحديث، والتي مثلتها بجلاء الرسائل الحرى بين غسان كنفاني وغادة السمان وبين جبران خليل جبران ومي زيادة.

بيد أن رسائل الأدباء العرب إلى زوجاتهم ظلت متوارية تأبى السفور، فلم نظفر بكبير زاد في هذا السبيل الذي يلفه التكتم الصموت، وكأن الأديب يأبى إلا أن يسيج مملكته الخاصة من مقل الواشين ، فكل إبداعه يمنحه قراءه بسخاء، لكن خطاباته إلى الحليلة تظل ـ حسب رأيه ـ خزانة أسراره الموصدة بإحكام مغاليقها، يبوح داخلها بلا رقيب ، يسأل وينتظر المجيب ،يحن أويعاتب دون حرج ، يتذمر أو ينتظر الفرج ، يستبيح لنفسه حرية تحميها سرية الرسالة وسربلتها في مظروف لا ينفك غراءه إلا بيد من إليها بعثت .

---

[216]ـ جواهر الأدب في أدبيات وانشاء لغة العرب ،السيد أحمد الهاشمي ،المكتبة التجارية الكبرى ، مصر الطبعة 27 ، سنة 1969 ج: 1 ، ص:45 .

غيرأننا لا يمكن بحال أن نغفل رسائل الشاعر المغربي الكبير محمد الوديع الآسفي التي بعثها من معتقلاته القصية إلى زوجته الأديبة ثريا السقاط ،والتي نشرتها في كتاب "مناديل وقضبان" [217]الذي صدر سنة 1984 وفيها من لهب المشاعر ما أذاب صقيع الزنازن.

وتكاد رسائل أنطوان تشيخوف[218]ودستوفسكي[219] و تولستوي[220]ونابوكوف[221] لزوجاتهم أن تتصدر هذا السمت في أدب الرسائل العالمي . إذ يغدو القارئ وهو يعاينها وكـأنه إزاء رسائل عشق باذخة يبعثها محب وامق استبد به الوله.

و لاريب أن العصب الواصل بين هذه الخطابات برمتها إنما هو المرسل إليه الذي مثلته الزوجة ، لكننا نلاحظ أن كاتبي هذا السمت من الرسائل ،غالبا ما يتحاشون مخاطبتها بهذه اللفظة ويذكرون اسمها بمنتهى بهاء حروفه، فهي " **فيرا** " عند نابوكوف ، وهي "**آنا غريغوريفنا أو آنيا**" عند دوستوفسكي ، وهي " **ممثلتي العزيزة أو ممثلتي الغالية** " عند تشيخوف ،وهي " **صوفي** أو **صونيا**" عند تولستوي ، وهي "**حبيبتي الوفية** و **أميرتي الغالية**" عند محمد الوديع الاسفي ومن حذا حذوهم . لكنها عند عباس الجراري هي "**حميدتي** "[222] **و"حميدتي العزيزة"**[223] و"**حميدتي الغالية"**[224] و**عزيزتي**[225] و **حبيبتي**[226] والتي رددها على صدر رسائله على تباين مبانيها أربعين مرة بكامل الافتنان.

ولست إخال إلا أن هؤلاء المبدعين جميعا وهم يتحاشون مخاطبة حليلاتهم باسم الزوجات إنما كانوا يستعذبون دور العشاق الذين يهفون إلى من إليهن تاقوا. ولا غرو أن إحجامهم عن ذلك والرنو صوب إسباغ صفات المعشوقات عليهن ، كان وسيلة لإذكاء جذوة الحب وإبقائها ملتهبة لأن

---

[217]- مناديل وقضبان : رسائل السجن ، جمعها وبوبها ثريا السقاط ، دار النشر المغربية ، الدار البيضاء ، المغرب ،الطبعة الاولى 1988 .

[218]- أنظر رسائل إلى العائلة ، انطون تشيخوف كاتب روسي (1860- 1904) ترجمة ياسر شعبان ،وزارة الثقافة والفنون والتراث، قطر، كتاب الدوحة42 ، نونبر 2014.

[219] -219Dostïevski, Correspondance, Ed. Bartillat, 2000 ; Image : © D.R
روائي روسي (1828- 1910)

[220] -Lettres à sa femme, de Léon Tolstoï Rivages poche, 171 p08/02/2012 Léon et Sofia

[221] - رسائل إلى فيرا ،فلاديمير نابوكوف، كاتب روسي (1899- 1977) ، اختارها وترجم لها وقدمها د عبد الستار الأسدي، الطبعة الأولى 2018 ، بيروت ،لبنان.

[222]- تم ترديدها داخل الرسائل 10 مرات .

[223]- ذكرت 17 مرة .

[224]- تم ترديدها مرتين.

[225]- رددت 10 مرات.

[226]- رددت مرة واحدة .

كثيرا من قصص الحب العظيمة لم تشهد لها استمرارا بعد الزواج ،وربما أمسى النأي والبعاد علة جذوة الحب التي ظلت متقدة وسر شجرة الإبداع التي دامت وارفة .

تعبق الرسائل في نسيم البوسفور بشذى وله وولع كبيرين تمكنا من قلبي العاشقين منذ سنوات أفلت ليست بالقصيرة ،يقول متذكرا :"**وطال بي التأمل والتفكر والاجترار واستعرضت في مخيلتي شريط سنوات طويلة منذ تسعة وخمسين عشناها في حب صادق كبير عفيف وقوي، حب ألحمنا رباطه المقدس فأينع وأثمر خلال هذه السنوات وعلى بركة الله، فلم يزد إلا صدقا وكبرا وعفة وقوة.**"[227]فقد استوثقت عرى هذا الهوى منذ أن كان الزوجان طالبين في غضاضة الشباب يحصلان العلم في جامعات القاهرة ، حينما خر الكاتب صريعا ساعتها أمام سحر عيون الفاتنة حميدة ،لذلك نلفي أنه دبج أولى أشعاره فيها إبتداء من سنة 1960 وإلى سنة 1962وشملت خمس قصائد ضمنها قسم أشواق[228] من ديوانه الشعري الذي أتى يانعا بهذا القريض الحني، وهي:**"طهر الحب"[229]، "وهم رسم الحبيبة"[230]"هجران "[231] ،أصحيح مات حبي"[232]** و "**أهذاهو الحب"؟[233]** التي قال فيها هائما :

دعيني حميدتي من ذا الضياء ضياء أنار بأمسي البسيـم[234]

أهـــذا هو الحب هل تعلمـــين بأني صرت كمن في جحيم

ولعل ذكر الكاتب لاسم العلم بدون صفة يفسح المجال أمام إمكانية نسبة كل الصفات له، فهي الحبيبة و الأم، وهي الزوجة و الصديقة ، وهي الصدر الحنون والأذن المنصتةلذلك

---

[227]- نسيم البوسفور ،ص:191.

[228]- يمكن العودة إلى الدراسة التي قدمتها حول هذا الجزء بعنوان"**صبوة العشق ووهج الصبابة في غزل العباس بالحبيبة المهابة** "والمنشورة في كتاب "عباس الجراري شاعرا"،إعداد وتنسيق وتقديم محمد احميدة ، دار ابي رقراق للطباعة والنشر ،الرباط، منشورات النادي الجراري رقم 79 طبعة :2018 ، من ص:89 الى ص : 102 .

[229]-من ديوان عباس الجراري ،الجزء الأول ،إعداد وتقديم محمد حميدة ،دار ابي رقراق للطباعة والنشر ،الرباط، منشورات النادي الجراري رقم:73 ، الطبعة الأولى :2017، ص: 45 .

[230]- نفسه،ص:49

[231]- نفسه ،ص: 51

[232]- نفسه ،ص:53

[233]- نفسه،ص:43

[234]- نفسه،ص: 43-44

يقول عنها **:" إني أفتقدك في هذه الحلكة المزعجة بدرا تضيئين لي مسالك الحياة ودروبها الوعرة، أفتقدك حبيبة تغذين قلبي بحبك العظيم، وأفتقدك زوجا وفية مخلصة أسكن إليك في مودة ورحمة، وأفتقدك حنونا حانية وعطوفا مشفقة وصبورا ثابتة، وأفتقدك ساعدا أيمن لا ينقطع عونك ولا يفتر استعدادك، وأفتقدك جليسة وديعة ذكية خفيفة الظل عذبة الحديث حلوة النكتة، وأفتقدك أما للصغار تلاعبين وتداعبين وتربين وتعلمين، وأفتقدك ربة بيت حازمة عازمة تديرين وتدبرين... أفتقدك في كل شيء بل أفتقد فيك الحياة والوجود..."**[235] . وتبدو معالم هذا الحب الملتهب بادية من خلال:

1- مطالع الرسائل التي أتت متوهجة بالأشواق الدافقة، وفيها بدا الحب اللاهب عينه والاشتهاء الحار ذاته والتأجج دون روية ،ومنها قوله في الرسالة **: "أحييك وأقبلك وأضمك إلي عسى أن تحسي خفقات قلبي الملتهبة حبا وأشواقاً إليك"**[236].وتكاد الخطابات برمتها ألا تخلو من هذه الرغبة الحرون في احتواء هذا الصب ولثمه كقوله :"**أحييك في شوق ملتهب إليك وأقبلك في عناق تمتزج فيه الأنفاس وتختلط بنبضات القلوب، وأرجو أن تكوني بخير**[237]،أوقوله**: تحية مشتاق متلهف وسلام هائم ولهان تدمى جفونه لبعدك ويحترق قلبه لفراقك فلا يشفي الدم والاحتراق غلته ولا يكفيانه إنصافا لحبك الكبير"**[238].ولكن أكثر ما أجلى هذه العاطفة المشبوبة هو ذكرى مرور شهر كامل على فراق الحبيبين يقول ملتاعا: "**مع إشراقة صباح الذكرى ألف تحية وألف قبلة وألف عبرة أقلد جيدك من دررها عقودا. مر شهر واحد على افتراقنا"**[239].

2 ـ صيغ الوداع الحرى التي أجلت لنا الكاتب متيم الوجدان و في أكثر حالات التتيم انغماسا يقول :" **وقبل أن أودعك أقترب منك لأضمك إلي في اعتناق رفيق وقبلات عذبة دافئة."**[240]أوقوله:**"وإلى أن أكتب لك من هناك أضمك إلي في عناق وقبلات"**[241].وتكاد هذه

---

[235] ـ نسيم البوسفور ،ص:191.
[236] ـ نفسه،ص:139.
[237] ـ نفسه ،ص:144.
[238] ـ نفسه،ص: 150.
[239] ـ نفسه،ص:175.
[240] ـ نفسه،ص: 191.
[241] ـ نفسه،ص:167.

العبارات أن تكشف لنا هذا الشوق العاصف الذي أزرى بالكاتب حتى استحضر الحبيبة وخالها ماثلة أمامه ،وبعد أن ضم طيفها في مطلع رسالته الثانية نراه يعيد الكرة في نهايتها قائلا :**"هذا وقبل أن أودعك أضمك ثانية إلي وأقبلك ودومي للذي لا يغفل عن التفكير فيك لحظة واحدة"**[242].

وقد حمله هذا التعلق على تذييل كل رسائله تقريبا بجملة دعائية بناها على فعل **"دومي"** كقوله :"**دومي لمن يحس البعد عنك أقصى درجات الجحيم"**[243]أو"**ودومي لمن يضحي بكل شيء في سبيلك"**[244]أو **"ودومي لمن أنت روحه ومناه"**[245].فالدوام استمرار ودعوة للخلود ،وكأنه يستمرء هذا التغني الرحيم ويخشى الزوال والاندثار والانمحاء بابتعاد الوليف.

وغالبا ما تكون النهايات فاتحة للقاء جديد ، ولئن كان البعاد حائلا والنأي مانعا فإن الكتابة غدت لديه كعاشق موعدا للقيا الحبيب وملاذا للاختلاء به ، لذلك نراه لا يكاد ينهي رسالة حتى يعد بأخرى ، شأنه شأن المتيمين الذين أصاب فؤادهم كلم ، يقول : **"لن أتأخر عن الالتقاء بك على هذه الصفحات"**[246]أو**"وإلى أن ألقاك غدا إن شاء الله"**[247]، ويصرح في نهاية خطابه **"لي معك لقاء آخر بعد أن أصل إلى القاهرة "**[248].ولعل ذلك مرده الى الوجد و الشغف البالغين بهذا الإلف الذي أخذ لبه.

3 ـ ومثل أي مدنف يبعث مكاتيبه إلى الحبيبة ،فقد ذيل رسائله باسمه **عباس** مجردا ، وكأنه بذلك يرقش ذلك الاسم في حنايا فؤادها، حتى إذا ما جاستها بحدقتيها الذابلتين شوقا غمرتها بفيض من الحنان ، لذلك فهو يناديها **"حميدتي"** وكأنها ماثلة للعيان و بذكره اسمها يستحضرها أمامه كاملة البهاء والأنوثة والدلال . ولولا ذكر علا وألوف في تضاعيف الرسائل، لخلناها خطابات ملتهبة بين عاشقين أضناهما الوسن .إذ لم يذكر لفظة زوجتي إلا في الرسالة الأخيرة التي افتتحها ب زوجتي العزيزة وذيلها بزوجك المخلص.

---

[242]ـ نسيم البوسفور،ص:143.
[243]تفسه،ص:149.
[244]ـنفسه،ص:154.
[245]تفسه ،ص:138.
[246]ـ نفسه،ص:197.
[247]ـ نفسه ،ص:170.
[248]ـ نفسه ،ص:201.

4 ـ لوم العشاق وعتاب المحبين :ومن ذلك حينما عذلته وخاصمته لأنه لم يفهم خطها ، وأشهرت في وجهه العصيان و أنذرته بالتوقف عن مكاتبته، وفي ذلك محق لقلبه الندي يقول: **"وذكرت في آخر رسالتك أنك لن تستمري في الحديث إلي وعللت لذلك بأني نسيت خطك. ولكن هل تعلمين بأني أقرأ كل ليلة من خطك عشرات الصفحات، تلك التي نسخت لي فيها كثيراً من قصائد الملحون. وهل انقطعت يوماً عن قراءته حتى أنساه سواء هنا أو في المغرب؟ ومع ذلك لا أخفيك أني قرأت قولك:"أما العائلة البيضاوية فقد سافرت ...لقضاء بضعة أيام في الشمال وقرأتها في السنغال ". ولولا أنك ذكرت مصيف رستنكة لكنت مضطراً إلى حل رمز من الرموز"**[249].

واللوم ديدن المحبين أبدا،ولعل هذين العاشقين كانا قد ألفا هذا التمنع والعذل منذ أن ولجا أيكة الهوى الرفيفة ،فقد تعاتبا وهما لازالا فتيين في محراب العشق بالقاهرة حين خاطبها:

ولو درت ما أقاسي من تنكرها وعتبها وهو إيراد وإصدار[250]

لما جفتني وما ضنت ببسمتها وقـــد نزفت ودمع العين مدرار

ولعل الحديث عن الخط هنا يميط اللثام عن هذا الشغف الذي تحول من اضطرام وجداني إلى تجسيد فعلي للوجد وتمثلاته، والتي أجلاها هذا التآلف الشفيق الذي حذا بالسيدة حميدة زوجة الأستاذ الجراري إلى أن تكون له عونا وسندا على اعتباره كاتبا وباحثا ومؤلفا في نسخ ما يتعلق ببحوثه ودراساته ، وهي إن مدت له يد العون ساعتها في ما تعلق بكتابة قصائد الملحون ، فلها يعود منتهى الفضل لاحقا في إخراج العديد من كتبه ومنها : **"الدروس الحسنية ،جمع وتقديم"**[251] و**" إشارات عابرة ، جمع وتقديم"**[252]**"وخطب منبرية"** [253]و**"كلمات تقديم**

---

[249]ـ نسيم البوسفور،ص:153.

[250]ـ من ديوان عباس الجراري ،ص: 59 .

[251] ـ دروس حسنية (جمع و تقديم الأستاذة حميدة الصائغ الجراري)1436 هـ - 2015 م.

[252] ـ إشارات عابرة ، جمع وتقديم الأستاذة حميدة الصائغ الجراري.

[253]ـ خطب منبرية - ج 1 - جمع و تفريغ و تحقيق الدكتورة إلهام المتمسك ، و تقديم الأستاذة حميدة الصائغ الجراري (2012 م).

- خطب منبرية -2 - جمع و تفريغ و تحقيق الدكتورة إلهام المتمسك (2014 م).

،جمع وتقديم"[254] في ستة أجزاء والذي تقول في مقدمة جزئه الأول مبدية هذا المنحى بفخر:**"وبحكم مساعدتي له في الطبع والتصحيح، تسنى لي أن أكون في كل الأحيان أول قارئ لما يكتبه، كما كنت في أحيان قليلة أول ناقد. وكان دائما يتلقى ملاحظاتي بصدر رحب وبسعة خاطر لا يتواجدان إلا عند العالم الفذ والمربي الحق والمؤطر المتمكن ؛ وغالبا ما كان يدخلها في الاعتبار بتواضع منه كبير ممزوج باحترام وتقدير ؛ وكانت أسعد أوقاتنا هي التي نعيشها مع مخاض كلّ من كتبه أو بحوثه أو مقالاته أو محاضراته أو تقديماته"**[255].

5- وبعد أن استبد به الجوى وأضناه الحنين،رجا الحبيبة أن توافيه برسمها، وما إن لمح صورتها حتى قال :**"وكأن ما غمرني لدى رؤية تلك الصور شبيه بما غمر الشاعر حين استمع إلى حديث حبيبته بعد طول غياب فقال:**

وصلت ولكن بعد طول تشوق ودنت وقد رقت لقلبي الشيق

فثملت من طرب برجع حديثها فكأنما قد نادمـــت بمعتق

...وأما أنت يا عزيزتي فقد أبدت لي صورتك ما هيج كوامني وزادني شوقا وتلهفا إليك.[256]وتلك خصيصة أخرى سلكها العشاق وهم يتوقون إلى محيا من يهوون، ومنهم كاتبنا ، مما أولج رسائله في سمت هذه الرسائل الندية ، لكن اللطيف حقا ،أن هذه العواطف المشبوبة التي غمرته في اسطنبول صيف 1968 حيال صورة حليلته ، لا تختلف على الاطلاق عن تلك التي ساورته وهو لازال عاشقا لها في إحدى ليالي نونبر بمصر سنة 1960 ،وقد رنا إلى رسمها يمحقه الهوى إلى أن باح في قصيدة **"وهم رسم الحبيبة"** :

أعود إلى الرسم الجميل فلا أرى سوى كلم الحب العظيم منسقا[257]

- خطب منبرية - ج 3 - تقديم الأستاذة حميدة الصائغ الجراري و إعداد خديجة العسري (1439 هـ - 2018 م).

[254]- كلمات تقديم ، جمع وتقديم حميدة الصائغ الجراري ،منشورات النادي الجراري ، 6أجزاء ،الجزء الأول سنة 2016 الجزء السادس سنة : 2019.

[255]- كلمات تقديم ،عباس الجراري ، جمع وتقديم: حميدة الصائغ الجراري ، المقدمة ،الجزء الأول، ،منشورات النادي الجراري رقم :34،الطبعة الأولى 2016، مطبعة الأمنية – الرباط.

[256]- نسيم البوسفور ، ص: 164.

[257]- من ديوان عباس الجراري ،ص: 49 .

كـأنــك فــيه البدر يوم تمامه أو النجم في وسـط السماء تألقا

5- إهداء الورود الذي يعد عرف المتيمين ،فبعد أن زار المؤلف جزر الأمراء استرعى انتباهه أكاليل الورود الندية الشذية بها ، فبعث لحميدته بعضا منها بعد أن قطفها يانعة بيديه قال:" **ومن ألطف الأشياء أن الناس يتفاءلون بزهور هذه الجزيرة وورودها، بل أن العادة جرت أن يشتري الزائر باقات صغيرة تباع في المرسى وداخل الباخرة.وكم كنت أتمنى لوكنت معي حتى أهديك باقة من هذه الباقات العطرة الجميلة، ومع ذلك فلم أترك الفرصة تمر دون أن أرسل لك صحبته بعض الزهور قطفتها بنفسي، فلعلها أن تحمل لك بعض ما أحس من مشاعر الحب الصادق وأحاسيس الشوق العميق، ولعلها كذلك أن تكون طائر يمن وبركة وخير فلتتقبليها مشفوعة بقبلات دافئة، وإلى لقاء آخر**"[258]ولازالت تلك الزهور تنسم بأريجها هذه الخطابات .

وهنا تماما تبدو العلاقة بين المرسل والمرسل إليه آسرة حالمة ، فتنعكس على الخطاب الذي يرق، وعلى اللغة التي تلين وعلى الوجدان الذي يضطرم .

3- الخاتمة

تمّثل الخاتمة "**وسيلة فنية يجلبها الكاتب للّتخلص من موضوعه تخّلصًا يذر المخاطب متعاطفًا مع مابّثه في صلب رسالته من قضايا وآراء**"[259]،"ومن ثم نلحظ أن الكاتب بعد أن يبسط القول داخل رسائله مبديا في متنها ما ينوي ذكره أو الإخبار عنه أو التفصيل فيه ، لا ينفك ينهيها بعبارات تشكل خاتمة القول فيها ،وقد أتت غالبا على سمت:

1 ـ عبارات تشكل خلاصات لأخباره التي بعثها لمتقبلة خطابه قصد بث الطمأنينة في فؤادها، كقوله :"**هذه بعض أخباري أزفها إليك محملة بالأشواق الصادقة الملتهبة، أرجو أن تجدك في غاية الصحة والنشاط، وأن تجدي فيها ما يطمئنك ويهدئ لوعة الغربة القاتلة**

---

[258]- نسيم البوسفور،ص: 162.

[259]- الرسائل الفنية في العصرالعباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، محمد الدروبي دار الفكرللطباعة والنشر والتوزيع، ص: 501.

وأقصد لوعة البعد. كذلك أرجو أن تجودي علي ببعض أخبارك وأخبار الأولاد والأسرة حتى أطمئن"[260].

2- طلبات يستحثها فيها على الرد على خطاباته والتعجيل في ذلك كقوله: **"هذا وقبل أن أودعك أضمك ثانية إلي وأقبلك وأقبل علا وألوف وأهمس لك أن أسرعي بالجواب وسلمي على جميع أفراد الأسرة."[261]**أو**"لاتتأخري في الكتابة وسلمي على جميع أفراد الأسرة الكبيرة وقبلي عني علا وألوف."[262]**أو**"ومع ذلك فأملي كبير أن تصلني خلال هذين اليومين رسالة منك أو رسالتان عسى تهدأ بعض لوعتي ويطمئن قلبي مما يشغله عنك وعن الأولاد والأسرة."[263]**

3- بعث بعض التعليمات في هذه الخواتم كطلبه من حليلته عدم بعث ردودها على رسائله إلى تركيا مع قرب مغادرته لها قائلا: **"وقد تصلك مني بطاقات أو رسائل عن هذه الزيارة أو تلك، ولكن لا تحاولي أن تكتبي لي على عنواني في إسطنبول، بل إذا شئت ابعثي على عنوان سفارتنا بالقاهرة."[264]**

4 الدعاء عند إتمام رسائله، كقوله:**"عسى الله إن يخفف اللوعة ويقوي الصبر ويطوي الزمن ويقرب الهدف وييسر العمل ،ذلك دعائي إليه في كل وقت وحين ولعله أن يستجيب"[265]**،أو ابتهاله عند آخر رسالاته التي بعثها من القاهرة **:" أجدد دعائي إلى الله -وقد دخلت مرحلة الجد-أن يرزق العافية وينمي النشاط وأن يخفف من لوعة الفراق ويقوي الصبر وأن يقرب الهدف ويحقق الأمل وأن يسهل المصاعب ويقرب الأبعاد وأن ينير المسالك ويهدي أقوم السبل إنه سميع مجيب"[266].**

---

[260]- نسيم البوسفور، ص: 138.
[261]- نسيم البوسفور ،ص:143.
[262]- نفسه،ص:145.
[263]- نفسه،ص:149.
[264]- نفسه،ص:154.
[265]- نفسه ،ص:175.
[266]- نفسه ،ص:202.

4. تأريخ الرسائل وتذييلها

لعل ملامستنا لخطابات نسيم البوسفورأبان عن التزام كاتبها بشروط هذا الجنس الأدبي، ومن ثم حرصه على تأريخ رسائله برمتها كما تقتضيه أصول الترسل ، حيث حرر أولى رسائله بإسطنبول مساء الجمعة ثاني غشت 1968 ودبج آخرها يوم الثلاثاء ثالث شتنبر من العام ذاته ، وفي خطاباته الست نراه اعتمد التقويم الميلادي دون الهجري ، وقد كشف ذلك التأريخ المثبت على جبين الرسائل أنه اعتاد على تدبيجها فاصلا بينها بمدد زمنية[267] تتراوح بين اليومين أو الثلاث أو الستة أحيانا حسبما تسمح به مجريات رحلته. بيد أن رسالته الأخيرة التي بدأها يوم 22 غشت باسطنبول لم يبعثها إلا يوم 4 شتنبر 1968 من القاهرة يقول: "**فهذه رسالة بل مجموعة رسائل سأسطرها لك خلال هذه الأيام الباقية لي في إسطنبول، لأطلعك على أخباري في هذه الفترة بعد أن انتهيت أوكدت من البحث في المكتبات"**[268]، وبعد وصوله الى القاهرة ليلة 3شتنبر 1968 قال:"**وسأبحث ابتداء من صباح غد إن شاء الله بعد أن أوجه لك هذه الرسالة"**[269]وقد"**قررت ألا أبعث هذه الرسالة إلا مسجلة من القاهرة"**[270]. حتى يخبرها فيها بوصوله سالما فتقر عينها اطمئنانا .

والحق أن الكاتب التزم بتذييل خطاباته برمتها بتوقيع موحد أجلاه عند إنهائها وهو اسمه المجرد الشخصي "**عباس**" ، ماعدا رسالته الأخيرة التي مهرها بعبارة:"**زوجك**

---

[267]ـاتت تواريخ رسائله على هذه الشاكلة :

ـ الرسالة الأولى بتاريخ 2 غشت 1968

ـ الرسالة الثانية بتاريخ 8 غشتت1968

ـ الرسالة الثالثة بتاريخ 14 غشت1968

ـ الرسالة الرابعة بتاريخ 17غشت1968

ـ الرسالة الخامسة بتاريخ 20 غشت1968

ـ الرسالة السادسة بتاريخ 2 غشت1968

[268]ـ نسيم البوسفور ،ص:155.

[269]ـ نفسه ،ص:201.

[270] ـ نفسه، ص: 198.

المخلص عباس" متذكرا هذا الرباط المقدس الذي منه يستمد سنده ، ومعربا لهذه الحليلة أنه يعشقها حبيبة ويهواها قريبة وبعيدة وهي له الصب والزوجة الأريبة .

ولا غرو أن هذه الرسائل تمتلك قيمة تاريخية من حيث أنها تعرفنا عن الأستاذ عباس الجراري الانسان بعد أن وثقنا به أديبا و ناقدا ومؤلفا وشاعرا ،كما تمنحنا صورة عما كابده هذا الأديب من مصاعب وما تحمله من معاناة في سبيل تحصيل العلم ومتابعة البحث و السعي وراء المعرفة ، حيث :

1- أجلت لنا هذه الرسائل باعتبارها كتابات قريبة إلى الذات توثيقا مشهديا لما كابده الكاتب في هذا السفر من معاناة انبثقت من تغير مكان الإقامة واختلاف عادات الأكل ونقص في التمويل ،ومن شأن كل ذلك أن يدنينا من المشاق التي يركبها المتنكبون لسبيل العلم والمعرفة من أجل بلوغ غاياتهم ، فقد عد مالاقاه " **العذاب في أقسى مظاهره وأبشع صوره، يصيب من جانبين مادي ونفسي. أما الجانب الأول فيتمثل في عناء السفر من حيث هو، لما فيه من مشقة التنقل وعدم الاستقرار، ويتمثل كذلك في التفريط والضياع وما ينتج عنهما من نقص في التغذية وخروج عن نظام العيش المعتاد، وقد أحسست بذلك أشد الإحساس وتأثرت له أعظم التأثر لما ألفت من حياة مستقرة هادئة ونظام للأكل نشأت عليه أولا وفرضته علي فيما بعد ظروف الصحة والعمل بالبيت**"[271]، ولعل تقلص مبلغ المنحة بسبب الدمغات وضريبة الدخل و السعر المرتفع لنسخ المخطوطات ، انعكسا سلبا على مستواه المعيشي و مالوا به صوب الاقتصاد المفرط حتى ما قال مخاطبا زوجته" **ولعلك بعد هذا تفهمين لماذا أشد الحزام.**[272]" ولذلك غالبا ماكان يقنع ب "**التوقف عند بعض الأكشاك لتناول سندوتش بالجبن و كأس من اللبن**"[273] **أو**" **رغيف عليه قطع من دونير أي شورمة**"[274].حتى صارت الرفاهية لديه ـ أحيانا ـ كما قال "**أن يُتخلى عن مذهب التقشف ... وأتناول قطعة من (البقلاوة أو القطايف) أو غيرهما من ألوان الحلويات الشرقية**"[275].أو

271- نسيم البوسفور،ص:140.
272- نفسه ،ص:173.
273- نفسه،ص:160.
274- نفسه،ص:168.
275- نفسه،ص:148.

أشتري :"**شيئا من الفواكه أتناوله مساء في الفندق وخاصة الخوخ الشبيه بخوخ إيطاليا.**"[276]

وفضلا عن ذلك فإن الكاتب إبان هذه الرحلة إلى اسطنبول خلف وراءه أسرته الصغيرة المؤلفة من زوجته وصغيرتيه علا وألوف،وقد صاحب ذلك توقيف راتبه مما أفضى إلى ضنك و عسر كبيرين يقول: "**ولا أريدك أن تنزعجي من انقطاع المرتب مادمت مستعداً لتحمل الديون، والحمد لله أن قد وجدت في هذه الأسرة الكريمة من يتفهم ظروف الكفاح ويمد يد المساعدة بل يوثر على نفسه ولو كانت به خصاصة. وثقي أني سأرد كل ما تأخذينه من الوالد إذا لم تكفك شيكاتي البيضاء.**"[277] ولعل ذلك إنما ينتصب شاهدا على هذا الإصرار البالغ الذي امتلكه ،والذي ما استطاع أن ينتصب حائلا بينه وبين مرماه.

2- كشفت لنا عن ذلك الإحساس العارم بالغربة الذي غشاه نتيجة مبارحة الأهل والوطن ، يقول :"**ومتى كانت الغربة رحيمة بالأحبة مشفقة على قلوبهم؟ بلى!فقد صدق ما ورد في بعض الكتب السماوية "إن مما ابتليت به عبادي فراق الأحبة". وهل كان العذاب الشديد الذي أنذر به هدهد سليمان إلا إبعاده عن طير جنسه؟**"[278]ومن شأن ذلك أن يسلبه راحة الفكر والبدن ،حتى صرح "**الغربة قاتلة يا عزيزتي، ولكن عسى الله أن يخفف اللوعة ويقوي الصبر ويطوي الزمن ويقرب الهدف وييسر العمل، ذلك دعائي إليه في كل وقت وحين ولعله أن يستجيب**".[279] لكنه بالمقابل مكننا من ملامسة الجانب الخفي من الكاتب الذي لا يحب الوحدة ويمج العزلة ،لأنه يلفي ضالته في العيش وسط أسرته بالقرب من طفلتيه وزوجته .

---

[276]- نسيم البوسفور، ص: 148.
[277]- نفسه ،ص: 151.
[278]- نفسه،ص:175.
[279]- نفسه.

3- المثابرة الزاهدة ولكن المتذمرة أحيانا والتي كادت أن تدفعه إلى النكوص والإحجام يقول: **"هناك صراع داخلي تثيره ظروف العيش الجديد أحاول التغلب عليه لأنه لا يبعث على غير التردد والتثبيط ولا يوحي بغير الفشل واليأس."**[280]و تمثلت في :

- اضطراره إلى غسل ثيابه بيديه **"وقبل أن أحمل القلم لأكتب لك هذه الصفحات نظفت بعض الغسيل"**[281].فالكاتب يكاشف مخاطبه بأشد لحظاته خصوصية ، وبذلك ندنو منه في تفاصيله اليومية التي تميط اللثام عن جانب آخر من شخصيته .حيث تتوزعه مهام البحث ومتاعب تدبير شؤونه الشخصية بعد أن ألف الاهتمام والعناية من زوجته يقول **"أما الآن فسأقوم لغسل قميص وبعض الجوارب قبل أن أنظر في الأطروحة التي اعتدت أن أراجع فصولها كل مساء وأضيف إليها ما قد أكون اكتشفت خلال النهار في هذا المخطوط أوذاك "**[282]

- العمل الدؤوب والجد في سبيل بلوغ الهدف الذي ارتضاه مما أرهقه وأثر على جسمه يقول : **"كانت الساعة تشير إلى الثالثة والنصف، ولكني كنت في غاية التعب بسبب هذه الزيارة وبسبب شدة الحر"**[283]، وحتى يتسنى له إنجاز زياراته للأمكنة التي أراد رؤيتها تجلد إزاء القيظ وبعد المسافة وإذا كان" **الذهاب لمتحف أو غيره لا يخلو من مشقة وعناء"**[284].فإنه قال **"رحمة برجلي من المشي لم أبعد كثيرا عن الفندق"**[285]،وغالبا ما اضطر لانهاء جولاته تحت وطأة التعب يقول :" **نظرا للعناء الشديد الذي أحس عدت مبكرا إلى الفندق حتى أستريح"**[286] ،وأيضا يوضح **"قد تستغربين لي، ُوجد في الفندق وأكتب لك في هذه الساعة على غير العادة، ولكني اضطررت إلى ذلك تحت تأثير حرارة الشمس القوية وصداع ألم برأسي منذ أمس."**[287]

---

[280]- نسيم البوسفور ،ص: 140.
[281]- نفسه،ص:180.
[282]- نسيم البوسفور ، ص:149.
[283]- نفسه،ص:183.
[284]- نفسه،ص:148.
[285]- نفسه،ص:190.
[286]- نفسه ، ص:174
[287]- نفسه،ص:187.

3-وإذا كانت الغربة قد أضنت مهجته، فإن الحنين قد حمله على الاشتياق والالتياع وبذلك ولجت هذه الخطابات سبيل رسائل العشاق، وهي ترنو صوب ركوب يم الولع ودروبه، وألفينا كاتبها متيما يشتاق ،يعاتب ، يأرق ،يتذكر ويطالع رسم الحبيبة ، يهفو ،يلثم طيفها ويتمناها قريبة . فأدركنا أن الحروف المارقة للمترسل في نسيم البوسفور، باحت في خفر ضنت به و لم تجله الشخصية الوقورة الكتومة لعميد الأدب كما خلناه.

كما تنضح الرسائل بدفق بهي من الحنان الذي غمر حناياها منسربا من شغاف فؤاد والد شط به المزار ، وربما ألطف تعبير في هذه الخطابات بعد بعثه السلام لابنتيه وحبوره برؤية صورتيهما ، وتعبيره عن اشتياق أضناه لهما ، إنما حينما اشترى الخوخ واشتهاه لهما وطلب من زوجته أن تشتري مثله قائلا " **فأرجو أن تبعثي فاطمة الخادمة لتشتري لك منه إن لم يكن موجودا بالثلاجة، وقولي لألوف أن بابا هو الذي أرادنا أن نشتري هذا الخوخ لأنه الفاكهة التي يأكلها في تركيا ..... أرجوك.**"[288]

فهذه الكتابات القريبة من القلب والنابعة منه، كان لها من سلطة الكشف ما أجلت لنا به صورة الكاتب البليغ والوالد الحني والزوج المتيم .

4 ـ اتسمت هذه الخطابات بصدق كبير نأى بها عن التكلف وتعرجاته، فوسمتها تلقائية التعبير ولأنها لم تكتب في البداية لتنشر بل كانت حديثا بين اثنين ، وهمسا بين حبيبين وإخبارا بين مترسلين فقد طبعتها العفوية نفسها والانسياب عينه والصدق والبوح ذاتهما، وربما لو كانت قد خطت بمقصديه النشر عند إنشائها لتوجب مراعاة ما أوصى به محمود درويش صديقه سميح القاسم في رسالته إليه، حين أكد أن نية نشر الخطاب قبل كتابته إما أن يجعلك تتحلى بشجاعة الكشف أو قد يرغمك على اصطناع أن تكون خجلا أو وجلا يقول : "**سنعلق سيرتنا على السطوح، أو نواري الخجل من كتابة المذكرات بكتابتها في رسائل..انتبه جيدا لنستطيع قول مالا يقال، فنحن مطالبان بالعبوس. بالصدق والإخفاء ومراقبتهما في آن..مطالبان بألا نشوه صورة نمطية أعدتها لنا المخيلة العامة.. ومطالبان**

[288]ـ نسيم البوسفور،ص:148.

بإجراء تعديل ما على طبيعة أدب الرسائل، أبرزه استبعاد وجوه الشهود، وجمالية الضعف الإنساني".[289]

وإذا كان الكاتب في البداية قد شرع في تدبيج رسائل نسيم البوسفور من أجل موافاة زوجته بمجريات رحلته وأحوال سفره وما لاقاه ، مفصحا عن كوامنه ومجليا دواخله دون حرص ، فإنه لم يجد غضاضة في أن يطلب منها في النهاية اطلاع الغير عليها ،ولم يساوره حرج حيال ما أفصح عنه من عواطف نحت به إليها لوعة الاشتياق، إذ قال في ختامه لآخر رسالة بعثها إليها ، حينما وصل إلى القاهرة قادما من اسطنبول :"**ولا أريد منك أن تستقلي بقراءتها بل أريد أن تطلعي عليها كل من يهمه معرفة ما حوته، وما أظن بها شيئا أحتاج إلى إخفائه عن الآخرين حتى حين أخصك بالحديث. ومع ذلك فإذا ارتأيت ألا تقرئيها الآخرين فأطلعيهم على ما ترينه خاليا من كل غبار"[290]**.ولعل هاجس الإعلان عنها ظل يساوره ،إلى أن قرر نشرها بنفسه تحت اسم "**نسيم البوسفور**" ليمنحنا فيها باقة خطابات ندية .

فالرحلة بر متها وبكل تفاصيلها إنما أتت على شاكلة رسائل ذاتية فيها المقدمات المعهودة وبها عبارات الافتتاح المألوفة وفيها التذييل المعروف وفيها الترسل عينه .

[289]ـالرسائل محمود درويش وسميح القاسم، دار العودة بيروت1990 ،ص: 35.
[290]ـ نسيم البوسفور ، ص: 202.

المبحث الثالث

المحكي عن الذات :اليــوميات

حين نرنو صوب الكتابة عن الذات بوصفها ملفوظات تضارع تجاربنا ، توثق قصصا حييناها ، تنسج نصوصا تنبض فينا ،تقبض على لحظات زمن هاربة ، توثق لذاكرة منسربة ، تسيج حوادث قد يتلاشى بعضها أو كلها لو مكثت بلا تدوين ،فإننا نلفي ذواتنا إزاء سمت تعبيري يرتكز على نهج إحالي يروم تدوين أخبار وتقييد أحداث مرتبطة بحياة صاحبها ، فنغدو إزاء أنماط متباينة متقاربة ، تتضارع من حيث اعتمادها على سمة التدوين وخاصية الصدق والركون الى انا المتكلم باعتبارها الشخصية الرئيسة ،وأسلوب السرد والإخبار، ابتغاء البوح وإظهار ما استتر ، مع توخي الصدق ومحاذاة التصريح لا التلميح ،وتختلف من حيث مضمون ما يروى ومدى ارتباطه بفترة بعينها أودى انسحابه على مسيرة الحياة برمتها ، وكذا سبل التقييد ومدى انصياعها لتدوين التجربة حال حدوثها او استردادها من مستودعات الذاكرة ، مما يضعنا إزاء تشكيلة من هذه الأنماط التي تعد أ كثر علوقا بالذات وأبلغ تنكبا لها، و منها السيرة الذاتية والمذكرات واليوميات والمفكرات وما ضارعها .

لقد أقدم فيليب لوجون على تعريف السيرة الذاتية بأنها " **حكي استعادي نثري يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص ،وذلك عندما يركز على حياته الفردية وعلى تاريخ شخصيته بصفة خاصة** "[291]، وانبرى جورج ماي ليحدد بحزم الفروق التي تميزها عن المذكرات معتبرا "**أن كلــمة مذكرات في اللغة سابق بقرون على ظهور كلمــة السيرة الذاتية**[292] ووصفها بأنها "**إخبار المرء عما شاهد أو سمع وإخباره عما أتى أو قال".**[293] بينما حصر السيرة في **"إخباره عن الأحوال التي كان عليها"**[294]،ومن ثم

---

[291]ـ السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي، فيليب لوجون ، ترجمة وتقديم عمر حلي ، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء المغرب ـ بيروت لبنان 1994،الطبعة الأولى ،ص:22 .

[292]ـ السيرة الذاتية جورج ماي تعريب د محمد القاضي ود عبد الله صولة رؤية للنشر والتوزيع الطبعة الأولى2017 ، ص: 178.

[293]ـ نفسه ، ص:187

[294]ـ نفسه ، ص:188

اضطلعت المذكرات بإيلاء العناية للأحداث العامة التي عايشها مؤلفها ،بينما انزوت السيرة الذاتية في خندق تقييد كل ما هو فردي وشخصي لصاحبها . وفي ذات السبيل يقول الدكتور مصطفى الجوهري إن الدارسين أجمعوا على **"أن المذكرات مدارها الأحداث الخارجية لصاحبها وهي مذكرات ترتبط بتجربة أو مرحلة محدودة زمانا ومكانا وموضوعا وهي ما أطلقنا عليه المذكرات الموضوعية ."**[295] كما أن **"صاحب المذكرات يفترض فيه أن يكون مساهما في صنع أحداث التاريخ وفاعلا فيها ،"**[296]وقابلها بأخرى نعتها بالذاتية حددها في **"كونها لا تنحصر في افراز محطات الحياة/الذات بكل معطياتها ،بل تتوسع عبرها مكونات متعددة تندرج من خلالها وقائع الذات بالأحداث والاسرة والأماكن والازمنة والأشخاص ...والتاريخ والمجتمع ...مما يؤكد شموليتها لزوايا الذات والآخر في إحالتها المرجعية الوظيفية ،ولذلك يمكن اعتبار المذكرات الذاتية مذكرات يكتبها من كان موضوعا لها ومن كان حدثا ذاتيا او مشهدا ثقافيا فيها."** [297]

ولعل ما حذا بنا إلى الخوض في غمار هذا السبيل من الكتابة ذات المنحى الذاتي التوثيقي، إنما هو ما صرح به كاتب نسيم البوسفور في مستهل رسالته السادسة والأخيرة قائلا :**"وبعد، فهذه رسالة بل مجموعة رسائل سأسطرها لك خلال هذه الأيام الباقية لي في إسطنبول، لأطلعك على أخباري في هذه الفترة بعد أن انتهيت أوكدت من البحث في المكتبات... فهي بهذا أشبه بمذكرة وجيزة عن آخر فترة من رحلتي إلى هذا البلد."**[298]ثم أردف في آخرها **:" لأني قصدت من هذه الصفحات ليس فقط أن أسجل مذكرات وإنما أن أصحبك معي في زيارة تلك المعالم، كما قصدت أن أطلعك على جميع تحركاتي سواء منها ما كان مفيدا أو غير مفيد."**[299]

وهنا نفاجأ بمروق الكتابة الرحلية صوب المذكرات وذلك وفق إقرار بيِّن وقصدية جلية من كاتبها. ومن شأن هذا الإفصاح أن يبعثنا على طرح سؤالين اثنين:

---

[295]- المذكرات في الأدب المغربي : هذه مذكراتي لعبد الله الجراري، تحقيق ودراسة : د. مصطفى الجوهري ، الدراسة ، منشورات النادي الجراري رقم 60 ، مطبعة دار ابي رقراق - الرباط ، ص:39 .

[296]- نفسه ،ص: 30

[297] نفسه ص 40

[298]- نسيم البوسفور ص:155.

[299]- نفسه، ص: 201.

1- أولهما يتعلق بإشكالية التجنيس

2- وثانيهما مرتبط بالتحقق من مدى خضوع نسيم البوسفور لشروط هذا النوع وضوابطه؟

1- المذكرات هي" **سرد كتابي لأحداث جرت خلال حياة المؤلف، وكان له فيها دور بارز، أو كان له حظ مراقبتها وملاحظتها عن قرب، ومعايشتها عن كثب مما يتيح لصاحبها فرصة الكتابة عنها ومتابعة التأريخ"**[300]، وهي بذلك تغدو تدوينا لاحقا وتقييدا بعديا لما حدث، في حين أن ما نصادفه داخل تضاعيف نسيم البوسفور يرتبط بكتابة آنية مساوقة للحدث قابضة على تلابيبه حال حدوثه، حيث يدون الكاتب وقائعه فور حدوثها ولا يترك للذاكرة فرصة السطو والمسح وربما التراجع عن بعض الأشياء وإسقاط البعض الآخر سهوا أوعن مقصدية.

2- في سِفْره القيِّم المذكرات في الأدب المغربي، والذي سبر فيه أغوار هذا النمط النثري وجال في دروبه بين المشرق والمغرب، أضاف الدكتور مصطفى الجوهري شرطا آخر أقره الدارسون لا يتعلق بالكاتب ولا أحداثه ولكنه مرتبط بشروط الكتابة وخاصة زمن التدوين أي السن المناسب للشروع في تقييد المذكرات قائلا :"**دأب كثير من الدارسين على طرح شروط موضوعية لمن يقدم على كتابة المذكرات أو السيرة الذاتية وما يتطلبه هذا النمط من الكتابة: من نضج في الحياة، ونضج في الفكر ونضج في التجارب. ويضيفون إلى ذلك عناصر أخرى في طليعتها الزمن المناسب لكتابتها، وهو ما بعد سن الأربعين، وان كان يستحسن أن تكتب في زمن متقدم وهو سن الشيخوخة زمن اكتمال النضج بكل أبعاده. وهو ما ينطبق على أغلب المذكرات العربية والمغربية."**[301]فباستقرائه لجل المتون التي انضوت تحت هذا النمط استشف أنها لا تكتب إلا في سن متأخرة، وكأن كاتبها يرسخ بها عصارة تجاربه فيودعها خلجات الحروف. لكن كاتب نسيم البوسفور لم ينتظر أن يبلغ مرحلة سنية متقدمة حتى ينقل لنا هذه التجربة ، بل وثقها لحظة حدوثها متوخيا تضمينها بكل تفاصيلها ،إذ لم يكن قد تجاوز أثناء تدوينه لها الواحدة والثلاثين ربيعا.

---

[300]- المعجم الأدبي ، جبور عبد النور ، دار العلم للملايين ، بيروت ،الطبعة الثانية 1984، ص: 246 .

[301] - المذكرات في الادب المغربي ،ص: 90 .

3- ثم إن الكاتب يتحدث عن وقائعه الشخصية وما أبداه من ارتسامات وانطباعات أثناء سفره الى تركيا ، بالاعتماد على إيراد التفاصيل لأن الأحداث لازالت غضة لم يطلها الذبول ،دون أن يرفق بها أحداث تاريخية أو عامة مثلما يستوجب هذا السمت من الكتابة ،وقد أكد الدكتور عباس الجراري نفسه بمناسبة صدور كتاب أبي بكر القادري **"مذكرات في الحركة الوطنية"** أن المذكرات ترتكز على انتقاء ما سيتم تدوينه وعلى **" الممارسة والمشاهدة والرواية، وتتصرف في ذلك كله بالاختيار والترتيب ، وربما بالتحليل والتفسير وحتى النقد ، وقد تعتمد على الوثائق تقدمها لتعزيز تلك الممارسة والمشاهدة والرواية".** [302]في حين أن نسيم البوسفور تحكي عن تجربة شخصية تسمها الذاتية والفردانية دونما ارتباط بأحداث عامة أو تاريخية، ودونما احتياج لتعزيز الطرح وترسيخ الفكرة بالاتكاء على وثائق عامة أو تاريخية .

ومن ثم يبدو أن لفظة مذكرات التي وسم بها الأستاذ عباس الجراري هذا الجزء من رحلته لم تف بما أراده لها صاحبها، لأن تلك الكتابة لم تخضع لشروط ذلك النوع وسماته المميزة.

والذي من الأرجح - في نظري - أن ينسحب على ما قيده أثناء سفرته - سيما آخر الرسائل التي انسرحت على امتداد 40 صفحة وسكنت حنايا 10765كلمة[303]،إنما هو تحديدا جنس اليوميات من حيث انها أي :**"اليوميات سجل للتجربة اليومية يكتبها صاحبها يوما بيوم ويدون فيها ملاحظاته بالنظام الذي وقعت به الأحداث التي شاهدها ...ويسجل كاتبها اتجاهاته إزاء الأحداث التي تتلاحق بسرعة متزايدة ، ويرتبها ترتيبا زمنيا قد يكون متسلسلا أو متقطعا حسبما تيسر له "**[304]. إلا إذا كان الأستاذ الجراري قد وضع لفظة المذكرات مقابل كلمة le journal وليس مقابل لفظة Mémoire - كما أورد عبد الله الحيدري في كتابه مفهوم السيرة الذاتية حين : لقد **" أبقيت على مصطلح مذكرات مقابلا لمصطلح journal ...أعني تسجيل الأحداث حال وقوعها والانطباعات وقت الإحساس**

---

[302]- أبوبكر القادري دراسات وشهادات، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، 1994،ص: 34 .

[303]- هذا الإحصاء شمل الصفحات المطبوعة ، أما المخطوطة باليد فعددها 16 صفحة مما أدخلها في باب الألوكة .

[304]- السيرة الذاتية ،مقاربة الحد والمفهوم ،أحمد علي آل مريع ،كتاب المجلة العربية 178، سنة 1432،ص:58 .

"[305]، ومع ذلك فإن هذه الفرضية تبدو واهنة بالعودة الى تمثل الدكتور الجراري لشروط هذا النمط من الكتابة والذي يتغيى الالتزام ـ في نظره ـ **"بالصدق العام النابع من الارتباط بالحقائق التاريخية والصدق الخاص المتمثل في الخضوع لتجربة الكاتب"**[306] أي وجوب السعي الى ربط العام بالخاص والتاريخي بالذاتي، مما لا يتوفر في أسلوب التدوين الذي ترسمه في رحلته ،والذي ينأى به عن المذكرات وبنودها، ويدنيه من جنس اليوميات .

وإذا كانت اليوميات و المذكرات تتضارعان ككتابات ذاتية من حيث ارتكازهما معا على التقييد والتدوين ،والسعي الى التزام الصراحة والصدق ونقل الوقائع الفعلية كما جرت ،فبدهي أن تتبانا بالركون الى زمن حدوث تلك الوقائع وأوان تسجيلها ، ففي الوقت الذي ترتبط فيه اليوميات بفعل كتابة يومي يوثق الوقائع ويسجل الأحداث الآنية، تعتمد المذكرات ـ بعد حين ـ على السرد الاسترجاعي حينما يتحول الحدث إلى ذكرى قد تصمد حين استردادها وقد يتلاشى بعضها، وقد تبهت كلها فتفقد بعض سماتها نظرا لبعد المسافة بين زمن حصول التجربة وبين وقت تسجيلها ،مع كثرة ما قد يعتري ذلك التقييد من بياضات نتيجة ثقوب الذاكرة وبعد العهد بحدوث الوقائع،،" **تقول بياتريس ديديه: إن المدة الفاصلة بين زمن القص وزمن الحدث هي التي تمكن المؤلف من أن يصور مغامراته على نحو متماسك بعد أن يكون قد مر على حدوثها زمن ، أما تدوين الأحداث يوما بيوم فلا يمكن أن تنتظمه بنية".** [307]

وقد نمثل لهذا الضرب من كتابة الرحلة بالاتكاء على المذكرات برحلة **"التحليق إلى البيت العتيق"** للدكتور عبد الهادي التازي، والتي يقول في مقدمتها: **"كتبت هذه المذكرات منذ موسم حج 1959 أي قبل أزيد من أربعين سنة ، وكانت ثالث رحلة لي بالطائرة ،...كانت**

---

[305]ـ السيرة الذاتية في الأدب السعودي، عبد الله الحيدري ، دار طويق للنشر والتوزيع ،الطبعة الثانية 2003،ص: 42 ، هامش: 3 .

[306]ـ أبو بكر القادري ،دراسات وشهادات ، ص: 34ـ 35

[307]ـ السيرة الذاتية ، فيليب لوجون ، ص:232

رحلة مليئة بالفائدة ...وقد فضلت أن تبقى هذه المذكرات كما كتبتها أول يوم ، حتى تبقى ذكرى للأسلوب وللحدث وحتى نعرف عن رحلات الرفقة وظروفها وصروفها ." [308]

لكن هل خضعت نسيم البوسفور لشروط هذا النوع وضوابطه؟

لا يمكن بحال أن نتنكر للجهود التي بذلها الناقد الفرنسي فيليب لوجون، في سبيل التقعيد للسيرة الذاتية حين عمد في كتابه الأول **ميثاق السيرة الذاتية**[309] إلى التمييز على عجل بين المذكرات والسيرة والرواية الشخصية وقصيدة السيرة الذاتية واليوميات الخاصة والمقالة ،[310] وإن كان لم يول كبير عناية لتعريف اليوميات، التي اهتم بها جورج ماي في ما تلا ذلك في كتابه السيرة الذاتية[311]، مقدما إياها بكونها **"مشتقة من اليوم، وتكتب يوميا بانتظام، ولا يدون فيها صاحبها كل مرة إلا ما وقع له في الفترة القصيرة التي تفصله عن التدوين السابق أما السيرة الذاتية أو إن شئنا المذكرات السيرذاتية ، فإنها تشمل حياة المرء في مجموعها ، ومن ثم فإنها تكتب بعد أن يكون قد انقضى من تلك الحياة شطر كبير. "**[312]، لكن لوجون لم يستطع أن يبارح محكي الحياة الذي ملك شغاف قلبه، حين عاد ليركز على اليوميات في كتاب أصدره سنة 1993تحت عنوان "**أنا الآنسات، بحث حول يوميات الفتيات".**[313] وفي عام 2004 تناول لوجون نفسه اليوميات في مقدمة وضعها لكتاب" **فرانسواز سيمونيت-تينانت، "اليوميات الخاصة"**[314]**، وشكك قليلا في انتمائها للأدب، وكتب: "هل هي حقا نوع أدبي؟ نعم، بالطبع، ولكنها تطورت في وقت متأخر، واليوميات في المقام الأول كتابة عادية، في متناول الجميع، وذلك لأنها تقع في اتصال مباشر مع اللحظة الراهنة... ويضيف: "اليوميات سلسلة آثار مؤرخة "**[315]وفي سنة 2006 أصدر فيليب لوجون وكاترين بوجارت

---

[308]-التحليق إلى البيت العتيق ،د. عبد الهادي التازي ،الكتاب الأول إصدارات الدارة: 116،الطبعة الأولى 1422، ص: 11.

[309]- -Le *Pacte autobiographique,* 1975

[310]- انظر السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الادبي ، ص23

[311]-L'Autobiographie1979,

[312]- السيرة الذاتية ، جورج ماي ، ص: 121

[313]- Le Moi des demoiselles, enquête sur le journal de jeune fille, Le seuil 1993

[314] -propos de Philippe LEJEUNE au livre de Françoise SIMONET-TENANT Le journal intime, genre littéraire et écriture ordinaire, Paris, Téraèdre, 2004.

[315]- مقال تحت عنوان علي أحمد باكثير وفن اليوميات ،مسعود عمشوش ، الموقع الالكتروني https://www.mahaarat.com/

كتابهما عن اليوميات الخاصة[316]،و الذي يضم عرضا تاريخيا لهذا الجنس، إضافة إلى ستين نصا مقتطفا من بعض نماذج اليوميات.ولعل اهم ما قد نخلص إليه من هذه الكتابات هو خضوع اليوميات لسلطة التدوين والتقييد وإذعانها لحدي الزمان والمكان .

في غربته بتركيا كادت الكتابة أن تغدو بالنسبة له صنوا للوجود، حينما أوشك الصمت أن يصير عدما، فصار القلم والورق أصفى خليل له يقول:" **دخلت إلى الفندق لأحرر لك هذه السطور**[317]"،"**وقبل أن أحمل القلم لأكتب لك هذه الصفحات... "**[318]، "**لن أتأخر عن الالتقاء بك على هذه الصفحات، وأنا الآن مضطر للتوقف لأن القلم الناشف جف، فلجأت إلى قلم الحبر وكان قد جف من قبل فغمسته في الماء فتحرك فاترا كما ترين**"[319].

ومن ثم يبدو التدوين والتقييد أهم بندين ارتكز عليهما الكاتب في هذه اليوميات يقول:

" **هذه الصفحات التي سجلت فيها كثيرا مما اتصل بالفترة الأخيرة من رحلتي إلى إسطنبول"**[320]، في سعي جلي إلى خلق واقع لغوي موثق عن واقع فعلي موجود وذلك بتحويل ما جرى من الشفهي المهدد بالنسيان الى المكتوب المذعن للرسوخ. لذلك سيبدو الإسهاب المرتبط بالتدقيق في التفاصيل حينا " **لعلي أطلت عليك بهذا الكلام الذي أحس لعجالته أنه غير منسق،"**[321] **"وأخشى أن تجديها مملة بما حوته من وصف واستعراض".**[322]وسيظهر الإيجاز المتصل بالاقتصاد في التصريح أحيانا "**هذه باختصار - أخشى أن يكون مخلا- مراحل الزيارات التي قمت بها اليوم "**[323]،"**حتى لا أثقل عليك كثيراً بمثل هذا الوصف الذي أخشى –على إيجازه- أن يكون مملاً،"**[324] ،وحيث ان الإخبار مرتبط في اليوميات بتسجيل ما حدث سحابة اليوم في تتالي زمني دقيق لا يغفل ولا يسهو، فان

---

[316]-LEJEUNE PHILIPPE ET CATHERINE BOGAERT, LE JOURNAL INTIME, histoire et anthologie ;Essais littéraires 2006.

[317]- نسيم البوسفور ،ص:170.
[318]- نفسه،ص:180.
[319]نفسه،ص:197.
[320]- نفسه،ص:201.
[321]- نفسه ، ص: 180.
[322]- نفسه ص: 201.
[323]- نفسه،ص:167.
[324]- نفسه ،ص:186.

الـتأريخ في اليوميات يكتسي أهمية كبرى ، حيث أن كتابة الساعة و اليوم و الشهر و السنة على هامش كل يومية يعد أهم معالمها ، كما أنها لا تخلوعلى الإطلاق من ذكر المكان الذي تدون فيه ، وربما صار هذا، مبعث لأنها تصنيفها في خانة التأريخ اليومي والشخصي.

شكل تحديد المكان ركنا مكينا داخل كتابة اليوميات في نسيم البوسفور ،حيث أنه أطرها كأخبار حدثت في فضاء ذي معالم خاصة، لذلك كان إيراده ملزما منذ أول التقييدات إلى آخرها، وقد اختلف هذا الفضاء حسبما أفضت به تنقلات صاحبه، لكنه غالبا ما كان اسطنبول مثل "**إسطنبول مســاء الخمـيس 22-08-1968** "[325] **- "إسطنبول مساء الأربعاء 28-08-1968 الساعة السابعة** "[326]،يقول : "**الساعة الآن تشير إلى التاسعة، وقد مضى على وصولي إلى إسطنبول نصف ساعة استغرقها الطريق من مرسى الباخرة عند قنطرة (كّالاطا) إلى الفندق والتوقف عند بعض الأكشاك لتناول سندوتش بالجبن وكأس من اللبن.**"[327]

وأحيانا هي بورصة " **بورصة 27-08-1968 الساعة 8.15 مساء"، يقول "حياك الله وأسعد مساءك وطيب أوقاتك، ها أنا في بورصة ومنها أكتب لك هذه السطور".**[328] او هي الطائرة في رحلة الذهاب الى القاهرة " **مرت ساعة ونصف منذ أن أقلعت الطائرة من مطار إسطنبول، كلها في غاية المتعة والراحة وسوف لا يمضي أكثر من ربع ساعة قبل أن تنزل في القاهرة"**[329]**.**

ولما بات تحديد التاريخ في اليوميات هو شرطها الرئيس الذي يجعل منها كتابة تتميز عن ما خلاها من أنماط المحكي الذاتي، إذ شكل الميثاق التجنيسي الذي انفردت به عن المذكرات والسيرة الذاتية، من حيث انها غدت وثائق تسجل أفكار مؤلفها وانفعالاته في الزمان المحدد في أعلى اليومية، فإننا سنعاين داخل نسيم البوسفور إصرارا على كتابة التاريخ واليوم والشهر والساعة أيضا وهكذا سنشهد توثيقا تفصيليا انطلق من مساء الخميس

---

[325]- نسيم البوسفور، ص:155.
[326]- نفسه ،ص:172.
[327]- نفسه ،ص:160.
[328]- نفسه ،ص:168.
[329]- نفسه ،ص:200.

22 غشت 1968 لينتهي ليلة الثلاثاء 3 شتنبر 1968 على الساعة الحادية عشرة مساء ، وخلاله سوف تستوعب اليوميات بسعة تقبلها ما مر بالكاتب في الجزء الأخير من رحلته، حيث سيروي لنا ما لاقاه من نصب في سبيل تحديده لموعد سفره الى القاهرة، يقول : **"فقد أخذت التذكرة على شركة ك.ل.م الهولندية لطائرة يوم الثلاثاء ثالث شتنبر، وثمنها مائة وسبعة دولارات"**[330]،ليدنينا من تفاصيل ذهابه إلى الحمام التركي ولم يسه عن وصفه وذكر تقاليده المتمثلة في وجوب لبس الشبشب ثم القبقاب وعادة دفع البقشيش ، وإثر إتمام طقوسه يقول **:"وبعد الانتهاء ومغادرة القبة وجدت من يشير على بأن أخلع القبقاب عند مدخل قاعة الاستراحة وألبس الشبشب. وبمجرد دخولي جاءني خادم بفوطتين إحداهما كبيرة والثانية صغيرة. أما الكبيرة فنشف بها جسمي بعد أن خلع عني الفوطة التي أعطيت عند الدخول ثم تركها ملتفة علي، وأما الصغيرة فمسح بها رأسي ولواها عليه في شكل عمامة"**[331]. وستتلاحق وقائع زياراته للعديد من الأحيزة[332]من أجل الاطلاع والاستكشاف والسياحة، نظير الخزانات والمكتبات والمآثر والقصور والمتاحف والمساجد ،وجامعة إسطنبول ومدينة بورصة وجزر الامراء، و من الجلي أن هذا السمت من الكتابة أتاح له إمكانية منح المتلقي سيلا دافقا من المعطيات التاريخية حول زمرة من المعالم التي عاينها ،كقوله عن سبب تسمية جزر الامراء التي زارها :**"يقولون إن لهذه الجزيرة تاريخاً حافلاً يميزها عن بقية الجزر، ذلك أنها شهدت كثيرا من كبار الشخصيات ينفون فيها عقابا وتأديباً. ويذكرون أن قسطنطين الأكبر في أوائل القرن الرابع للميلاد نفى إلى هذه الجزيرة الأسقف الأرميني نرسيس مع جماعة من أصحابه. وكان النبلاء يأتون لزيارته، وكثرة هذه الزيارات هي التي أكسبت هذه المجموعة من الجزر اسم "جزر الأمراء". ويذكرون كذلك أن الإمبراطور هركليوس في أوائل القرن السابع نفى ولده أطلريكى في إحدى هذه الجزر بعد أن أحس منه روح الثورة."** [333] وسيعرج بعد هذا للحديث عن مدى حبوره لتوصله برسالة من زوجته ،منتبها لحلول عيد الاستقلال بتركيا وفتور مظاهر الاحتفال به ، ليعرج في أسى على استعراض ما لاقاه من كبد

330- نسيم البوسفور ،ص:155.

331- نفسه ،ص:157.

332- تم الحديث عنها اثناء دراسة المكان في الجزء المخصص لملامح الرحلة ومحكي السفر، ابتداء من الصفحة 15 من هذا الكتاب .

333- نسيم البوسفور ، ص:161.

قبل أن يتسنى له قبض المنحة، ثم سيصل إلى تمام رحلته التي انتهت بنفاذ وقتها وبتمكنه من استقصاء المتون و المظان التي أتى من أجلها، وكذا بوصول موعد إقلاع الطائرة إلى مصر ، ومن أجل هذا نراه حريصا داخل يومياته على الإثبات والتقييد حتى أنه لم يغفل ذكر جمع الحقائب والتثبت من حيازة المستنسخات والميكروفيلم، ليصرح متذمرا من داخل الطائرة **:" والذي أريد أن أخبرك به هو المعاملة السيئة التي تعامل بها هذه الشركة (ك.ل.م) الهولندية ركابها. ولكي تدركي إلى أي مدى بلغت هذه المعاملة في السوء تصوري أن كل المحمولات من حقائب اليد وكتب وغيرها توزن وتدخل في الوزن المحدد. ولن تستغربي إذا علمت أني طولبت بواحد وعشرين كيلو، وبعد أخذ ورد خفض هذا الوزن إلى ثمانية عشرة أي إلى أربعة وعشرين دولارا."**[334]ومن غرفته بفندق منيرفا بالقاهرة سوف يضع خاتمة لهذه اليوميات الشيقة بعد أن أدرج فيها كل ما رأى أو سمع أو فعل ،لأن منتهى غايته كما قال لحليلته **: "قصدت أن أطلعك على جميع تحركاتي سواء منها ما كان مفيدا أو غير مفيد".**[335]

ومن الجلي أن وقت الكتابة تباين حسبما وجد الكاتب للتدوين سبيلا فهو الليل غالبـــا **" الجمعة 23-08-1968 الساعة 9 مساءً** أو **السبت 24-08-1968 الساعة 8:30 مساءً ،** أو ربما **الإثنين26-08-1968 الساعة 8 مساءً** .وقد يكون الصباح **الأحد 25-08-1968 الساعة 8:30 صباحا أو الخميس 29-08-1968 الساعة 7 صباحا** وربما **الجمعة30-08-1968الساعة 9 صباحاً.** و أحيانا قد يتفتق سيل التدوين على **الساعة 3.30 بعد الظهر،** يقول **: "زوجتي العزيزة قد تستغربين لي، أُوجد في الفندق وأكتب لك في هذه الساعة على غير العادة، ولكني اضطررت إلى ذلك تحت تأثير حرارة الشمس القوية وصداع ألم برأسي منذ أمس. فقد عدت إلى الفندق بعد الغداء مباشرة لأستريح، والحمد لله أني نمت بعض الوقت، وها أنا الآن أشرب فنجانا من القهوة طلبته من الفندق، وأحاول أن أحدثك بعض الشيء "**[336] أويوم **الثلاثاء 3-9-1968 على الساعة الرابعة بعد الظهر أو الساعــة 6,30 عشية .**

---

[334]- نسيم البوسفور ،ص:200.
[335]- نفسه ،ص:201.
[336]- نفسه ،ص:187.

ولعل وفرة الأحداث وتتاليها احتواها ذلك السرد المتدفق الذي اتكأ على التسجيل وتبنى وتيرة سريعة في عرض الوقائع، واستطاعت الأفعال ككائنات لغوية تدل على الحركة والتنقل ، وكذا الظروف الزمانية والمكانية كمؤطرات أن تواكب هذه المجريات في انسيابها ، يقول وقد اعتمد الحكي مستعملا صيغة الماضي رابطا الأفعال بتتالي زمني واضح : **"كانت الساعة قد اقتربت من الثانية حين خرجت من أيا صوفيا فذهبت للغداء، ثم التحقت بكلية الآداب حيث كان لي موعد مع أحد الأساتذة الأتراك. وقضيت وإياه ساعة ونصفا في مذاكرات مختلفة ورجعت إلى بعض المطبوعات كنت متوقفا عليها ثم انصرفت"**[337]، وتتلاحق الأحداث دون إغفال قائلا **"أما بعد ذلك، فقد ذهبت لقص شعري عند أحد الحلاقين المتواضعين، ولاحظت أنهم هنا كحلاقي مصر لا يحلقون القفا بالموسى ويستغربون لذلك إذا طلبته"**[338].

تجهد اليوميات وهي تتنكب المعيش اليومي ألا تغفل أي صغيرة ولا كبيرة، لأن الاحداث لازالت دافئة لم تخب بعد، فهي تكتب لتوها وبكل تفاصيلها، فالتدوين مواكب للفعل والتوثيق مساوق لحيثيات الوقائع ، وما حدث في الصباح يدون في ساعته أو بعد الظهر او عشية أو ربما في المساء .

لذلك فقد انطلق التقييد يوم الأحد فاتح شتنبر 1968 من أول تباشير الصباح يقول :**"ذهبت صباح اليوم، على الساعة التاسعة والنصف، لعيادة الدكتور إحسان عباس الذي أصيب –بسبب تقلبات الجو- بنزلة صدرية ألزمته الفراش طوال الأسبوع... وفي طريقي إليه بالحافلة، وبعد اجتياز قنوات فالنس، لاحظت أن متحف المدينة مفتوح، فقررت لدى العودة أن أتوقف عنده."**.[339]وعلى إثر تناول وجبة غذاء هنية معه ،قال ملتزما بذكر الساعة ودقائقها :**"وبعد أن افترقنا في حوالي الساعة الثالثة ركبت الحافلة للمتحف. ويقولون إنه كان في السابق مدرسة أسسها غضنفر أغا أحد خدام حريم السلطان سليم الثاني وله مدفن قريب."**[340]وسوف ينتقل من السرد كتقنية للحكي والتقييد ليستدرج الوصف ليقدم مشهدية وهو يلج الصروح التاريخية والمتاحف والمساجد؛وعن المتحف يقول: **"ويضم المتحف تحفا**

---

[337]- نسيم البوسفور، ص:179 .
[338]- نفسه،ص:180.
[339]- نفسه ،ص: 192.
[340]نفسه.

وآثارا مختلفة معروضة في غرف وممرات. وعند بدء الزيارة من الغرف الشمالية نلاحظ عددا من الصور والمناظر والرسوم تمثل مدينة إسطنبول القديمة".[341] وسوف نراه ينتقل بين الغرف وهو يسجل بكل أمانة ما تحويه من ذخائر وكنوز ومعروضات ،حتى يوشك أن يكون عينا لاقطة "**وفي الغرف الوسطى عرضت مجموعة ضخمة من أواني الخزف والكريستال وغيره من أنواع الزجاج الملون وغير الملون، مصنوعة في تركيا وخاصة في إسطنبول وبِيكُوز... أما في الغرف اليمينية فنلاحظ مجموعة رائعة من السبح والخطوط وأدوات الكتابة –مصنوعة في أغلبها من الصدف والعاج- وأنواع الكاغد ونماذج من التجليد والتذهيب ومجموعة من الأختام والأوسمة وبعض قطع النقود... ومن أروع هذه الغرف تلك التي خصصت للأراجوز... وحين نترك الغرف للممرات نجد صورا للملابس العسكرية القديمة.**[342]**..**"ثم يستأنف يومياته بعد خروجه من المتحف مستعرضا ما رآه أو مر به أو استرعى انتباهه قائلا :"**وتركت المتحف لأعود إلى الفندق مارا بالسليمانية فالجامعة فبايزيد فنورو عثمانية... وتوجد خارج المسجد ملحقات به ذات نفع عام تتمثل في مدرستين ومستشفيات... ونلتقي بعد جامع السليمانية وملحقاته بالجامعة... وخلف الجامع سوق الكتب حيث عدد هائل من المكتبات مجمعة وبعض باعة الكتب القديمة يعرضون بضاعتهم في الأرض أو على موائد أو عند سور الجامع... ويوجد خلف هذا السوق "البزار الكبير" وهو عبارة عن مدينة كاملة مسقفه تخترقها شوارع ودروب وأزقة وتملأها المتاجر والدكاكين، وتزدحم بالسواح من مختلف الألوان والأجناس. ويقولون إنه أعظم بزار في العالم... وفي طريقي إلى الفندق، وقد اقتربت بعد اجتياز البزار، أمر بجامع نورو عثمانية NURUSSMANIYE تظلله أشجار باسقة... أما بعد هذ ا الجامع فلا تبقى للفندق إلا خطوات...."**[343] وتبدو الكتابة لديه حالة أصيلة، لكونها نابعة من ذات حقيقية تعايش تجربة حية، يسعى صاحبها في تقديمها بالالتزام بالصدق دون مجملات ، يقول مصححا معلومة كان قد أوردها :" **قلت إني بعد أن تركت المتحف عدت إلى الفندق ولكني في الحقيقة لم أعد إليه مباشرة لأني فوجئت خلال الطريق بالجو ينقلب مكفهرا والريح تهب شديدة والتراب يعصف**

---

[341] نسيم البوسفور ،ص:192.
[342] - نفسه،ص: 192-193.
[343] - نفسه ،ص:193-194-196.

قويا والمطر ينزل متهاطلا فالتجأت إلى أقرب مكان، وهو مقهى شعبي يخنقه دخان النرجيلة... ومر وقت طويل قبل أن يخف المطر..."[344] .وبانتهاء هذا اليوم يكون قد تمم وثيقة واقعية تفصيلية من محكي الذات سوف يمهرها بقوله بصفته كاتبا لها وساردا لمجرياتها وبطلا لأحداثها : **"وهكذا عزيزتي ودعت يوما آخر من أيام الغربة"**[345].

لاريب ان اليوميات تعد أحد الأنماط الأثيرة للكتابة عن الذات وبذلك فهي تلج باقتدار مملكة الادب الحميم لأن **"الابداع مجهر يمكنك من اختبار ومعاينة وجه من اوجه الوجود الانساني ، لكنه لا يستطيع تقديم الصورة الداخلية للكائن بكاملها تبقى اليوميات في هذا أقرب إلى الحقيقة."**[346]كما تقول ـ أنابيس نان في يومياتها ـ .

غير أن سؤالا يلح علينا بشدة لنطرحه الآن تحديدا، وهو لماذا عن لكاتب نسيم البوسفور أن ينتقل من الترسل كأسلوب كتابة إلى اعتماد اليوميات كصياغة للتدوين؟

1- ليس يخفى أن الرسالة المكتوبة، من حيث هي خطاب مجسد على محمول ورقي، تتسم بجسمها المادي الذي يبعث من مرسل معلوم الى متلق مخصوص عبر مظروف ينتقل بواسطة خدمة البريد، ومن ثم تبدو مسألة الطول والقصر ذات أهمية بالنسبة لهذا النمط من الكتابة، وبالعودة الى كتاب نسيم البوسفور من البين، نلاحظ أن الرسائل الخمس التي تم بعثها من تركيا تراوحت بين الورقة والورقتين، بينما الرسالة السادسة التي أتت على شكل يوميات امتدت على مدى 8 صفحات. ولاريب أن هذا الأمر كان له بالغ التأثير على نهج الكاتب أسلوب الايجاز والاقتصاد في الرسائل، وركونه الى الاسهاب والتفصيل في الثانية.ولعل هذا هو ماحذا بالكاتب الى التصريح في نهايتها **"حتى هنا أنهي هذه الصفحات التي سجلت فيها كثيرا مما اتصل بالفترة الأخيرة من رحلتي إلى إسطنبول، وأخشى أن تجديها مملة بما حوته من وصف واستعراض، وأن تقولي بعد قراءتها، وماذا تفيدني هذه الأشياء؟ ولكن أرجوك أن تقرئيها بتمعن وهدوء. محاولة تصور تلك الأماكن في لحظة زيارتي لها، لأني قصدت من**

---

[344]ـ نسيم البوسفور،ص:197.

[345]ـ نفسه.

[346]ـ اليوميات (مختارات)، أنابيس نن،ترجمة لطفية الدليمي، دار المدى للثقافة والنشر ،بيروت ـ لبنان ، الطبعة الأولى 2013، ص: 188 .

هذه الصفحات ليس فقط أن أسجل مذكراتـ وإنما أن أصحبك معي في زيارة تلك المعالم، كما قصدت أن أطلعك على جميع تحركاتي سواء منها ما كان مفيدا أو غير مفيد."[347] **"**

2ـ ارتبطت كتابة الرسائل برمتها بوقت زمني محدد هو المساء ، حيث كان الكاتب بعد عودته من رحلاته المعرفية في المكتبات وزياراته الاستكشافية للمعالم والمتاحف يجلس في غرفته بالفندق ليستحضرما يمكنه إثباته وما يستطيع إسقاطه من أخبار أو أحداث ، ملتزما بما تتيحه له الرسائل من فسحة مكانية . بيد أنه وبانتقاله إلى اليوميات صار التدوين ملازما لوقوع الحدث فقد يكتب صباحا أو بعد الظهر أو عشية أو في المساء دونما تقيد بالإيجاز ،لأن ميزة اليوميات تتمثل في دقتها وصحتها ، ومن ثم يجهد في الاتيان على ذكر التفاصيل لا تقديم ملخص عنها .وإذا كان تاريخ الرسائل يشي بأنها كانت تكتب على فترات متباعدة أي كل ثلاثة[348] أو خمسة أو سبعة أيام مما يهدد جملة من الوقائع بالاندثار نتيجة نسيانها ، فإننا في اليوميات سنعاين تقييدا متتاليا و متقاربا دون فواصل ، بل قد نلمس ثلاث تقييدات في ذات اليوم تنساق حسب تنقل الرحالة وحركته ،مثلما فعل حين مغادرته إسطنبول يوم الثلاثاء 3-9-1968 حيث سجل على الساعة الرابعة بعد الظهر" **حميدتي، الساعة الآن الرابعة والنصف وأنا مضطر أن آخذ سيارة أجرة إلى مركز الشركة في تقسيم حيث ستأخذنا حافلتها إلى المطار في الخامسة. وسألقاك فيما بعد بإذن الله على متن الطائرة"**[349]،وعلى الساعة 8و30 مساء من نفس اليوم قال :" **مرت ساعة ونصف منذ أن أقلعت الطائرة من مطار إسطنبول، كلها في غاية المتعة والراحة وسوف لا يمضي أكثر من ربع ساعة قبل أن تنزل في القاهرة."**[350] وبعد ذلك وعلى الساعة11 ليلا قـــال: " **باستثناء احتجاز الجواز لمدة ربع ساعة مع بعض الأسئلة، لم أجد أية صعوبة، بل على العكس من ذلك وجدت كثيرا من الترحاب وخاصة من الجمركي الذي لم يسال حتى ذلك السؤال التقليدي عما تحويه الحقائب.**

---

[347]ـ نسيم البوسفور ، ص: 201.

[348]ـ الرسالة الأولى كتبها مساء الجمعة 02-08- 1968، والرسالة الثانية بعدها بخمسة أيام أي مساء الأربعاء 07-08-1968أما الرسالة الثالثة فبعدها بسبعة أيام أي يوم 14-08-1968،والرسالة الرابعة بعدها بثلاثة أيام 17-08-1968والخامسة بعدها بثلاثة أيام 20-08-1968 .

[349]ـ نسيم البوسفور،ص:200.

[350]ـ نفسه .

ولم أجد حافلة فأخذت سيارة أجرة مناصفة مع أحد العراقيين. والواقع أني حرت أين أنزل وأخيرا قررت مؤقتا أن أقيم في فندق مِنيرفا القريب من بامبو"[351].

3- ولا جرم أن ركون الكاتب في تلك المرحلة بالذات، أي بعد أن كاد أن ينجز مهمته المعرفية التي من أجلها ارتحل وعزم على السياحة ورؤية الأثر، مرده إلى إيمانه بأن هذا النوع من المحكي عن الذات هو الأقدر على ترسم ما سيسرده ويورده من أخبار وحكايات .ومن ثم فإن هذه اليوميات استبعدت دور الذاكرة ولعل هذا ماحذا بجورج ماي لأن يقول **: "ان عيب اليوميات انها اذ تحل محل الذاكرة تسلبها غضارتها وينتهي بنا الامر فاذا نحن لا نتذكر الا الكلمات التي كتبناها "**[352] ،حين قام صاحبها بتسجيل الأحداث التي يمر بها أولاً بأول دون إهمال أو تأجيل، وهكذا كان التدقيق والواقعية والتفصيل ديدنها . بيد أن الرسائل ونظرا لصبغة الايجاز التي وسمتها ،لم تكن مستقصية لحدود الوقائع ،يقول الكاتب في إحدى رسائله: **"هذه بعض أخباري أزفها إليك ،"**[353]والتبعيض اجتزاء من الكل وانتقاء من المجموع واختيار لخبر دون غيره ، ولذلك لمحنا **عدة بياضات وخروم تنتابها إما بفعل وهن الذاكرة أو بدافع ذكر الأهم فالمهم ، أو نظرا لعدم أهمية الحدث ،**أو ربما لضرورة الإيجاز الذي استوجبه أسلوب الرسالة ،**ومن ذلك** قوله **: "وسأذهب غدا إن شاء الله إلى مكتبتين في الضفة الأسيوية من المدينة... <u>وقد سبق أن عبرت إلى هذه الضفة مرتين ذهبت فيهما للمعهد الإسلامي.</u>"**[354]فالكاتب لم يسبق له أن ذكر خبر زيارته إلى المعهد الإسلامي ،مع أنه قام بهذا الفعل مرتين ، ونفس الأمر سوف نلحظه وهو يتحدث عن دأبه احتساء الشاي بمقهى الجامعة مع أنه لم يورد هذا الحدث سابقا قط : **"ويعتبر مقهى بايزيد الملتصق بالجامع، وفي الهواء الطلق تحت شجرة عظيمة، ملتقى الأساتذة والباحثين، <u>وغالبا ما أشرب فيه شاي الصباح</u>،"**[355]ولفظة غالبا تعني أن الحدث تكرر حتى كاد أن يغدو عادة ، ومثل ذلك قوله: **"ويواجهنا عند الخروج من الجامعة ميدان فسيح أقيم فيه جامع بايزيد نسبة إلى ابن الفاتح، وهو نموذج لفن العمارة العثماني المتأثر بالطابع السلجوقي، وتغلب**

---

[351]- نسيم البوسفور،ص:201.
[352]- السيرة الذاتية ، جورج ماي ، ص: 124 .
[353]- نسيم البوسفور ، ص: 138.
[354]- نفسه ،ص:154.
[355]- نفسه ،ص:195.

عليه البساطة من الداخل سواء في التصميم أو الزخرفة، وقد صليت فيه أولى جمعة لي بالمدينة"[356]، وهذا الصنيع لم يأت على الإخبار به في رسائله التي بعثها لحرمه.

4- بات اقتران كتابة الرسالة بالإجابة عن خطاب متوصل به أو تدبيج كتاب يستدعي تقديم إيضاحات وردود، مما أدى إلى انشطار الكتابة داخل الرسالة عينها إلى نمطين: تعلق الأول منها بالاطمئنان على حال الأسرة والتشوق إليها والسؤال، وارتبط الثاني باستعراض ما مر بالكاتب وما أنجزه. ومن شأن هذا السبيل المقترن ببعث الرسائل وتلقي الردود، فضلا عما يفرضه من إيجاز واختصار واستحضار للمخاطب والرد عليه وسؤاله، أن يقيد منحى الكتابة ويسيجه، لكننا مع اليوميات سنشهد خفوت نبرة الحنين، واستتار السؤال عن الأهل والأبناء، والاسترسال في سرد الوقائع والاستفاضة في عرضها.

5- شكلت قرب مغادرة الرحالة لتركيا سببا آخر دفعه لأن يجنح صوب العزوف عن بعث الرسائل وانتهاج أسلوب التدوين الآني اليومي لما يلاقيه ، لذلك طلب من زوجته في رسالته الخامسة ،التي دبجها مساء الثلاثاء 20 غشت 1968وكانت آخر ما أرسله من إسطنبول قائلا: **"لا تحاولي أن تكتبي لي على عنواني في إسطنبول، بل إذا شئت ابعثي على عنوان سفارتنا بالقاهرة"**[357].وذلك خشية عدم توصله بها نظرا لبطء البريد بين البلدين .ومن ثم عول وعقد النية ان تتخذ الرسالة الأخيرة شكل تدوين مسترسل يشمل كل ما سيمر به إلى أن يصل إلى مصر فيرسلها من هناك " .

لما كانت **"اليوميات من أطرف الأنواع الأدبية وأمتعها لما فيها من عمق الإحساس بالزمان والمكان"**،[358]فقد أوليت لها عناية بالغة في الأدب الغربي ، ويكفي أن نذكر يوميات كافكا و أنابيس نن ودالي و ما عداها ،لكنها ظلت متوارية في أدبنا العربي ولم يحفل بها إلا قريبا[359]، إذ يرى محمد عبد الغني حسن أن العرب على كثرة ما تفننوا في كتابة السير **"لم يفكروا في المذكرات واليوميات الشخصية إلا على حال من الندرة ."**[360]،وذلك ربما

---

[356]- نسيم البوسفور ،ص:195.
[357]، نفسه ، ص:154.
[358]- السيرة تاريخ وفن ،ماهر حسن فهمي ،دار القلم 1983، الطبعة الثانية، ص: 262
[359]- من أوائل اليوميات ، يوميات نائب في الارياف لتوفيق الحكيم .
[360]- التراجم والسير ،محمد عبد الغني حسن ،دار المعارف ،الطبعة الثالثة 1980، القاهرة ،ص:23

لارتباطها بالجانب الشخصي المتواري لدى كتابها ومدى قدرتهم على الكشف وانتهاج البوح الذي تقتضيه هذه الكتابة ، وقد سعى الأستاذ صدوق نور الدين في كتابه الذات والعالم الى مقاربة هذا الجنس الحميم من خلال دراسته ليوميات عبد الله العروي و محمد خير الدين، وعبد اللطيف اللعبي ، حيث خلص إلى أن **"الذات الكاتبة لا تسرد ما يندرج في القول التقريري وإنما تمثل رؤية إلى الذات والعالم، هذه الرؤية التي تحتمل تأويلات عدة من خلال السياق الذي حدثت فيه. وهكذا فاعتمادها على الصدق، والحقيقة، والاعتراف ... بوصف اليوميات كتابةً مرتبطةً بتجربة إنسانيةٍ، تيمُّنًا بما يقوله ستاندال بأنه «ليس صحيحًا أننا نكتب لأنفسنا»، ذلك أن الأنا المرتبطة بها ليست في الحقيقة أنا فردية ولكن أنا جمعية رغم أن «الميثاق المرجعي» الذي يلتزم به الكاتب قد يكون حقيقيًّا قدر الإمكان من دون أن يكون التزامًا يستوجب واجب المماثلة الدقيقة مثل ما نجد في السيرة الغيرية."**[361]

لقد استطاعت آخر رسائل نسيم البوسفور التي تزيت برداء اليوميات، أن تلتزم بخصوصيات هذا السمت من الكتابة، من حيث الالتزام بالصدق والواقعية، وتنكب التدوين والتقييد، والارتكاز على إثبات الازمنة والأمكنة، وتقفي التفاصيل وتسجيلها حال حدوثها، مما أتاح للرحالة القدرة على التحكم في الذاكرة ومحاصرة خرومها، ولعل ضمير المتكلم الذي كان ساردها وبطلا فيها ومدونا رسخ خصوصيتها كمحكي ذاتي . ولاريب أن هذا المنحى التدقيقي التفصيلي القائم على الإسهاب في العرض والوصف والاسترسال في التقييد والتدوين هو الذي مكن الرحالة من ترسيخ مرئياته وتوثيق وقائع ما مر به .

[361]- الذات والعالم... نحوَ تقعيد لكتابة اليوميات ،لحسن أحمامة ،مجلة الفيصل ، مايو 2019.مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية .

الفصل الثاني

رحلة نسيم البوسفور وتعالق الأجناس

لا غرو أن تكريس الاعتقاد بأن **" الأجناس الأدبية تصنيفات معيارية وتنظيمية تقوم على تقسيم النصوص الابداعية استنادا على أدوات فنية ـ شكلية في الأغلب ـ هدفها الأساسي تحديد هوية معينة للنص الابداعي والتي بدورها ـ أي الهوية ـ تساهم في تنظيم العملية الإبداعية من جهة ،وتسهل رصدها ودراستها نقديا ،وتوقع تطوراتها المستقبلية من جهة أخرى"**[362]. قد يوحي بانغلاق هذه الأجناس على مقوماتها وقطعها لدابر أي تأثرقد يمرق إليها ويعصف بنقاء نوعها وصفاء محتدها ، وإذا بات ذلك المعطى الذي كان أصيلا مع التقسيم الأرسطي ،ألحظ تجاوزا حين لم يعد الجنس الأدبي **"معطًى ثابتاً، وإنَّما يتغيَّر من حقبة زمنيَّة إلى أخرى؛ نتيجة لتغيُّر العلاقات بين الأنساق المكوِّنة لذلك النّوع ـ أو الجنس ـ ولذلك فمن غير المجدي إقامة أيِّ تصنيف أجناسيّ صارم، لأيِّ نوع من الأجناس الأدبيَّة، كما أنَّ داخل كلِّ نوع من الأنواع هناك عناصر أساسيَّة، وعناصر ثانويَّة. إذا لم يحترم النَّصُّ العناصرَ الثانويَّة فإنَّ انتماءه إلى النوع لا يتضرَّر، أمَّا إذا لم يحترم العناصر الأساسيَّة (...) فإنَّه يخرج من دائرة النَّوع، ويندرج تحت نوع آخر، أو في الحالات القصوى، يخلق نوعاً جديداً."**[363]فإن تقييمنا لنص نسيم البوسفور سيكون مبعثه الاحتكام الى الى السمات الغالبة عليه والمعالم المهيمنة على خطابه بهف تصنيفه أجناسيا بغية تحديد أصالة أصالة انتمائه والركون إليها.

لقد أفضى بنا تشريح هذا النص إلى استجلاء ميزات ثلاثة أصناف قولية تناوبت مضمار السرد والحكي والترسل ،وهي الرحلة والرسالة واليوميات .ورغم أن مؤلف ذلك النص كان قد قطع منذ البدء دابر أي ارتياب بشأن جنس نصه حينما منحه شهادة ميلاد تنسبه إلى أدب الرحلات ، ووثق هذه الأبوة بعد أن رقشها على غلاف سفره ، وأكثر من هذا،

[362]ـ السرد والحوار ، حميد الحميداني ،مجلة دراسات سيميائية وأدبية ولسانية ،العدد3، 1988،المغرب ، ص:148

[363] ـ الأدب والغرابة، عبد الفتاح كيليطو، ، بيروت، دار الطليعة، الطبعة الثالثة ، 1997، ص: 21- 22.

وحينما نتصفح قائمة كتب الدكتور عباس الجراري المخطوطة[364] نلف نسيم البوسفور ثاويا في منزلة بين المنزلتين حيث ينعته على هذا النحو: **"نسيم البوسفور (رسالة ـ رحلة ـ من تركيا ، صيف 1968)."**[365] و إن وضعه محاذيا أدب أسفار أخرى اخترق فيها المؤلف الآفاق .

لكن الذي رج سكون استقرار هذا النص إنما هو ما أعلنه الكاتب قائلا: **" وأعد بنشر الرحلة التي كنت دونتها عن هذه المدة .وهي عبارة عن رسائل كنت أكتبها لزوجتي السيدة حميدة الصايغ مساء كل يوم ، أخبرها بما قمت به في هذا اليوم ، ولم أبعثها إليها في الرباط ـ مجموعة ـ إلا بعد وصولي إلى القاهرة "**[366]،وفضلا عن بدو الرسالة بكل بهائها ، سنفاجأ بإصراره على استقدام مقومات خطاب آخر هو المذكرات[367] قائلا **" فهذه رسالة بل مجموعة الرسائل سأسطرها لك خلال هذه الأيام الباقية لي في إسطنبول، لأطلعك على أخباري في هذه الفترة بعد أن انتهيت أوكدت من البحث في المكتبات. ولن أبعثها لك إلا في آخر لحظة، جامعة لما كان يمكن أن أكتبه في رسائل مختلفة، فهي بهذا أشبه بمذكرة وجيزة عن آخر فترة من رحلتي إلى هذا البلد"**[368]. ويؤكد ذلك قائلا **:"لأني قصدت من هده الصفحات ليس فقط أن أسجل مذكرات وإنما أن أصحبك معي في زيارة تلك المعالم".** [369] .

وهنا سنتجاوز اعتبار الرحلة ضمن الأجناس الصافية ونؤكد مع موريس بلانشو على **"وجود قاعدة لا تتوضَّح إلاَّ من خلال الخرق، فالشَّكل الذي يعرف تحوُّلاً مستمرّاً يعطي في كل تحوُّل استثناء، وبالتالي يؤكِّد القاعدة ".**[370] مما سيجعل منها وهي تطأ ممالك أنواع أخرى **"كتابة مفتوحة وهي اختيار اجناسي جديد يكسر مفهوم نقاء الجنس الأدبي ويغيب الحواجز الفاصلة بينه وبين أي جنس آخر"**[371] ،ولا غرو أن ما حذا به إلى هذا السبيل المفضي الى انفتاح الرحلة على تلك الأنماط إنما هو إدراكه لعجز هذا الجنس الواحد بمفرده

---

[364] ـ موقع الدكتور عباس الجراري .www.abbesjirari.com://

[365] ـ نفسه.

[366] ـ مع المعاصرين أسماء وآثار في الذاكرة وفي القلب،عباس الجراري ، جمع خديجة العسري ،منشورات النادي الجراري رقم :82، الطبعة الاولى 2019، ج:4، ص: 81

[367] ـ أوضحنا أن الأمر يتعلق باليوميات وليس المذكرات ، أنظر الكتاب ص 79 وما بعدها .

[368] ـ نسيم البوسفور ،ص:155.

[369] ـ نفسه.

[370] ـ مقدّمات في نظريَّة الأنواع الأدبيَّة، رشيد يحياوي، افريقيا الشرق ، الدار البيضاء المغرب ،الطبعة الثانية 1994،ص: 19

[371] ـ المرأة والسرد ، محمد معتصم ،دار الثقافة للنشر والتوزيع ،الطبعة الأولى2004 ،ص:65-66

عن استيعاب ما يرغب في التعبير عنه ، وهنا تماما يمكن أن نؤيد ما ذهب إليه رولان بارث بأن " **النص كون مفتوح".**[372]

فمن تضاعيف الحكي وثنايا المعنى، ظل السرد منسابا والتدوين دافقا، وعبر تحول الحدث من سبيل الشفهي العابر إلى عراقة المكتوب المخلد ، تتاخمت الخطابات داخل نسيم البوسفور حتى كادت أن تؤرجح فلك انضباطه، وبين الرحلة والرسالة واليوميات مضت الكتابة في دربها تسرد وتقيد وتحبر دونما حرج أو تعثر، وهي تمتح من مقومات هذه الأجناس برمتها،والتي بدا الكاتب مدركا لها ومتبينا لآليات اشتغالها.

ولما كان سنن التجاور يقتضي من الأجناس الانفتاح على بعضها البعض، عن لنا أن نطرح سؤالا يبدو الآن ذا شرعية جمة، وهو ما الذي يضارع هذه الأنماط التي جمعت إلى بعضها داخل هذا النص

حين نعتبر" **أن النص لايمكن أن يكون متضمنا في تسلسلية ولا حتى في مجرد تقسيم للأجناس ، بل إن قوته على العكس من ذلك ..تكمن في تهديم التصنيفات القديمة"**[373]**.**فآنذاك ستنجلي أمامنا بعض التقاطعات التي لمت هذه الأنماط الكتابية إلى بعضها ويأتي على ناصيتها:

1- كونها تشترك على سبيل الصياغة في اعتمادها على النثر باعتبارها فنونا تعتمد على الاسترسال في الكتابة، وتندرج بالأساس ضمن الأنماط النثرية لا الشعرية، يقول مسكويه: "**فكذلك النظم والنثر يشتركان في الكلام الذي هو جنس لهما، ثم ينفصل النظم عن النثر بفضل الوزن الذي به صار المنظوم منظوما. ولما كان الوزن حلية زائدة وصور**

---

[372]- التأويل بين السيميائيات والتفكيكية ،أمبيرتو إيكو ،ترجمة وتقديم سعيد بن كراد ،المركز الثقافي العربي ، بيروت - لبنان ،الطبعة الثانية 2004،ص:42 .

[373]- من العمل الى النص ، رولان بارث ،ترجمة محمد خير البقاعي ، ضمن سلسلة دراسات في التناص والتناصية ،مركز الانماء الحضاري ، حلب ، سورية ، الطبعة الأولى1998 ، ص : 15

فاضلة على النثر صار الشعر أفضل من النثر من جهة الوزن. فإن اعتبرت المعاني كانت المعاني مشتركة بين النظم والنثر. وليس من هذه الجهة تميز أحدهما من الآخر"[374]. مما أتاح للكاتب يسر تناولها دون أن يشعر القارئ بلطافة الانتقال بينها مادامت جميعها تقوم على الانسياب اللفظي الذي لا يتقيد بوزن ولا قافية، بل يقوم على التوالي الجملي الذي يشرع بوابات الحكي والتعبير وتضمين الأحداث. إذ ألفينا النثر يسعف الكاتب تماما حين هم برواية رحلته أو ترقيش خطاباته الى زوجته او توثيق ما مر به سحابة يومه.

2- اندراجها برمتها ضمن أنماط الكتابة عن الذات، لاتسامها بالصبغة الشخصية، مادامت تنطلق من تجربة مر بها صاحبها وحيا تفاصيلها ووثقها سواء كانت ارتحالا أو وقائع دونت خشية النسيان ،أومكتوبا أرسل للإخبار والاستخبار .

3- اعتمادها على ضمير الأنا الذي يقود الخطاب داخلها ويوجهه ، ويخلق تطابقا تاما بين منشئ النص ومؤلفه وبين السارد والشخصية المحورية في النص ، فهو المسافر داخل الرحلة والكاتب في الرسالة والمدون في اليوميات ، وفضلا عن هذا هو الاسم العلم المتداول ذي الوجود الفعلي و الحضور الواقعي، فالأنا **"فضـــلا عما لها من مكـــانة وقدوة ومعـــرفة صاحبة امتياز الكتابة."**[375] فهذه الأنماط الإبداعية لاتحتاج الى وسيط يتكفل بمهمة تسطير احداثها ووقائعها وانما ينجز المهمة الشخص المعني بها والذي تحمل اسمه على الغلاف .

4- تتسم هذه الأنماط الكتابية بمنحاها المرجعي ذي البعد الإحالي ، فشخوصها فعلية وأحداثها واقعية وأزمنتها ليست خيالية ، وأمكنتها حقيقية وترتبط بتجربة ذاتية ، مما ينآى بها عن التخييل ودروبه.

5- ارتكزت الأجناس الثلاثة على التسجيل الآني الفوري لما يحدث أو يحس، غير معتمده على الذاكرة ولا متعلقة ببياضاتها .مما يمنحها القدرة على استقصاء الأحداث وتسييجها

---

[374]- الهوامل والشوامل، التوحيدي ومسكويه ،تحقيق احمد امين والسيد احمد صقر،لجنة التأليف والترجمة والنشر،القاهرة 1951، ص: 309.

[375] - "كتابة الماضي بالمضارع تأملات في السيرة الذاتية" ، رشيد بنجدو، مجلة علامات في النقد ، الجزء 23 ،المجلد 6، مارس 2007،ص:65.

وتسجيلها بدقة متناهية ،يقول :"**كما قصدت أن أطلعك على جميع تحركاتي سواء منها ما كان مفيدا أو غير مفيد**"[376].

6- ارتبطت بجلاء بتحديد الزمان والمكان ،على اعتبارها فنونا قولية توثق حوادث مرتبطة بفضاء بعينه ووقت بذاته ،وقد بدا ذلك من خلال ذكر اليوم والشهر والسنة والساعة أيضا، مما أتاح للمؤلف إمكانية الصياغة بأساليبها دونما عنت .

7- توخى مؤلفها الصدق والصراحة المتأتيان من كونه تبنى التلقائية والعفوية في العرض والسرد أيضا ،انطلاقا من الغرض المتوخى من الكتابة لديه ،وهو الإفصاح والتسجيل والتدوين ،وكذا بالنظر إلى نوعية المتلقي الذي لم يكن سوى زوجته ، وهو أمر حذا به إلى عدم سلك سبيل المبالغة والتخييل وإنما رام النقل الواقعي لما حدث بغير تحرج ولا حذف ولا تجميل .

8- اعتمدت الكتابة على الأسلوب الخبري التقريري القائم على المناوبة بين الوصف الذي يستدعي انتباها ودقة ملاحظة من الواصف لكي "**يستوعب أكثر معاني الموصوف، حتى كأنه يصوِّر الموصوفَ لك، فتراه نصْبَ عينيك**"[377] والسرد باعتباره أسلوب حكي ،وهو ما توفر في هذه الأجناس القائمة على النقل والتسجيل ،يقول المؤلف : "**حتى هنا أنهي هذه الصفحات التي سجلت فيها كثيرا مما اتصل بالفترة الأخيرة من رحلتي إلى إسطنبول**". [378]

9- الارتكاز على التدوين والتوثيق لأنها تروم برمتها نقل تجربة السفر وما انطوت عليه من أحداث وما واكبها من وقائع .

وقد يقول قائل : بدهي أن الحديث قد انتهى بشأن مقاربة الرحلة وتعالقها مع باقي الأجناس باعتبارها خطابا منفتحا حيث اعتبر الأستاذ عبد الرحيم مؤدن أن الرحلة" **كتابة**

---

[376]- نسيم البوسفور ،ص: 201.

[377]- الصناعتين في الكتابة والشعر، أبو هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، طبعة 1406هـ/1986م، ص. 128.

[378]- نسيم البوسفور ،ص: 201.

ملتبسة سواء على مستوى الهوية الأجناسية Génétique، أو على مستوى محاورتها -في سياق نظرية الأدب- لأجناس أدبية وغير أدبية"[379]كما أكد الأستاذ عبد النبي ذاكر أنها "**شكل أدبي هجين ينماز بتعدد أوجهه وتمظهراته، إلى حد أنه يمكن القول : إنه جنس متكامل يحطم قانون صفاء النوع، وذلك بإدماجه أنماطا خِطابية متنوعة من حيث الأشكال والمحتويات، الشيء الذي يعطي الانطباع بأنه شكل مائع ومرن إلى حد كبير، إضافة إلى شدة عقده واحتماله لأنماط وأساليب ومضامين كتابية تبعده عن البساطة الظاهرة لتجعل منه جنسا مركبا وكليا وشموليا وعاما، وجنس الأجناس"**[380].وبين الهجانة والانفتاح بات أدب الرحلة كتابة متخللة تكدر مقومات الأجناس الأخرى صفاء نوعها .وإذا كان هذا الرأي ينسحب على هذا النص من حيث استلهامه وإغارته على معالم اليوميات وانصهاره معها بالاعتماد على رصد الأحداث اليومية وتدوينها والارتباط بالتاريخ واليوم والساعة وتوخي الدقة والالتزام بالصدق والصراحة. فإن الأمر يبدو ذا اختلاف من حيث متاخمته للرسالة، والحق أننا نصادف نصوصا رحلية ليست وفيرة وسمت باسم الرسالة مثل رسالة ابن فضلان الى بلاد الترك والخزر والصقالبة والروس، بيد أنها لم تحمل من ملامح الرحلة قليلا أو كثيرا لأنها كانت مرويات عن زيارة هذا الرحالة لبعض البلدان وتقييداته بشأن ما رآه وعاينه ، فبدت على شكل تقرير أنجزه للخليفة المعتضد الذي بعثه إلى هذه

---

[379] – مستويات السرد في الرحلة المغربية خلال القرن التاسع عشر، رسالة دكتوراه تحت إشراف الأستاذ أحمد الطريسي أعراب، نوقشت بكلية الآداب بالرباط عام 1995، ص: 14.

[380]- المحتمل في الرحلة العربية الى إلى أوروبا وامريكا والاتحاد السوفياتي خلال القرنين التاسع عشر والعشرين ، عبد النبي ذاكر ، رسالة دكتوراه تحت إشراف الأستاذ سعيد علوش ، نوقشت بكلية الآداب باكادير عام 1998،ص:83

البلدان،**"فهذه الرسائل ليست وظيفتها وهمها محصورا في ان تصل الى المخاطب لتنقل اليه ما يريد الكاتب فحسب ،وانما كانت الأوساط الأدبية كلها تتلقف هده الرسائل ، وتتناولها بالدرس والتمحيص والتقدير والتقويم ،فتكون مقياس الحكم على هدا الكاتب او ذاك،وسبيل تقديره وإعلائه او إسقاطه والانصراف عنه ،ومن ثم كانت تقتضي روح العصر بأن تخرج الرسائل على مثل هده الصورة".**[381] كما بدت رسالة الغفران ورسالة التوابع والزوابع كرحلتين متخيلتين أولاهما صور المعري من خلالها رؤيته للجنة والنار وفهمه وتمثله لهما ، وثانيهما الى وادي عبقر، وإن لم يجمعهما بالرسالة سوى "**الطبيعة الجوابية الظاهرة او المضمرة عن سؤال حقيقي او محتمل."**[382]حيث أتت رسالة الغفران جوابا على رسالة بعثها إليه ابن القارح ، بينما رسالة التوابع والزوابع وجهها ابن شهيد الى ابي بكر بن حزم وفيها يحكي وقائع تعرفه على جني اسمه زهير بن نمير حمله في رحلة إلى أرض التوابع والزوابع.

لقد أكد الدكتور شعيب حليفي أنه:"**إذا كان أسلوب الرحلة المكتوبة في شكل رسالة لم يشع فلأنه يقصي أحد أهم مكونات النص الرحلي :الوصف والتدقيق في التفاصيل"**[383]، بيد أننا سنشهد داخل نسيم البوسفور مروقا عن هذا السمت المألوف في إيراد الرسائل كنصوص مضمنة داخل متن الرحلات ،وسنلمس الرنو صوب صياغة جديدة للنص الرحلي أتت من ارتدائه لبوس الرسالة وتشكله على هيأتها ، فالرحلة لم تسط على تقنيات هذا الفن النثري العريق فحسب بل أتت على صورة خطاب ترسلي تام الأركان ومستوفي الخصائص[384]، فإذا نحن أمام الاستهلال عينه والمقدمة ذاتها والمتن والخاتمة نفسيهما، وإذا

---

[381]ـ نثر أبي العلاءالمعري ، دراسة فنية ، صلاح رزق ، دار الثقافة العربية ،1985، ص:204

[382]ـالرحلة في الادب المغربي ،ص: 122

[383]ـ نفسه .

[384]ـ انظر الجزء الخاص ب "الرسالة وتحبير الخطابات"، ابتداء من الصفحة 55 .

نحن إزاء مكاتبات ممهورة تبعث في أظرفة مختومة نقلها ساعي بريد من إسطنبول الى الرباط ، وحتى حينما تبنى الكاتب أسلوب اليوميات في آخر شطر من رحلته ،نراه وقد استهلها بقواعد هذا الجنس ملتزما بالتحية **"الحمدالله"**[385] وتأريخ خطابه **"إسطنبول مساء الخميس 22-08-1968 "**[386] وذكرالمرسل إليه : **"حميدتي العزيزة "**[387]وعدم التفريط في الديباجة :**"أهديك أصدق التحايا وأحر الأشواق وأعذب القبلات، راجياً أن تكوني والصغار وجميع أفراد الأسرة بخير"**[388]، وختمها ماهرا إياها باسمه كما يقتضي ديدن الترسل **"زوجك المخلص عباس"** مقرا أنه سيبعثها قائلا :" **وسأبحث ابتداء من صباح غد إن شاء الله بعد أن أوجه لك هذه الرسالة، عن مكان مناسب للإقامة والعمل.**[389]

ولما كانت الرسالة **"قطعة من النثر الفني تطول أو تقصر تبعاً لمشيئة الكاتب وغرضه وأسلوبه ، وقد يتخللها الشعر إذا رأى لذلك سبباً، وقد يكون هذا الشعر من نظمه، أو مما يستشهد به من شعر غيره، وتكون كتابتها بعبارة بليغة وأسلوب حسن رشيق، وألفاظ منتقاة، ومعانٍ طريفة".** [390]ألفينا أن مدبج هذه الخطابات وهو يحبرها قد عمد إلى ترقيشها بما انسرب على أسلة لسانه من شعر أو نثر ،وهكذا انعطف في الرسالة صوب خطاب الأمثال مستحضرا إياها كعبارات حكمية موجزة للتصبر **" من عرف ما قصد هان عليه ما وجد"**[391] أو أخذ الموعظة **" لا بد قبل الشهد من إبر النحل"**[392] أو من أجل

---

[385]- نسيم البوسفور،ص:155.

[386]- نفسه.

[387]- نفسه.

[388]- نفسه.

[389]- نفسه ، ص:201.

[390]- الأدب العربي في الأندلس :عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، ط2 ، بيروت،1976 ص:448.

[391]- نسيم البوسفور ،ص: 140.هذا المثل مأخوذ من قولة إبراهيم بن أدهم إلى الثوري: الذي كتب **"من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل، ومن أطلق بصره طال أسفه، ومن أطلق أمله ساء عمله، ومن أطلق لسانه قتل نفسه"**، البداية والنهاية، بن كثير ، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ، هجر للطباعة والنشر ، الطبعة الاولى 1998، ج:13،ص: 508.

[392]- نسيم البوسفور،ص:141.المثل مأخوذ من بيت المتنبي :

تريدين لقيان المعالي رخيصة ولا بد دون الشهد من إبر النحل

ديوان المتنبي ، عبد الرحمن البرقوقي ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، 2014 ، ص : 950 (مع استبدال كلمة **"دون"** بلفظة **"قبل"**).

الإستماتة والمضي لبلوغ المرام "**مـــن سار على الدرب وصل**"[393] و "**عند الصباح يحمد القوم السرى**"[394].

ولم تخل كتابته من تضمين لبعض حكايات السلف كقوله بغرض تهدئة زوجته وحثها على عدم مؤاخذة الخادمة: ومما "**حكاه أحد جلساء المأمون العباسي لعله عبد الله بن طاهر، ذكر أنه كان في حضرة الخليفة ذات يوم ونادى الخليفة: "يا غلام" فجاء هذا الأخير يزبد ويرعد ويقول "يا غلام يا غلام ..... كأنه ليس لهذا الغلام صلاة يؤديها أو طعام يأكله أو جسم يستريح إليه ....في كل لحظة يا غلام ..... " وظن ابن طاهر أن المأمون سيأمر بضرب عنق الغلام ولكنه صرفه برفق وهدوء وظل مطرقا بعض الوقت ثم قال لجليسه: " إذا حسنت أخلاق قوم ساءت أخلاق خدمهم وإذا ساءت أخلاق قوم حسنت أخلاق خدمهم، ونحن يا عبد الله لن نسيئ أخلاقنا لكي تحسن أخلاق خدمنا ،وقديما قيل فيما يشبه المثل " من كرم المولى سوء أدب الغلام"**[395]**.**وقد انفتحت نصوصه على القريض حين انتابه لدى رؤية صور الحليلة والأبناء ما خامر الشاعر حين قال:

---

[393]- نسيم البوسفور،ص: 141. هذا المثل مأخوذ من بيت من لامية ابن الوردي وقد ورد كالآتي:

لا تقل قد ذهبت أربابه ... كل من سار على الدرب وصل

ديوان ابن الوردي، تحقيق عبد الحميد هنداوي ،دار الآفاق العربية ،الطبعة الأولى 2006 ،ص: 278

[394]. نسيم البوسفور،ص: 141. أصل المثل كما قال المفضل :"إن أول مَنْ قال ذلك خالد بن الوليد لما بَعَثَ إليه أبو بكر رضي الله عنهما وهو باليمامة: أن سِرْ إلى العراق، فأرادَ سُلوكَ المَفازة، فقال له رافع الطائي :قد سلكتها في الجاهلية، وهي خِمسٌ للإبل الواردة، ولا أظنك تقدِرُ عليها إلا أن تحمل من الماء، ثم سَقَاها الماء حتى رَويت، ثم كَتَبَها وكَعَم أفواها، ثم سلك المَفَازة حتى إذا مضى يومان وخاف العطَشَ على الناس والخيل، وخشى أن يذهب ما في بطونه الإبل نحَرَ الإبلَ واستخرج ما في بطونها من الماء، ومضى، فلما كان في الليلة الرابعة قال رافع :انْظُرُوا هل تَرَوْنَ سِدْرا" عِظاماً؟ فإن رأيتموها وإلا فهو الهلاك، فنظر الناسُ فرأوا السِّدْر، فأخبروه، فكبَّر، وكَبَّر الناس، ثم هجموا على الماء، فقال خالد:

لله دَرُّ رَافِعٍ أَنَّـــــى اهْتَدَى	**فَوْزَ من قَرَاقِر إلى سُـــوَى**
خِمْـــساً إذَا سار به الجيشُ بَكَى	**ما سَارَهَا من قبله إنْسٌ يُرَى**
عِنْدَ الصَّبَاح يَحْمَدُ القَوْمُ السُّرَى	**وَتَنْجَلِي عَنهُمُ غَيَابَاتُ الْكَرَى**

مجمع الأمثال ، أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة - بيروت ج:2،ص: 3 .

[395]- نسيم البوسفور ،ص: 153.هذه الحكاية مستقاة مما أورده الزمخشري قال : "**عبد الله بن الطاهر ، كنت عند المامون ثاني اثنين ، فنادي : ياغلام ، ياغلام ، فدخل غلام تركي فقال : ألا ينبغي للغلام أن يأكل أويشرب أو يتوضأ أو يصلي ؟كلما خرجنا من عندك تصيح : ياغلام ،يا غلام إلى كم يا غلام ؟فنكس رأسه طويلا ، فماشككت أنه يأمرني بقطع عنقه ،فقال: ياعبد الله إن الرجل إذا حسنت أخلاقه ساءت أخلاق خدمه ،وإذا ساءت أخلاقه حسنت أخلاق خدمه ،فلا نستطيع ان نسيئ أخلاقنا لتحسن أخلاق خدمنا** "، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار ، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ،تحقيق عبد الأمير مهنا ، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت ،لبنان الطبعة الاولى ،1992 ج:3،ص:351

وصلت ولكن بعد طول تشـــوق ودنت وقد رقت لقلبي الشيق [396]

فـثملت من طرب برجع حديثها فكأنما قد نادمـــــت بمعتق

وبدت الخلفية الدينية واضحة جلية سيما عندما استبد به الحنين وأضناه الرحيل و نكأ جراحه وجع البين فاستحضر حديثي الرسول صلى الله عليه وسلم **"السفر قطعة من العذاب "**[397]،و**"لو يعلم الناس برحمة الله للمسافر لأصبح الناس على ظهر سفر إن الله بالمسافرين رحيم".** [398]

وحيث أن هذه الخطابات الست أذعنت لمقومات الرسالة من حيث التشكيل الجمالي وشروط النوع ،فلماذا وسمها مؤلفها بصفة الرحلة ؟

ولعل الإقدام على سرد مجريات الرحلة في زي رسائل تنتقل من باث مغترب إلى متلق ينتظر أخباره وما به سينبئه ، صادفناه عند الأديب الفرنسي لافونطين في رحلته التي انطلق فيها من باريس الى ليموجين في صيف 1663 حيث بعث الى زوجته ست رسائل وثق فيها لهذا السفر و جمعت في كتاب وسم ب: Lettres à sa femme Voyage de paris en Limoussin". ورغم أن ما يجمع رحلة لافونطين إلى رحلة الدكتور عباس الجراري هو انطلاق الرحلتين معا في فصل غشت القائظ ، وتشكلهما معا في ست

---

[396]- نسيم البوسفور ،ص:164.البيتان موجودان بخزانة الأدب وغاية الأرب، تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي الأزراري، تحقيق : عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال – بيروت،الطبعة الأولى ،1987 ،ج1 :ص: 32 .

[397]- الحديث الشريف بصيغته الكاملة، ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"السفر قطعة من العذاب يمنع أحدكم طعامه وشرابه ونومه فإذا قضى نهمته فليعجل الى أهله"**، صحيح البخاري، الامام ابو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري، الطبعة الاولى 2002، دار ابن كثير دمشق لبنان، كتاب الجهاد والسير، ص: 739.

[398]- نسيم البوسفور،ص:175.لم أجد هذا الحديث في الكتب الصحاح ، ولكني ألفيته في ربيع الابرار ونصوص الاخيار ، ج:3 ،ص:7 ، حيث ورد بنفس الصيغة عن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" **لو يعلم الناس برحمة الله للمسافر لأصبح الناس على ظهر سفر إن الله بالمسافرين رحيم**".

رسائل وجهت من الرحالة البعيد إلى الزوجة المترقبة لأخباره ، فإن الاختلاف تأتى من نعت هذا الأديب الفرنسي لنصه بالرسائل ،وتحديد كاتبنا لمتنه بكونه رحلة .

ولما كان أدب الرحلة **"له معماريته النصية التي تدخله في نوع من التفاعل مع معمارية نصية ما بهذا الشكل أو ذاك".**[399]فإن نسيم البوسفوررغم انفتاحه على الأجناس الأخرى ورغم سطوه على مقوماتها وتشكله على هيأتها ،ورغم مضارعته لها ـ كما أسلفنا ـ في سمات شتى ،فإنه ينماز عنها بامتلاكه لمحكي السفر[400] والذي يجعل منه نصا رحليا باقتدار ،فثمة الرحلة بصفتها انتقالا فعليا ومبارحة واقعية لأمكنة وبلوغ أخرى ، وهناك كتابة توثق وتدون لهذا الارتحال ، وثمة تذويت للخطاب على اعتبار التطابق التام بين الرحالة كبطل وشخصية رئيسة وسارد للأحداث وبين المؤلف الذي ينسب هذا النص له ويسميها باسمه ، ثم وهذا هو الأهم ثمة صورة الاخر التي يراهن ادب الرحلات على تمثيلها وإبرازها وهذا أمر لا يتوافر في الرسالة ذات المنحى البوحي و لا في اليوميات ذات البعد الذاتي .

وإذا كنا قد أسلفنا التفصيل في خصائص **"نسيم البوسفور"** كنص ينضوي تحت محكي السفر، فسندنو منه الآن كخطاب يحاور الآخرالمغاير وقد يقف عند الملاحظة أحيانا ،لكنه قد يتجاوزها إلى المقارنة والنقد والتقييم متى عن له ذلك .

[399]ـ الكلام والخبر: مقدمة للسرد العربي ، سعيد يقطين ، المركز الثقافي العربي ، البيضاء / بيروت ، الطبعة الأولى ،1997، ص: 186
[400]ـ انظر ملامح الرحلة ومحكي السفر ابتداء من ص 15 من هذا الكتاب.

الفصل الثالث

الأنـا و صورة الآخـر في نسيم البوسفور

تنتقل المشاهدات في هذا النص الرحلي من النظر العادي في الوهلة الأولى، إلى تشكل الانطباع، ومنها إلى إبداء الملاحظة التي قد تنم عن القبول فينتج عنها اندهاش مشوب بالإعجاب ، أوقد تفرز امتعاضا قد يفضي إلى الانتقاد والرفض. وفي كلتا الحالتين يبرز الرحالة كمتلق للآخر ليس من حيث هو ذاك المختلف في الهوية فحسب، ولكن من حيث هو هذا الآخر المتجلي حاملا لتاريخ وحضارة مباينين وثقافة ولغة مغايرين .وهنا تبرز المقارنة كأسلوب تلق وحكم وتقييم وانتقاد أحيانا ،حيث تظل الخلفية الثقافية والدينية حاضرة غير متوارية ، ولا تبدو إلا حين ينبهها جرس التمثل ،لذلك تتناسل على جسد النص عبارات "**وأول ما لفت نظري**"[401] " **استبد بي حب الاطلاع وسألت فأشير علي...**"[402] ـ " **ألفت نظرك**"[403] ـ "**أهم ما يلفت نظر الزائر**"[404]ـ"**وأهم ما لفت نظري**"[405]، "**لاحظت** "[406] فالذات متيقظة لملاحظة وتوثيق كل جديد عن ديدنها ، مترقبة للاطلاع على كل ماهو عنها مباين وغير معتاد.

ويمكن أن نلحظ بيسر أن الكاتب لم يول هذا المختلف عنه كبير اهتمام من حيث الطباع وتقاليد اللباس أو حتى من حيث أوصاف الجسد وسبل العيش، بقدر ما أثار انتباهه ما يجعله مغايرا بالنظر الى ما ألفه . ولما كان الرحالة شاهدا على ما رأى ،و بطلا لأحداث لم يعاينها غيره،وراويا حين نغدو جميعنا متقبلين ،وإذا كان يصرح لزوجته في بداية نصه: " **أريد أن أبدي لك بعض الملاحظات أو إذا شئت بعض الانطباعات الأولى.**"[407]فلأن الرحلة هي

---

401 ـ نسيم البوسفور، ص:138.
402 ـ نفسه، ص: 156.
403 ـ نفسه ، ص:159.
404 ـ نفسه ، ص: 161.
405 ـ نفسه ، ص: 169.
406 ـ نفسه ،ص:187.
407 ـ نفسه ، ص:138 .

"النوع الأدبي الذي يفسح المجال أمام ترسيخ تقليد الموازنة بين فضائين وقيمتين وصورتين ، حتى في الحالات التي تقتصر فيها الرحلة على مجرد الوصف للعالم الجديد، لأن هذا الوصف يخضع عن وعي أولاوعي، لمنظور وثقافة الواصف الذي يعمل على تحويل نوعي ومفهومي للمنظورات ."[408]وهذا ما يقحم هذا السمت من الكتابة في مجال الصورولوجيا التي **"تعد من مباحث الأدب المقارن،تهتم بدراسة وتحليل ورصد الصور الثقافية التي تكونها وتحملها الشعوب عن بعضها البعض في سياق شروط موضوعية معينة ."**[409].

يمكن أن نميز د اخل نسيم البوسفور بين ثلاثة أنماط من التلقي :

[408]- الصورة الغربية في الذاكرة الشرقية ،الصورة الشرقية في الذاكرة الغربية ،سعيذعلوش، ضمن مجلة الثقافة الأجنبية (محور الرحلات)بغداد - العراق ، السنة التاسعة، العدد الثالث ،1989

[409]- الانا الاخر، سلسلة شرفات العدد: 43، منشورات الزمن - المغرب 2014،ص:26

المبحث الأول

1. الملاحظات

في أحايين عدة يتحول التلقي في هذا النص إلى الانطلاق من الماثل للعيان إلى استحضار القار في الوجدان ، حينما يعمد الرحالة إلى الملاحظة وتقريب المعنى ، وذلك ارتكازا على تشبيه الموجود أمامه في اسطنبول بما سبق أن رآه أو عاينه مع زوجته التي إليها يوجه الخطاب ، فيغدو اشتراك الخلفية مساعدا على نقل وتقريب المعلومة ، مثلما حدث حينما تحدث عن الكؤوس المخصصة لشرب الشاي في تركيا قائلا : **"ويقدمونه في كؤوس صغيرة مخصورة شبيهة بتلك التي كنا نشرب فيها الشاي في بيت الأستاذ رشاد"**[410]،أو بعدما قدم له ذلك الخف عند ولوجه الحمام فقال **:"ولبست (شبشباً) جلديا كتلك الشباشب التي كنا نشتري من مصر"**[411]، فالكاتب وزوجته قضيا مدة طويلة بمصر إبان دراستهما بجامعة القاهرة[412] ،ومن ثم تأتّى لهما الاطلاع على هذا النمط من الأحذية، وهو هنا كمتلق للحدث وناقل له في ذات الآن ، يسعى لأن ينشط حبل الذاكرة كي يوصل ما يبغي من معطيات إلى متقبل أخباره ،وهكذا فما إن زار متحف الفنون الإسلامية حتى أعـرب معجبا: **"ومن أروع هذه المصاحف مصحف صغير في حجم مصحف الصدف الذي عندنا"**[413] ،فالخلفية المشتركة تؤسس ميثاق تواصل جلي له في هذا المستوى مع متلقي خطابه .

لقد كان لبعض الأحداث من الجدة ما دفع بالكاتب إلى الانتباه إليها والسعي إلى فهمها وإدراك فحواها ،هو الذي ألف السؤال وما استساغ تمرير حدث دون أن يدرك كنهه ، ومن ذلك :

1- ما لفت انتباهه في جامع نوروعثمانية من إسدال ستار جلدي على بابه إيذانا بالاعتكاف، يقول :**"ولهذا الجامع في ذهني ذكرى لا أنساها لأنه أول جامع صليت فيه، ولفت انتباهي أول يوم مررت به، أي في صباح آخر شهر يوليوز، ستار جلدي يغطي بابه،**

---

[410]- نسيم البوسفور،ص:147

[411]- نفسه ،ص:156

[412]- منذ سنة:1960، وقد وثق لهذا الحدث في ديوانه الجزء الأول" أشواق" .

[413] - نسيم البوسفور ، ص:166

وتبين لي فيما بعد أن هذا الستار –وهو سميك وثقيل لضمه عدة طبقات من الجلد-لا يرفع إلا في أوقات الصلاة حين يكثر الداخلون، أما في غيرها فيسدل ولكن دون أن يمنع دخول المصلين أو السواح. وغالبا مايكون لونه أخضر أو بنيا ومزوقا بقطع جلدية من لون آخر، وغالباً كذلك ما تكتب عليه آيات كريمة تخط تحتها دائما هذه العبارة "نويت الاعتكاف"، وكأن إسداله إيذان بذلك".[414]وربما أتت هذه الدهشة من إحساسه بمدى تجذر قيم الإسلام في هذا البلد العلماني الذي يحرص المرء فيه على لزومُ المسجد والإقامة على طاعة الله، وقد يكون مردها لإدراكه ـ وهو العارف بفرائض الاسلام وسننه ومبيحاته ومحظوراته بأن الاعتكاف في المساجد يكون متلازما مع شهر رمضان الفضيل، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رضى الله عنه ـ قَالَ :"**كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَعْتَكِفُ فِي كُلِّ رَمَضَانَ عَشْرَةَ أَيَّامٍ، فَلَمَّا كَانَ الْعَامُ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ اعْتَكَفَ عِشْرِينَ يَوْمًا.**"[415] وعَنْ عَبْـدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ـ رضي الله عنهما ـ قَـالَ: "**كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَعْتَكِفُ الْعَشْرَ الأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ**"،[416]وربما أيضا أدهشه المكان المخصص للاعتكاف حيث يسدل ستاره "**دون أن يمنع دخول المصلين أو السواح.**"[417]وربما استحضر رحالتنا قول السيدة عائشة رضي الله عنها : عن عائشة رضي الله عنها قالت **: "كان النبي يعتكف في العشر الأواخر من رمضان ، فكنت أضرب له خباء فيصلي الصبح ثم يدخله".**[418]

إنه جدل الرحالة المسلم العارف الذي يقيم تقابلا بين عالمين ، أحدهما موطنه الذي بارحه وفيه تطبيق تعاليم الدين الإسلامي على سمت مخصوص ونحو معلوم ، وآخر أدركه،له نفس المعتقد مع فروق ينبهه إليها تأمله فتجليها ملاحظاته وإن بشكل مضمر .

---

[414]ـ نسيم البوسفور،ص:196.

ـ [415]ـ صحيح البخاري الامام ابو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري،الطبعة الاولى 2002 دار ابن كثير دمشق لبنان ، كتاب الاعتكاف ، ص 487.

[416]ـ نفسه ,

[417]ـ نسيم البوسفور ،ص: 196

[418]ـ صحيح البخاري ، كتاب الاعتكاف، ص: 487

2- و تبدو قصة الماء أطرف من سابقتها يقول : **"وللماء قصة عجيبة ومحيرة لم تزل حيرتها في نفسي إلى هذا الأسبوع، ذلك أنه يقدم معبأ في زجاجات حتى في أصغر المطاعم وأكثرها شعبية وبدون طلب."**[419]ولقد دب في نفسه الارتياب مما دفعه لأن يحجم عن شرب ماء الصنبور،ولم يقتنع حتى سأل طبيبا قطع لديه الشك باليقين ، يقول **:" الشيء الذي جعلني في شك من أمر الماء العادي الجاري في البيوت والفنادق وغيرها. وطبيعي أن يجعلني هذا الشك أحجم عن شربه إلا مضطرا وخاصة في المساء قبل النوم. وكنت كلما سألت أحدا ممن أستطيع التفاهم معه أجبت بأن الماء العادي نقي وصالح للشرب، ولكن الذي يقدم في القنينات أحسن لأنه خفيف وطبيعي، يجلبونه من بعض عيون المنطقة. وظل السؤال يتردد في نفسي إلى أن قابلت هذا الأسبوع طبيباً عراقياً يشتغل في تركيا فبين لي أن الماء الجاري نقي ولكنه يحتوي على كمية هائلة من "الكلس" تجعله مضرا بالكلى، وأكد لي أن الناس لايشربون منه، وأن البيوت تجلب ماء العيون معبأ في زجاجات ضخمة تكفي لشرب أسرة كاملة، وهو بعد هذا ليس غاليا فالزجاجة الصغيرة لا تساوي أكثر من ربع ليرة.**[420]ولعل تعبئة ماء العيون في قارورات ليس هو ما أثار انتباهه ، لكن معلومة كهذه نحت به صوب الالتفات إلى ثمنه الزهيد بالنظر إلى مثيله في موطن الرحالة الأصلي الذي عادة مايكون غير بخس .

3- وفي بعض الأحيان ينبري لقطع دابر الشك باليقين ، فيعمد بعد أن يلاحظ ويميز ،إلى تصحيح بعض المعلومات التي قد تكون مغلوطة ،كقوله: **ولعلك تظنين أن الناس هنا يشربون القهوة أكثر من أي مشروب آخر، خصوصاً وأن النوع المعروف منها في سائر بلاد الشرق يوصف بأنه تركي، ولكن الواقع أن الشاي هو المشروب الأول، وأعني الشاي الأحمر...،أما القهوة - وثمنها ضعف ثمن الشاي-فتقدم في فناجين مختلفة الأشكال، وتقدم مُرة ما لم تطلب حلوة، ولا يقدم الماء معها إلا بالطلب"**[421].فهو يركز على معلومتين ، الأولى أن القهوة لا تستهلك كما أشيع أكثر من الشاي ،والثانية توضيحه اختلاف طرائق تقديمها ، ولست إخال إلا أن ثمة مفارقة مستترة قائمة في وجدان الكاتب وبموجبها يقيم تقابلا

---

[419]- نسيم البوسفور،ص: 147.
[420]- نفسه .
[421]- نفسه.

بين الذي ألفه في بلده من تقديم الماء تلقائيا إلى جانب هذا المشروب الأصيل ، مصحوبا بقطع السكر،حتى إذا شاء احتساها حلوة وإذا أراد شربها مرة ، وبين هذا الجديد الذي يجعل من الماء والسكر غاية تطلب ،مما أثار انتباهه بالارتكاز على الذي عليه درج.

4ـ ولأن المساجد كانت أثيرة بالنسبة إليه فلم يفته أن يرصد كيفية أداء صلاة الجمعة في هذا البلد ذي اللسان غير العربي، قائلا :" **وقد صليت الجمعة اليوم في مسجد صغير بقرب الفندق، وكانت الخطبة عبارة عن جزءين أحدهما بالعربية والثاني بالتركية. أما الجزء العربي فهو التحميد والاستغفار وتلاوة بعض الآيات والأحاديث في أول الخطبة ثم الدعاء في آخرها، وأما الجزء التركي فهو صلب الخطبة المتعلق لا شك بشرح تلك الآيات والأحاديث. وكذلك كانت الخطبة الثانية**"[422]، وهو إن لاحظ أن لغة الخطبة تزاوج بين العربية والتركية إلا أنه ما عتم أن خلص وهو يوازن بين طولها بينها وبين ماعهده، بأن تبين أن الخطبة الثانية " **كما هي العادة قصيرة**".[423]

وقد استرعى انتباهه في مسجد الوالدة أمر بالغ الأهمية ،يقول **:" <u>ولاحظت قبل الصلاة ظاهرة لم يسبق لي أن لاحظتها</u> على كثرة ما صليت الأوقات المختلفة وفي أكثر من مسجد، ذلك أن الإمام حضر قبل الوقت بحوالي ربع ساعة وواجه الناس في المحراب ورتل حزبا كاملا من سورة البقرة بعد أن أعطى أحد الجالسين أمامه مصحفا ليرشده عند الخطأ أو التوقف، وقد احتاج لذلك أربع مرات. والعادة ـكما سبق أن لاحظتـ أن الإمام يجود آيات قليلة إثر انتهاء الصلاة، وقد فعل إمامنا ذلك.**[424]ولاريب أن استغرابه من ترتيل حزب كامل قبل الصلاة إنما أتى من إعجابه بهذا، وكذا لكون هذا الفعل لم يلحظه شائعا في مساجد اسطنبول وربما لم يعاينه حتى في مساجد المغرب ،وإلا لكان ذكره من باب الموازنة،لذلك فهو يجلي بهذه الملاحظات ذلك المستجد الموجود عند الآخر ويضعه في مرآة الأنا التي تسكتشف .

5 ـ عن قصد أو بتلقائية يلفي الرحالة نفسه حين مواجهته لمجتمع جديد بعاداته وتقاليد أهله ، وهو يعقد مقارنة خفية دون أن ينتبه إليها أحيانا ، تغدو حجر الزاوية في بناء

---

[422]ـ ـ نسيم البوسفور ،ص:138.
[423]ـ نفسه .
[424]ـ نفسه،ص:190.

ملاحظاته ونقل معلومة مغايرة ، وقد صادف الكاتب احتفال الأتراك بعيد استقلالهم يقول:" **اليوم يحتفل الأتراك بعيد الاستقلال، يحيون به ذكرى النصر في الحرب التي خاضوها تحت قيادة مصطفى كمال أتاتورك لتحرير البلاد من قوات الاحتلال الذي استمر من 1918 حتى 1922؛"**[425]، وبناء على ماقر في إدراكه وفق ما اعتاده في بلده إبان هذه المناسبات الوطنية المتجذرة في الوجدان ،فقد تعطش لمعاينة مظاهر تجسيد هذه الذكرى التي تعد فيصلا في تاريخ تركيا الحديثة ، يقول: **"وإذن فاليوم عيد الاستقلال، ولم أخرج بعد حتى أشاهد مظاهره، وكل ما لاحظت من غرفتي أن هدوء الحركة بالخارج يذكر بأيام الأحد."**[426] ، ومن الجلي أنه تم كسر أفق انتظاره بصفته متلقيا أجنبيا عن البلد ، كان يحسب أنه سيعاين صخبا وحماسا وفرحا باديا ، لكنه تفاجأ بشدة قائلا: **"لا أخفيك أني اندهشت حين سرت في الشارع ولم ألاحظ من مظاهر العيد إلا تعطيل الإدارة والأبناك وتعليق الرايات والأعلام والمصابيح الملونة وخروج الأطفال في أزياء جديدة. أما الدكاكين فمفتوحة والحركة دائبة ولكن في شيء من السكون."**[427]إذ اختصر العيد في التعطيل عن العمل والدراسة وتزيين الشوارع .

6- وأثناء حديثه عن التيار الإسلامي الذي ظهر بصورة قوية في تركيا العلمانية قال :**"ويواجه هذا التيار تيار آخر يساري شيوعي لم يهيأ لي أن أتعرف إليه، وهو منبث كذلك في بعض أوساط طلبة الجامعة. ولهؤلاء وأولئك كامل الحرية في التعبير عن آرائهم؛ وتذكرين أنا كنا نسمع أخبار مظاهرات وإضرابات كان يقوم بها طلاب الجامعة خلال العام المنصرم، بل إني صادفت مرة وبالضبط يوم السبت ثالث غشت تجمعاً ضخماً أمام الجامعة، قيل لي فيما بعد إنهم طلاب الجمعيات الإسلامية كانوا يردون على تجمع سابق للشيوعيين."**[428]، ولا اعتقد أن ما لفت انتباه الكاتب هو مظاهرات طلاب الجامعة ، فهذا شيء مألوف ، ولكني أحسب أن ما أثاره هو أن**"لهؤلاء وأولئك كامل الحرية في التعبير عن آرائهم"**[429]،فرحالتنا أستاذ بالجامعة و من المؤكد أنه عاين احتجاجات الطلبة، ومن ثم فإنه ـ

[425]- نسيم البوسفور ،ص:181.
[426]- نفسه ،ص: 182.
[427]- نفسه .
[428]- نفسه.
[429]- نفسه.

ربما ـ يستحضر ـ دون أن يعلن ـ ، كيف قوبل هؤلاء هنا وعلى أي شاكلة جوبه الآخرون هناك .

7ـ ومن طرف خفي أشار الرحالة إلى مزاولة وظيفة وتقاضي أجر عليها والجمع بينها وبين القيام بمهمة الآذان والإمامة أو الخطبة في المسجد ، يقول :**"ومن حسن المصادفات أني قابلت مؤذن الجامع وواعظه وتذاكرت بعض الوقت مع هذا الأخير – وله إلمام بالعربية – فأخبرني أنه يعظ يوم الجمعة قبل الخطبة وفي بعض أيام الأسبوع، وأن هذه وظيفته يتقاضى عليها مرتبا مشرفا، ولا يجوز له الجمع بينها وبين وظيفة أخرى. ومثل الواعظ المؤذن والإمام والخطيب."**[430]وللمزيد من الاستيضاح ،أخبر مخاطبيه عن قاض قابله باسطنبول فضلا عن وظيفته يضطلع بالإمامة في أحد المساجد،**"قلت ذلك للواعظ المحترم فأجابني بأن هذه حالة استثنائية، ومثلها إسناد الخطبة إلى الإمام."**[431]فهل أثاره هذا التنظيم المحكم للمهام الدينية في المساجد بتركيا ؟أم يا ترى لفت انتباهه عدم جواز القيام بمهمة دينية مع التوفر على وظيفة معلومة ؟ أعتقد في الواقع أن ما دفعه للاستعلام إنما هي هذه الأخيرة، لأنه ألفى أنه من العادي جدا في بلده أن يكون الخطيب مثلا ممارسا لمهنة أخرى ، ورحالتنا نفسه سيلقي العشرات من خطب الجمعة لاحقا رغم كونه أستاذا .

8- أمر آخر لا يمكن أن يكون الرحالة قد طرحه عبثا وهو يؤكد أن**" الأتراك لا يتكلمون إلا لغتهم وليس فيهم من يعرف كلمات بالعربية أو الإنجليزية إلا قليل، أما الفرنسية فلازالت كلماتها لم تطرق سمعي منذ وصلت[432]"**،وبغض النظر عما إذا كان الأمر يتعلق باعتزاز بالهوية **أو** الرغبة في عدم الانفتاح على الآخر، فلا بد أن الكاتب استحضر وضع لغة الضاد في موطنه والتي غدت مستباحة من قبل لغات أجنبية انتهكت حرمتها وغربتها عند ذويها ، وهو وإن لم يجاهر بهذا الموقف هنا ، فقد صدع به في ما تلا ذلك في مداخلته بفاس سنة 2005حين أكد "**أن <u>الابتعاد عن اللغة العربية</u> في كلتا الصورتين، سواء <u>باللجوء إلى لغة أجنبية</u> أو إلى لهجة عامية، لا يؤدي ولن يؤدي سوى إلى تقوية <u>تيار التغريب</u>، وزرع**

[430]ـ نسيم البوسفور ،ص: 169.
[431]ـ نفسه .
[432]ـ نفسه،ص:138.

بذور النزعات العرقية والنعرات العنصرية التي لا تفضي عند تمكنها من النفوس إلا إلى الصراع والصدام، ثم إلى التفرقة والانقسام ؛ ومن ثم إلى إيجاد هويات ممسوخة وكيانات ممزقة قد لا تجد العولمة أية صعوبة في ابتلاعها والتهامها لقمة سائغة."[433]وأردف منافحا عنها منتصرا لها كلغة ثقافة وعلم وحضارة : "**إن اللغة العربية في حاجة – لكي تكون لغة العصر وما يجد فيه من معارف وعلوم ووسائل التواصل المستحدثة – إلى أن تعتبر اللغة الأم، أي اللغة الوطنية والرسمية ذات السيادة الكاملة، بعيداً عن أية هيمنة تكون للغة أجنبية كيفما تكن هذه اللغة،.**[434]

9- وإذا كانت المتاحف ببهائها وفخامة أرجائها ونفاسة معروضاتها قد أدهشت هذا القادم إلى بلاد البوسفور حين قال :"**والحقيقة أن العقل يحار لدى رؤية هذه القناطير بل الأطنان من الذهب، مسبوكة في عروش أو أواني أو حلي أو تحف، وقد رصعت بملايين الأحجار الكريمة. فهذا مهد من الذهب المرصع بالزمرد، وذاك الخنجر الذي كانت سرقته موضوع شريط "توبكابي" محلى بخمس زمردات كبيرة وساعة دقيقة الصنع في رأسه، وهنا عرش من الذهب بجانبه حسكتان كل منهما تزن نصف قنطار من الذهب ،وعليها ستة آلاف ومائتان واثنتان وثمانون حجرة ، وهناك زمردة سوداء هي أكبر ما في المتحف من الزمرد وزنها ثلاثة كيلو، وضعت إلى جانبها أخرى خضراء هي أصفى زمردة في العالم كما**

---

[433]- "اللغة العربية:واقع يحتاج إلى تطوير"،عباس الجراري،عرض قدم في اللقاء الثاني من الندوة العلمية حول:" قضايا استعمال اللغة العربية في المغرب ،المنعقد بفاس يومي 16 و17 ربيع الثاني 1426هـ،الموافق 25 و26 ماي 2005م (انظرها في كتابه: "الإصلاح المنشود" -منشورات النادي الجراري رقم 33 –الرباط 1426هـ-2005م).

[434]- نفسه، للتوسع في منظور الكاتب إلى المسألة اللغوية، يرجع إلى بعض دراساته المنشورة التي منها:
1- اللغة العربية بين التطوير والتقويم
(انظرها في كتابه: "قضايا للتأمل برؤية إسلامية" –ج 1 -منشورات النادي الجراري رقم 20 –الرباط 1421هـ-2000م).
2- واقع اللغة العربية بالمغرب
3- التعريب بين عوامل الفشل والنجاح
4- تأملات في المسألة اللغوية
(انظرها في المصدر السابق –ج 2 -منشورات النادي الجراري رقم 45 –الرباط 1429هـ-2008م).

يقولون،وزنها كيلو وثلاثمائة جرام. وفي واجهة خاصة وضعت قطعة (دياماند) محاطة بتسعة وأربعين حجرة ويقال إنها أشهر القطع النفيسة في العالم حيث يأتي الهواة والخبراء لزيارتها خصيصاً من مختلف بلاد العالم، وهي من عيار 89 كارا، وغير هذه وتلك مئات الأشياء مرصعة من عصى وأشواك وصناديق وسيوف وأحزمة وغيرها"،[435]فقد انتقل الرحالة من النظر والاندهاش إلى التحليل والنقد، فكيف يعقل أن تكون هذه القناطير المقنطرة من الذهب والفضة وهذه اللآلئ النادرة والجواهر النفيسة محنطة ماثلة للمشاهدة فحسب بينما البلد يصارع من أجل الحياة؟ وكأنه مزج ما أحس به بما استنكره أحد السواح، الذي نقل الكاتب تصريحه في قوله: **"وإن كنت لا أريد أن أخرج بك من هذا القصر دون أن أمر بك إلى قاعة العربات حيث سمعت بعض السواح الفرنسيين يعلق بقوله " وهل بعد هذا يسأل لماذا تثور الشعوب"؟.**[436]

إنه الآخر الذي تجليه هذه الرحلة بكل اختلافاته التي لا يصمت الكاتب كمستطلع إزاءها، لكنه يسأل ويمحص ليفهم، ويقبل بعد ذلك أو يرفض .

[435]- نسيم البوسفور ، ص: 178.
[436]- نفسه.

المبحث الثاني

المقـــارنـــات

وسوف نشهد انتقال الرحالة من هذه الملاحظات ذات السمت الموازن الخفي إلى سبيل المقارنة الجلية المعلنة والتي ستبدأ بالبسيط لتتدرج صوب المركب ومنها :

1- حديث الرحالة عن بعض المشاهدات التي ربطها بما يوجد في موطنه وما لقيه في هذا البلد ، كحوض الأسماك الذي رآه في متحف الحيوان فلم يثر دهشته وبدا له أن نظيره في الدار البيضاء يفوقه أهمية يقول :"**وأهم ما فيها متحف صغير لأنواع من الحيوان محنطة، وحوضان للأسماك أحدهما مدفأ والثاني عادي، وكلاهما لا يرقى إلى حوض الدار البيضاء.**[437]،أو حينما شبه بعض العملات الموجودة بالمتحف بعد تفحصه لها بالدرهم المغربي من حيث الاستدارة قائلا **: "ومن أهم ما بالمتحف مجموعة كبيرة من النقود المعدنية بعضها إسلامي وأكثرها يوناني وروماني. وقد أثارت انتباهي قطعة نقدية من الذهب مستديرة وفي مقياس درهمنا"**[438].

2- وحيث أن التنقل بين اسطنبول وبورصة كان ديدنه فقد تنبه إلى أن سيارات الأجرة لا تختلف في شيء عن تلك التي عهدها يقول :"و**يفرقون هنا في سيارات الأجرة بين نوعين 1-سيارة تعبئة dolmüşتأخذ بالفرد، مثلها مثل السيارات التي تذهب بين الرباط وسلا وهي كثيرة وتيسر النقل داخل المدن وخارجها ويكاد ثمنها يكون كالحافلة 2-سيارة تاكسي وهي كسيارات الأجرة المعروفة في كل مكان .**[439]

3- وحين ذهب لأداء الصلاة في جامع أيوب وأدهشه ازدحام المصلين وكثرة لغطهم استحضر موسم مولاي ادريس قائلا**: "فإني لم أجد مكانا "بركبة ونصف" إلا في أحد**

---

[437]- نسيم البوسفور ،ص:166.
[438]نفسه ، ص:169.
[439]نفسه، ص:173.

أجنحة الطابق العلوي من الجامع، لكثرة ازدحام الناس في الداخل والخارج، ونبهت إلى ذلك من قبل. ومن أجل هذا ذهبت مبكراً، ولكني لم أكن أتصور كل هذا الضغط الذي لايماثله إلا تجمع الناس في موسم مولاي إدريس زرهون."[440]

4- و في سبيل تقريب معمار الجامعة للعيان قارنه بأبواب المشور مستحضرا مدينته الرباط، وإن أوضح مدى ما يتسم به مدخل الجامعة من فخامة **قائلا : "وللجامعة بعد هذا باب عظيم كبير الشبه بأبواب مشور الرباط ولكنه أضخم وأكثر زخرفة ونقشا، وقد كتبت بالذهب على يمين واجهته وشمالها آيات من "إنا فتحنا". أما وسطها فكتب عليه اسم الجامعة القديم، وفي أعلاها كتب الاسم الحديث بالحروف اللاتينية".**[441]

5- وسوف نلفي ذواتنا إزاء رحالة خبير أتاحت له وفرة سفراته وكثرة رحلاته أن يمتلك القدرة على المقارنة أو المفاضلة أو التقييم لأنه ثقف الأماكن وميز بنيانها وجال في الأحيزة وتبين معمارها ،لذلك يقول وهو يتحدث عن الخزان مقارنا بين أقواسه وأقواس طليطلة التي رأى أن سمت بنائها يمثل النمط الروماني:" **هناك خزان آخر قريب من قنطرة أتاتورك يطلقون عليه AQUEDUCS DE VALENS. ولكنه بارز ليس باطنياً كالسابق إذ هو عبارة عن قنوات محمولة على أقواس كبيرة الشبه بأقواس قنوات خزان طليطلة، وكلاهما من أثر الرومان".**[442]أو وهو يضارع باعة الكتب المنتشرين بما سبق أن رآه في باريس أو القاهرة **"وخلف الجامع سوق الكتب حيث عدد هائل من المكتبات مجمعة وبعض باعة الكتب القديمة يعرضون بضاعتهم في الأرض أو على موائد أو عند سور الجامع على شكل باعة عتبة القاهرة (سور الأزبكية) أو أرصفة باريز".**[443]وحينما ذهب الى الحمام العمومي في تركيا تبين له مدى مماثلته من حيث البنيان لأحد حمامات تونس التي زارها قبلا، وإن جزم أن ذاك الموجود في تونس يفوق حمام اسطنبول اتقانا قائلا **:"والحمام هذا شبيه بحمام كنت ذهبت إليه في تونس، بل لا شك أن**

---

[440]- نسيم البوسفور ،ص:183.
[441]- نفسه ،ص:195.
[442]- نفسه ، ص: 185.
[443]- نفسه ،ص:195.

هذا تقليد لذاك .[444]ولاريب أن الشبه آت من إدراك الكاتب أن تونس كانت هي الأخرى خاضعة للسيطرة العثمانية، فلا عجب أن يتم اعتماد نفس التشكل الجمالي المعماري .

6- فوجئ الرحالة الذي قدم إلى تركيا في فصل قائظ ، خال أنه سيتنشق نسيم البوسفور في أماسيه ، خاصة وأنه استحضر ما ألفه في مثل هذه الأويقات في بلده قائلا **"قضيت الأسبوع الأول في جو معتدل شبيه بجو الرباط والبيضاء في الأيام العادية"**[445]،لكن الجو ما عتم أن انقلب مكفهرا ووابل الأمطار سح مدرارا حتى قال مقارنا بين ما شهده و لم يألفه في شهر غشت بإسطنبول، وما يضارعه في بلده ولا يحدث الا في ليالي فصل الشتاء القارسة ،حيث قال : **"وإن كان المؤمل أن يتلطف الطقس بعد الأمطار الغزيرة التي نزلت عشية أمس والتي لم نألفها إلا في فصل الشتاء وأيام "الليالي". وليست هذه أول مرة تتهاطل فيها مثل هذه الأمطار بل هي ثالث مرة".**[446]

7- بيد أن هذه الموازنة بلغت مداها حينما انبرى المؤلف في وثوق تام بعلو كعبه في فهم الموسيقى ليميز ضمن ألحانها بين ما يجده مألوفا لما يدركه قائلا: **"ومن عجيب أن كل ألوان الغناء والموسيقى التي أستمع إليها قريبة إلى الألوان المعروفة لدينا مشرقية ومغربية بل شبيهة بها إلى أقصى حدود الشبه.**[447]**"**بيد انه استطرد وهو يصيخ السمع لكن**"الذي يبدو غريبا بالفعل أن يلاحظ تشابه لبعض الموسيقى التركية بموسيقانا الأندلسية، بل قد لا تكون هذه الظاهرة في غاية الغرابة لأن الموسيقى الأندلسية شرقية في أصلها ما في ذلك شك و إن طعمت ببعض السمات المحلية (أندلسية ومغربية)**[448]،وهنا تماما نقف أمام رحالة ملم بما يقول، غير مندهش ولا مأخوذ بما يتلقى ،ولكنه يقارن بدراية ويميز الألحان ويتذوق نغماتها ويهتدي إلى أصولها وأشباهها، لذلك فإذا لم يجد غضاضة أن يكون ثمة تماثل إيقاعي بين ما يشهده في تركيا وما ألفه في مصرفي هذا المنحى قائلا:**"وإذا كان غير غريب أن يتشابه الموال أو الأغنية أو القطعة الموسيقية هنا بالموال أو الأغنية أو القطعة الموسيقية في**

---

[444]- نسيم البوسفور ،ص:156.
[445]- نفسه ،ص:144.
[446]- نفسه.
[447]- نفسه،ص:146.
[448]- نفسه.

مصر مثلا .[449]فإن الغريب حقا و" **الذي يدعو إلى أقصى درجات الدهشة هو ما تحس الأذن من شبه كبير بين بعض الغناء و الموسيقى التركية وبين الغناء و الموسيقى المعروفة في سوس وبعض الأحواز."**[450]

وتكشف لنا هذه الملاحظات الدقيقة والتشبيهات المحكمة ، الحس الفني الذي امتلكه الكاتب ومدى معرفته بالموسيقى وخباياها وقدرته على التمييز بين ألوانها و أنماطها ، ويجب ألا يغرب عن بالنا أن الأطروحة التي كان المؤلف بصدد إنجازها ساعتها ،تضمنت مدخلا ضافيا عن "القصيدة الزجلية والغناء الشعبي صدره بقوله:" **يمكن تقسيم الغناء في المغرب إلى أنواع تختلف لغة ونغما وأداء باختلاف مناطق هذا الغناء "**،[451]ومن ثم عرج على استعراض أنماط الأغنية التي تستعمل العربية في الأداء ،وحصرها في : القصيدة الزجلية والمواويل والعروبيات والسلامات والعيطة والطقطوقة والموسيقى الأندلسية والغناء العصري وأغاني العمل وإرقاص الأطفال والإنشادات الدينية ، بل أكثر من هذا نراه يفاضل بين هذه الأنماط على اعتباره باحثا أصيلا مؤكدا : "**وتعتبر القصيدة الزجلية من أهم ألوان هذا الغناء ...يقوم إنشادها على نوبات الموسيقى الأندلسية وميازينها"**[452]، وبعد استقصاء ودراسة رصد هذه النوبات في إحدى عشرة ،كما تمكن من تحديد مجمل الآلات المستعملة في الموسيقى المصاحبة لها والتي لا تحيد عن آلات النفخ والآلات الوترية ثم الآلات الإيقاعية .لذلك غدا كتاب القصيدة ومنذ نشره سنة 1972دراسة قيمة ومرجعا لا محيد عنه في هذا الباب .وهكذا فإن تمعن رحالتنا ببلاد البوسفور في ما شنف آذانه من أنغام ،لم يكن استماع هاو إلى طرب راقه ، ولكنه تأمل باحث ، ومقارنة مختص ، ومفاضلة دارس مدرك ، ولعل خلو الميدان الأدبي من بحوث معمقة في هذا الموضوع هو ما حذا به في ما بعد إلى تدبيج مؤلفات تناول فيها هذا التأثر النغمي بين الشرق والغرب تارة وبين الأندلس والمغرب تارة أخرى ، من قبيل سفريه "**أثر الأندلس على أوروبا في مجال النغم والإيقاع "(1982)** و"**النغم المطرب بين الأندلس و المغرب" (2002م)**،وقد ظل قلمه ثرا بتدبيج مداخلات تضيئ درب هذا السبيل من

---

[449]- نسيم البوسفور، ص: 146 .
[450]- نفسه.
[451]- القصيدة ، ، ص201
[452]- نفسه.

البحث ومنها :"**أثر الآلة على الملحون**"[453]، "**التأثير الموريسكي في الطرب المغربي**"[454] و"**المكونات البنائية للموسيقى الأندلسية**[455] ". ولاريب أن **"هذه المقارنات تسمح بممارسة الحس النقدي الذي يمتلكه الرحالة عند زيارته للاماكن المختلفة عن أمكنته العادية "**[456]

8- وحيث أن"**استعمال المعجم المقارن بين مفردات الأنا ومفردات الآخر ،يسمح بإبراز أل "هنا" وأل "هناك" عن طريق التعارض أوالتقابل بين العالمين" .**[457] فقد أفضى انفتاح الرحالة على هذا المكان الذي إليه ارتحل إلى تعزيز مخزونه اللغوي عبر اكتسابه لألفاظ جديدة تنتمي إلى اللسان التركي، ولعل ما حذا بالكاتب إلى إيراد هذه المرادفات في نصه إنما هوما سبق أن ذكره بتشبث الأتراك بلغتهم،وحيث أن جل المفردات ارتبطت بأسماء مأكولات محلية، فكانت الضرورة دافعة له لحفظ هذه الأسماء إن هو أراد تيسير التواصل وتحقيق مآربه، ومن ذلك اسم الماء، يقول مخاطبا زوجته :**"ويسمونه "سُو". وقد توحي لك هذه الكلمة بمعنى السطل في المدلول الفرنسي،"**[458] ومنه **"لبن حامض يطلقون عليه "أريان بل أيران"**[459]،أو السميط، يقول **: "فمن (سميط) وكأس شاي صغير في الصباح إلى وجبة شعبية في الغداء إلى سندويتش جبن أو زبادي في المساء "**[460]،وهو نوع من الخبز التركي الذي يصنع من السميد والسمسم على شكل دائري ، ولم ينس ذكر **الدونير** وهو الشورمة الشهيرة وتعد من أكثر الأكلات التركية الشعبية شهرة ،وهي عبارة عن رغيف محشو بلحم يقول:"**وبمجرد وصولي إلى بورصة تناولت الغداء سريعا - وهوعبارة عن**

---

[453]- قدم هذا العرض - مرتجلا - في الندوة العلمية الدولية التي نظمتها جمعية رباط الفتح في نطاق مهرجان الموسيقى الأندلسية المنعقد من 20 سبتمبر إلى 10 أكتوبر 1996 . وعقدت الندوة بعد ظهر السبت 7 جمادى الأولى 1417 ه =21 سبتمبر 1996 بقاعة المحاضرات التابعة لوزارة التربية الوطنية.

[454]- عرض قدم للحلقة الثانية من ندوة لجنة التراث بأكاديمية المملكة المغربية حول الموريسكيين، أيام 22 - 23 - 24 - جمادى الثانية 1421 ه الموافق 21 - 22 - 23 شتنبر 2000 م بمدينة شفشاون.

[455]- موقع الدكتور عباس الجراري http://www.abbesjirari.com

[456]- الرحلة في الادب المغربي ، ص: 30

[457]- نفسه.

[458]- نسيم البوسفور ،ص: 147.

[459]- نفسه ، 197.

[460]- نفسه ،ص: 140.

رغيف عليه قطع من دونير أي شورمة."[461]، وكذا البقلاوة والقطايف، يقول: **"وفي نيتي أن أترك هذا المقهى أن أمشي قليلا وأتناول قطعة من (البقلاوة أو القطايف) أوغيرها من ألوان من الحلويات الشرقية"**[462] العريقة .ولاريب أن الاطلاع على عادات الشعوب وديدنها في المأكل والمشرب من شأنه أن يثري مدارك الرحالة ويوسع معارفه بشأنها ومثله حديثه عن القبقاب أي الحذاء الخشبي الذي يلبس في الحمام والشبشب وهو خف يستبدل به القبقاب بعد الخروج من قاعة الاستحمام يقول : **"أن أخلع القبقاب عند مدخل قاعة الاستراحة وألبس الشبشب"**[463]وقد اعتبره الرحالة عاديا انطلاقا من أنه رأى له مثيلا بمصر يقول :**"ولبست(شبشبا جلديا كتلك الشباشب التي كنا نشتري من مصر"**[464] كما تحدث عن عادة دفع مكافأة للشخص الذي اعتنى بمساعدته في الاغتسال قائلا **:" بقي أن تعرفي بعد هذا أني دفعت ثلاث ليرات ونصف ليرة بما في ذلك (البقشيش)،"**[465].

[461]- نسيم البوسفور ،ص:168.
[462]- نسيم البوسفور ،ص:148
[463]- نفسه ،ص:156.
[464]- نفسه.
[465]- نفسه ، ص:157.

المبحث الثالث

الآخر في ميزان النقد

يمشي الرحالة في البلاد التي أوصلها إليه سفره ، عيونه متيقظة وحواسه مترقبة ، يمتشق شهوة السؤال ويركب صهوة الاستكشاف ، يحذوه حب الاستطلاع فينحو به البحث إما إلى الملاحظة وتسجيل الانطباعات ، أو إلى المقارنة وتسطير الانتقادات ، لذلك لم يمنحنا النص انصياعا وقبولا تاما للرحالة إزاء ما لقي حيث حل ، فبعد الاندهاش والإعجاب ، انسل سيف النقد من غمده ، وذلك في مواضع تعذر على المؤلف أن يستسيغ ما سمع أو رأى أو علم، حسبما تدل عليه بعض المواقف :

1- فحينما نقرأ نسيم البوسفور سوف يصادفنا ارتياب لا يخفى ،شكلته جملة من العبارات ذات الدلالات المتقاربة ،من قبيل : "**زعموا**" ، "**كما يقولون**" ، "**كما قيل**" ، الشيء الذي يجلي النهج الذي سلكه الرحالة حيال تقبل زمرة المعلومات التي يدونها بصفته شاهدا يتلقى أخباره.

وسوف يبدو مثل هذا السمت من التقبلات ماثلا للعيان في مواضع شتى ، منها مثلا حينما تحدث عن مسجد أيوب وسبب تسميته في ارتياب قائلا :"**إذ أن أيوبا - على مايزعمون- هو الصحابي أبو أيوب الأنصاري الذي استشهد أثناء الفتح الإسلامي لهذه البلاد. ويقولون إنه بعد أن وصل محمد الفاتح إلى اسطنبول، ألهم أحد أعوانه لمكان القبر فأمر بالحفر فكشف عن تابوت وبقايا الرجل. إذ ذاك أمر الفاتح بتأسيس المسجد، ويعتبر أول مسجد بناه في هذه المدينة**[466] ، وعلى هذا النحو يمضي وهو يذكر سارية من نحاس بين مسلتين رآها في ساحة السباق قائلا: "**يزعمون أنها ترمز إلى النصر**"[467]،فالزعم افتراض وليس تأكيدا ، وبافتقاد ه إلى الوثوقية فإن الكاتب لا يركن إليه بل يذكره من باب الاستئناس لاغير ، وقد وقف عند العديد من المعطيات التي صدر جملها برمتها بفعل " **يقولون** "،مثلما فعل حين تحدث عن

[466]- نسيم البوسفور ،ص:183

[467]- نفسه ،ص:185.

مسلة ثيودوس" **وفي وسط الساحة أقيمت سلة يطلقون عليها مسلة تيودوس، ويقولون إن حاكم الاسكندرية الروماني كان قد بعثها من معبد الكرنك إلى بيزطة"**،[468]أو حينما رأى عمود قسطنطين الخامس وقال :"**نقشت عليه أشعار يونانية، ويقولون إنه كان في الأصل مكسواً بطبقة من النحاس، ولكن الغزاة اللاتين استغلوا هذا النحاس في سك النقود."**[469] فالقول خبر والخبر يحتمل الصدق ويحتمل الكذب، ومن أجل هذا ظل يسلك سبيل التثبت والتيقن ولا يتقبل المعلومات الجاهزة.

لذلك فبعد أن استعرض ما شمله متحف الأمانات من بردة وآثار قدم وبضع أسنان نسبت الى الرسول ص يصرح على هذه الشاكلة : " **وداخل صندوق مفتوح، حجر عليه آثار قدم يقولون إنها آثار قدمه عليه السلام"**[470]،و نراه لايخفي تردده في الإذعان والتصديق ويعلن : " **علما بأن ما يقال عن هذه الآثار مشكوك فيه"**[471].وربما مرد هذه الريبة إلى تاريخ الدولة العثمانية التي سعت لأن تستمد لنفسها الشرعية الدينية في إحدى لحظات التاريخ كأعتد إمبراطورية إسلامية ساعتها.

فالتقبل عند الكاتب يؤسس ركائزه على نهج التيقن حين يركن إلى التاريخ وبياناته ؛حيث أكد وهو يذكر قصر ضولمباتشي الذي شيده السلطان عبد المجيد والذي اضطره إسرافه في إقامة الحفلات الباذخة محاكيا أوروبا وعاداتها إلى الإغراق في الاستدانة وفرض الضرائب ، قائلا : " **ويبدو أن القصر كان بداية عهد شؤم بالنسبة لهذه الدولة إذ يحدثنا التاريخ أن أغلب السلاطين الذين توالوا بعد عبد المجيد خلعوا.**[472]ويسعفه السرد في ذكر من تعاقبوا على هذا القصر وأصابتهم لعنته .ويبدو كل السلاطين الذين ذكرهم الرحالة مستندا إلى التاريخ وتفاصيله.

وأحيانا قد يورد معلومات على سبيل العرض ولكنه يؤكد صحة أخرى ، فحين تحدث عن تشييد قنطرة كالاطا وما خامره من تضارب الأقاويل" **ويقال كذلك إنها أقيمت في القرن الثالث عشر على يد الوافدين من البندقية بعد أن استقروا في هذه المنطقة وسوروها. ويقال**

---

[468]- نسيم البوسفور،ص:185.
[469]- نفسه،ص: 182
[470]- نفسه.
[471]- نفسه.
[472]- نفسه ، ص:199.

بعد هذا إنها من إنشاء محمد الفاتح[473]**،"**نراه يحسم الجدل حين يحسم **"ولكن المؤكد أن سليما فاتح مصر في القرن السادس عشر أجرى بها عدة ترميمات وإصلاحات"**[474]، وما كان للرحالة أن ينحو هذا النحو ،مالم يكن ملما بالتاريخ ،مطلعا على تفاصيله ، مميزا لحيثياته.

2- اعتبر الأتراك أن محمد كمال أتاتورك يعد قائد الثورة الإصلاحية في تركيا ، لذلك ينظر إليه بقداسة واحترام كبيرين ، لكن رحالتنا لم يلتفت إلى هذا الأمر بقدر ما انتقد سلبيات هذه الثورة التي أعلنت الدولة لائكية وأجهزت على الإسلام ولغة القرآن يقول :"**وما أن فك حصار اسطنبول وانتصرت قوات الشعب حتى نقل أتاتورك عاصمة الدولة إلى أنقرة سنة 1923، حيث قاد ثورة إصلاحية ترمي في جملتها إلى نبذ القديم وتقليد الغرب في كل شيء، فأعلن الدولة لائكية واتخذ الحروف اللاتينية بدلاً من العربية ومنع اللباس الإسلامي."**[475]وقد غاظ رحالتنا أن يكون الإصلاح رديفا لمحاكاة الغرب في كل شيء والتخلي عن مقومات الهوية والثقافة والحضارة ، يقول :"**فضيع على الأمة تراثها الفكري والروحي والحضاري الممتد عبرالزمان، واكتفى ببعض مظاهره معروضة في المتاحف ميتة جامدة. ذلك عيب هذه الثورة التي لم تكن متشبعة بروح قومي منبعث من حضارة الأمة وثقافتها وتراثها عامة. وكل ثورة لا تندفع من هذه المقومات فاشلة أو منتكسة."**[476]وقد كان له من القدرة على التقييم ماجعله يعتبر أن أتاتورك تعرض لنكسة جراء ذاك الصنيع حيث منع الأذان في تركيا وحظر الزي الإسلامي أيضا ،يقول:" **وهل تعرفين أنه حتى 1950 أي حتى عهد حكومة عدنان مندريس لم يكن يباح طبع الكتب بالعربية ولا الأذان للصلاةبها. أما اللباس فلازال محظوراً حتى اليوم إذ يمنع ارتداء الجبة أو القفطان أو العمامة أو ما إلى ذلك من اللباس الذي كان معروفاً في البلاد من قبل. ولعلي سبق أن ذكرت لك أن الإمام يتخذ العمامة والجبة داخل المسجد فقط، وله لذلك غرفة خاصة".**[477]و قد أكدت الكتب التي أرخت لثورة هذا القائد ما ذهب إليه رحالتنا،إذ ورد في كتاب "**الرجل الصنم مصطفى كمال أتاتورك ،حياة رجل ودولة"** أنه **"لم يكن ربط التعليم الديني عن الإدارة السائبة للمعارف - أي محوه من الوجود -واغلاق التكايا والزوايا ، وفرض القبعة على الرؤوس إلا صدى**

[473]- نسيم البوسفور ،ص:200.
[474]- نفسه.
[475]- نفسه ،ص:181.
[476]- نفسه.
[477]- نفسه.

لشكل إدارة الدولة التي لم تكن لها ولا لانقلاباتها الثورية من غاية إلا محو كل أثر إسلامي من قوانينها ...وكان هذا يحتاج الى امرين،أولهما: تثبيت عدم علاقة الدولة بالدين ،وثانيهما إبعاد ما يسمى بالقانون المدني ...أولهما هو العلمانية ،وثانيهما هو القانون المدني المأخوذ من سويسرا".[478]ولم يغفل الكاتب وهو يربط النتيجة بالسبب ويعلل الغاية بالوسيلة في تحليل منطقي يبنيه على استقراء الوقائع وربطها بالتاريخ ، وعلى تبادل الرأي مع الآخر من أن يجزم" **وأستطيع أن أقول إن ما شاهدته من تيار إسلامي قوي سارياً في مختلف أوساط الشعب، وخاصة في طبقة الطلاب والمثقفين، هو رد فعل للنكسة. وقد ذكر لي كثير من الأساتذة الأتراك أنه توجد جمعيات إسلامية قوية منظمـة، وأن بذورها الأولى ترجع إلى عهد أتاتورك حين كانت تعمل في الخفاء. وأكد لي غير واحد أنه إذا استمرت الحكومة الحالية – وهي يمينية – فإنه سيتاح للحركات الإسلامية دور كبير تكون له آثار بعيدة"**[479].ولعل ذلك هوعلة ما لاحظه المؤلف من اكتظاظ جل االمساجد التي قصدها بالمصلين ،ولكن ورغم اقتناعه بسلامة رأيه وحسن تقديره، إلا أن احترامه للآخر[480] ولمقوماته دفعه لأن يحجم عن الإفصاح عما عده مثالب لأتاتورك، قال: **"ومهما يكن فلكمال قداسة في نفوس الجميع، وما كنت أستطيع أن أعبر لأحد عن رأيي هذا في ثورته"**[481].ولهذا أشار إلى انتشار تماثيله شامخة في أماكن عدة منها الجامعة يقول: **"ويلفت الانتباه في وسط ساحة الجامعة نصب تذكاري يبرز الشبيبة التركية ممثلة في فتى يحمل العلم وفتاة بيدها غصن <u>وخلفهما أتاتورك مشيرا بيده اليسرى إلى الأمام</u>."**[482]وعند الخروج من الباب الآخر لحديقة الحيوان يقول :**"يواجهك من الظهر <u>تمثال أتاتورك</u> مشرفاً على خليج قرن الذهب، وقد وضع يده اليسرى على خصره ومد رجله اليمنى في خطو إلى الأمام."**[483]وقرب الجامع

---

[478]- الرجل الصنم مصطفى كمال أتاتورك ،حياة رجل ودولة ،ت عبد الله عبد الرحمن،الأهلية للنشرو التوزيع،الطبعة الأولى 2013 ،ص:225

[479]- نسيم البوسفور،ص:181-182 ،وربما تحققت هذه النبوءة الأخيرة في زمننا بصعود حزب إسلامي على رأس تركيا .

[480]- موضوع علاقة الأنا بالآخر أفرد له الأستاذ الجراري كتابا خاصا سماه : **الذات والآخر** ، انطوى على نفس السلوك الذي انتهجه في هذا الموقف يقول: **"ومن ثم كان الانطلاق من الذات في الرؤية التي يحاول هذا الكتاب إلقاء الضوء عليها لا يتنافى مع قبول الآخر والتعارف معه ومحاورته بإيجاب يفضي إلى إيجاد نقــط الالتقاء"**، الذات والأخر 1998 ttp://www.abbesjirari.com

[481] - نسيم البوسفورص:182.

[482]- نفسه،ص:195.

[483]- نفسه ، ص:166.

الأعظم يقول الكاتب: **"سرت قليلا في شارع كبير لأجد نفسي في ميدان أتاتورك، وقد نصب في وسطه تمثال لكمال ممتطيا جوادا وبلباس عسكري عليه برنس"**[484]

وربما كان ما أثاره في هذه الرحلة من جدل حول وضع الإسلام في بلد علماني ،هو الذي حذا به إلى تأليف كتابه **"الإسلام واللائكية"**[485]في ما بعد، أي سنة 2003 والذي بسط فيه القول في هذا المنحى .

3- وثمة أمر قد لا يعيره رحالة آخر الاهتمام ما لم يكن مدركا لقيمة الثقافة والحضارة ، ذلك أن الكاتب صادف وهو يطلب نسخ بعض المخطوطات من المكتبة السليمانية ، أن طلبه سيتأخر لشهور لأن المختبر منشغل بتصوير جملة من الوثائق لجامعات أمريكية يقول:**"ومن هنا كان الضغط الشديد على هذا المختبر. وقد قيل في السليمانية عن طلباتي أنها لن تكون موجودة قبل شهرين أو ثلاثة أشهر بسبب هذا الضغط من جهة، وبسبب طلب استثنائي ينفذونه لبعض الجامعات الأمريكية يستغرق للمختبر معظم الوقت والمواد."**[486]فمن شأن هذه الملاحظة أن تكشف مدى حرص الغرب على الاطلاع على ثقافة الآخر ودراسة حضارته وسبرأغوارمخطوطاته ونقل كل ما من شأنه أن يعينه على تمثل الغير فكريا ، وأكثر من هذا سعيه إلى إعداد دراسات وبحوث أكاديمية تشرف عليها جامعات أي هيآت علمية ،وإذا تعلق الأمر بالنهل من مكتبات تركيا ، فلأنها عدت رمزا للإمبراطورية الإسلامية الآفلة .

4- لعل من بين الظواهر الاجتماعية التي أجلتها لنا الرحلة هي ظاهرة التبرك بالمزارات والتي تكاد تكون شائعة في كل البلاد الإسلامية ،وقد وردت في النص حينما تحدث الكاتب عن بناء الفاتح لمسجد أيوب الذي **"أقيم بجانبه مدفن ومزار يزدحم الناس للتبرك به وخاصة النساء."**[487]ومثله ذلك العمود الأسود الذي يقوم داخل مبنى **" يقولون إن مادته تبخر رطوبة الجو، وكان الناس يستغربون لهذه القطعة من الحجر تعرق، فظنوا أن بها شيئاً فتمسحوا بها متبركين وخاصة النساء العقيمات. ومن كثرة ما مست بالأصابع أصبح بها ثقب نافذ، ولازال الناس يتفاءلون بلمسها حتى الآن. وسمعت أحد المرشدين يقول: إن الذين**

---

[484]- نسيم البوسفور،ص:169

[485]- الإسلام واللائكية 2003 http://www.abbesjirari.com-

[486]- نسيم البوسفور،ص:159.

[487]- نفسه ، ص:183

يلمسونها يومياً يبلغ عددهم خمسة آلاف."[488] وقد أحسن الرحالة للدلالة على امتداد هذه العادة واستمراريتها حين أحدث تقابلا في بنية الزمن بين عبارة **"فتمسحوا متبركين"**في الماضي ، وبين جملة **"ولا زال الناس يتفاءلون بلمسها "** في الحاضر، أي أن هذا السلوك سيظل مادامت هذه المزارات قائمة ،وأضاف **" ومثل هذا الحجر الذي يتفاءل به ، حوض من الماء في قصر توبكابي نسيت أن أذكره لك يلقي الناس فيه قطعاً من النقود محملة بأمنياتهم فتتحقق"**[489].

فهذه إشارات لفتت إليها انتباه الرحالة الذي أوردها ولم يبد استغرابا كبيرا حيالها، ومرد ذلك ربما لكونه يجد لها نظيرا في موطنه.

[488]- نسيم البوسفور،ص:179.

[489]- نفسه، وقد يذكرنا هذا الحوض بنافورة تريفي أو نافورة الأمنيات في روما بإيطاليا.

الخاتـــــــــمـــــة

بين أن تكون الرحلة انتقالا من حيز مدرك معلوم وبلوغا إلى آخر تشط بنا عنه السبل، وبين أن تغدو نصا مكتوبا وخطابا موثقا لما جرى وصار أثناء ذلك السفر، تمضي كنمط نثري أثيل وهي تحاكي تجربة الارتحال الفعلية بمواز لغوي به تصنع فسيفساء النص الرحلي ذي المعمار الملتبس ، وقد كان لنسيم البوسفور ككتابة ارتبطت بالارتحال من أصالة المعالم ما حذا بها لأن تندرج ضمن زمرة الخطابات القائمة على محكي السفر. ورغم انفتاحها على أنماط حكي تضارعها من حيث محكي الذات وتسيد ضمير المتكلم مضمار السرد والارتهان بسلطتي الزمان والمكان، فقد انتصرت لأصالتها رغم تنازعها مع المنحى الترسلي.

لقد امتلك الرحالة داخل نصوصه وهو يساوق الموضوعي بالذاتي سلطة الكشف والإبانة،حيث أسعفته سلاسة السرد في استعراض ملامح تركيا وإبداء انطباعاته وآرائه حولها، كما أدنتنا من تمثله للآخر وقدرته على محاورته رغم الاختلاف .كما انقادت له اللغة وأذعنت له حينما شفت ورقت لتبوح بما إليه هفا أومنه اشتكى.

ولعل المتلقي لهذا النص، ما يفتأ أن يستشعر الحس السردي الذي يحوزه مؤلفه، والذي تبدى في قدرته على إيراد رحلته على شكل حكاية متسلسلة الأحداث، فيها الشخصيات بتباينها والأمكنة بتنوعها والأزمنة على اختلافها، وأكثر من هذا انسربت على لسان راو هو بطلها والمحرك لكل وقائعها، وكأنه اعتمد سردا دائريا انطلق فيه من الطائرة المتجهة به إلى أرض الارتحال وانتهى منه بالطائرة التي أقلته إلى القاهرة، وبين الزمنين والمكانين نسجت خيوط الحكاية. مما يشي بما لدى المؤلف من قدرة على نقل الحادثة من صورتها الواقعية الى صورتها اللفظية مع حسن السبك والصياغة .

من اليسير أن نلاحظ ـ دون لأي ـ أن أسلوب العرض داخل هذا النص وسمته التلقائية التي أتت من تبني المؤلف للعفوية في تسجيل كل ما مر به دون حذف أو قفز عليه وربما لأجل هذا أغار على أسلوب اليوميات التي أسعفته في التقاط التفاصيل اليومية بكل حذافيرها، كما أن كون الخطاب موجها إلى زوجته دفعه لأن يكون عينها اللاقطة للأحداث .

اتسمت الرحلة من حيث الصياغة اللفظية بالتزام لغة عربية فصيحة سليمة المبنى والمعنى ،وهي لا تكاد تختلف عن أسلوب الدكتور عباس الجراري الذي ألفناه يدبج به مظانه المعرفية، ولعل مرد ذلك متأت من أمرين اثنين ،يعزى أولهما إلى ثقافة الكاتب الرصينة التي تشبع فيها بلغة الضاد التي عن حياضها ذاد ،وثانيهما مبعثه نوع مخاطبه ،فكتاباته كانت موجهة إلى حليلته وهي سيدة على قدر من الثقافة ، حاصلة على ليسانس الحقوق من جامعة القاهرة ، لذلك دبج رسائله إليها وهو يضمنها فصيح القول من أحاديث نبوية وأشعار عربية وأمثالا مأثورة ذات حمولة حكمية .

لاريب أن هذه الرحلة أدنتنا مما يكابده العالم في سبيل تحصيل معارفة ،وما يقاسيه من صنوف المعاناة طلبا لاستزادة من النهل من المدارك ،ولعل هذا المسعى أفضى إلى اعتبار نسيم البوسفور قد سلكت سنن الرحلات المعرفية التي يكون ديدنها البحث والتحصيل .

أفضى بنا النو من تضاعيف هذا النص إلى تمثل صورة أخرى للعميد الدكتور عباس الجراري ، فبعد أن تطابق الرحالة والراوي والمترسل والسارد والمؤلف جميعا ،انكشفت لنا شخصيات جديدة له،و بعد أن عهدناه رصينا رزينا ذا جلد ،ألفيناه الزوج العاشق ذا الصبابة ، وعايناه الوالد العطوف ذا الحدب ،ومن شأن ذلك أن يدنينا منه إنسانا ما استطاعت كتاباته النقدية ودراساته الموسوعية أن تميط لنا اللثام عن حسه الإنساني ورهافة مشاعره .

حيث ان نسيم البوسفور غدت كتابة رحلية وثقت لسفر الكاتب الى تركيا صيف 1968 ، فإنها باتت محاكاة لغوية لوقائع فعلية ،ومن ثم فإنها خلت تماما من ضروب التخييل والمناحي العجائبية ،واتسمت بالواقعية والتقريرية .

لعل انفتاح نسيم البوسفور على ضروب قولية مغايرة ، أتاح للمؤلف صياغة كتابته وفق سنن تلك الأجناس التي انفتحت عليها رحلته ، ومن ثم أبان عن علو كعبه في تمثل مقوماتها من ترسل وتدوين ومحكي ذاتي ،حتى التبست علينا هويتها بين كونها رحلة أو غدوها رسالة أو ربما يوميات .

لا جزم أن نسيم البوسفور قد خسفت معين الكتابة عن الارتحال بالنسبة للدكتور عباس الجراري ، ولعل تقفيتها بنصوص رحلية أخرى ، إنما هو إفصاح عن افتنان هذا الكاتب بذلك الصنف القولي الذي منحه سبيل البوح والكشف والتدوين .

وبعد أن جاست حدقتاه معالم ومآثر ومكتبات ومساجد تركيا ذات صيف أواخر سبعينيات القرن الماضي ، ظل الخبر متواريا بين السطور والقول مستترا في جبة الكلمات ،والسفر ثاويا بين دفتي المخطوط ، حتى آن لعبق الحكي أن ينسرب شذيا ، فإذا هو **"نسيم البوسفور"**.

نسيم البوسفور

نص الرحلة

الحمدالله

إسطنبول مساء الجمعة 02-08-1968

حميدتي[490] الحبيبة

تحيات وأشواقا وقبلات حارة لك ولعلا[491] وألوف[492]، راجياً أن تكونوا جميعاً بخير. وبعد، فلعلك كنت تنتظرين مني أن أكتب لك فور وصولي إلى تركيا حتى تطمئني وكم كنت أتمنى ذلك، ولكني فضلت أن أرجئ الكتابة حتى تستقر بي الأمور أو توشك؛ وحتى إذا ما بعثت لك كان في رسالتي ما يدعو إلى الاطمئنان. ولعلك كذلك تودين معرفة مختلف التفاصيل حتى تتابعي الرحلة معي خطوة خطوة، وهذا ما سأحاول في رسائلي إليك إن شاء الله وبقدر ما تتيح الظروف.

---

[490]- السيدة حميدة الصايغ الجراري زوجة الكاتب ، وهي خريجة حقوق جامعة القاهرة ومحامية (سابقاً). يقول عنها الدكتور عباس الجراري :"**فهي تبذل جهودا حثيثة إلى جانبي ، هي كلها أياد بيضاء موشومة في الذاكرة والقلب "**، علامات مغربية ، جمال بنسليمان ، ص: 13.ويضيف :"**وتعتبر – مع التفاني في تربية الأولاد – خير معين لي في مباشرة جميع اهتماماتي وما أقوم به من أعمال.**" موقع د عباس الجراري http://www.abbesjirari.com/

[491]- عُــلا الجراري: كريمة المؤلف ، وهي حاصلة على (M.B.A) من جامعة لاڤال بكندا في التجارة الخارجية والمقاولات. وكانت بصدد تهيئ دكتوراه الدولة لولا أن فاجأتها المنية هناك في 24 يناير 1993 رحمها الله. وقد أصدر النادي الجراري أطروحتها الأولى عن المقاولات الصغرى والمتوسطة بعنوان:

-" Essai de typologie des: causes d'échec des petites et moyennes entreprises

وهي مسجلة بجامعة لاڤال في "لوحة الخالدين".

[492]- أُلوف الجراري: كريمة الدكتور عباس الجراري. وهي حاصلة على دكتوراه الدولة من جامعة بين ستيت بالولايات

الامريكية في الرياضيات، وأستاذة للمادة في بعض جامعات وشنطن بعد أن قضت ثمان سنوات PH.D - المتحدة الا في الجامعة المغربية أستاذة للتعليم العالي. وقد نشرت أطروحتها جمعية الرياضيين الأمريكيين عام 1995 Secondبعنوان:

-"order sturn-Lionville difference equations and orthogonal polynomials "

لقد كانت الرحلة من البيضاء إلى جنيف في غاية المتعة والراحة والعناية، ولم تستغرق طويلا، حيث وصلنا إلى مالقه بعد خمسين دقيقة، أي في الساعة الحادية عشرة والنصف حسب التوقيت الإسباني الذي يفوت توقيتنا بساعة. وبعد توقف دام نصف ساعة استأنفت الطائرة سيرها الذي طال ساعتين وعشر دقائق. وقبل أن أنزل بك من الطائرة أبلغك سلام السيدة حرم الدكتور السنتيسي الذي كان ب"سرسليان" فقد كانت في طريقها إلى جنيف لتلتحق بزوجها الذي عين مؤخراً هناك للعمل في منظمة الصحة العالمية. وقد قابلته في المطار فسألني إن كنت محتاجاً "أي خدمة "فشكرته وودعته.

وفي جنيف وجدت ممثل الشركة في انتظاري يسأل عني، فأخذني في سيارته إلى فندق ممتاز على أن يمر بي زوال الغد ليوصلني إلى المطار. فاسترحت قليلا ثم خرجت أجول وأخذت تذكرة لجولة منظمة عبر مختلف معالم المدينة تقوم بها إحدى الشركات السياحية، فكانت جد مفيدة خاصة وأن مدة إقامتي بها قصيرة. وفي المساء وبعد أن تناولت العشاء في الفندق ذهبت إلى منطقة البحيرة حيث تناولت عصير برتقال واستمعت إلى مرشد أوتوماتيكي قذفت فيه فرنكا واحداً (وقيمته تفوق الفرنك الفرنسي الجديد بالربع) فحدثني عن المدينة وعن البحيرة.

وقبل أن أغادر الفندق في صباح اليوم التالي، اتصل بي ممثل الشركة ليعتذر لي عن عدم إمكانه الحضور في الوقت المحدد ويخبرني أنه سيترك لي عند الاستقبال تذكرة خاصة بالتاكسي الذي سيوصلني إلى المطار. وتناولت الفطور وخرجت أبحث عن ساعة مناسبة أشتريها، فأذهلتني كثرة الدكاكين وكثرة الأنواع واختلاف الأثمان، وخشيت أن أتورط فاخترت نوعاً مشهوراً هو "أوميكا" ولعله أحسن الأنواع بعد "رولكس". وبذلك اشتريت ساعة أوميكا عادية في شكلها بل تقليدية ولكنها أوتوماتكية وبالتاريخ ومقواة ضد الرطوبة والماء، ودفعت ثمناً لها أربعمائة فرنك سويسري.

وبعد الغداء مباشرة اتجهت إلى المطار وذهبت إلى مكتب الشركة ولكن الأمور لم تسر سيرها الطبيعي، فممثلة الشركة أصرت على أن أدفع مقابل الوزن الزائد، فدفعته مضافا إلى خمسة فرنكات من قبل ضريبة المطار، ولكنني فوجئت بعد انتهاء جميع الإجراءات أني

مسجل في لائحة الانتظار وأن مكاني في الطائرة غير مضمون، فأصررت بدوري على ضرورة السفر في هذه الطائرة، خصوصاً وأن الموافقة مسجلة في التذكرة من البيضاء، فاضطرت الشركة إلى نقلي للدرجة الأولى.

هذه واحدة، وأما الثانية فهي أن الشركة أعلنت عن تأخر إقلاع الطائرة بساعة، فبعد أن كان مقررا في الثانية تأجل إلى الثالثة. وهكذا وصلنا إلى أثينا في الرابعة وبضع دقائق،وفي الخامسة ونصف استأنفت الطائرة سيرها إلى إسطنبول حيث وصلنا قبل الثامنة بربع ساعة.

وفي مطار إسطنبول وجدت ممثلة الشركة تبحث عني لتوصلني بمندوبي وزارة التعليم والجامعة اللذين جاءا لاستقبالي. وبعد اجتياز الجمرك الذي كان طويلا ومتعباً ذهبت في سيارة الوزارة إلى فندق حجزت لي فيه غرفة هو فندق أطلس قريب من الجامعة والمكتبات، ولكني أنوي تغييره قريبا بسبب ارتفاع ثمنه.

وكان ممكنا وقد تم استقبالي على هذا النحو أن تيسر جميع الأمور ولكن الروتين الإداري وكثرة الأوراق جعلني أضيع يومين قبل أن أقبض، وقبل أن أبدأ الاتصالات الضرورية، ثم أني فوجئت عند القبض بالمبلغ يتقلص ربعه بسبب كثرة الدمغات ـ وتعني الأختام والطوابع الرسمية ـ من جهة وبسبب ضريبة الدخل من جهة أخرى. وهذا عامل من أهم العوامل التي جعلتني أبحث في تغيير الفندق بالإضافة إلى أن تكاليف تصويرا لمخطوطات مرتفعة.

وهكذا سأبدأ الاتصال بالمكتبات صباح غد إن شاء الله، وهي كثيرة وموزعة في مختلف أنحاء المدينة، وسأحاول أن أصل إلى أقصى ما يمكن الوصول إليه، وعسى أن أوفق إلى ما يكون فيه جديد.

حميدتي الغالية

لا أريد في هذه الرسالة الأولى أن أحدثك عن الحياة في إسطنبول فقد أكون متسرعاً إن فعلت، ولكني مع ذلك أريد أن أبدي لك بعض الملاحظات أو إذا شئت بعض الانطباعات الأولى.

وأول ما لفت نظري أن الحياة الاجتماعية والإدارية صورة مكبرة لما نعرف في القاهرة، وأكاد أقول إن هذا التشابه الكبير يثبت مدى تأثير العهد العثماني في مصر وفي كل البلاد العربية التي عرفت هذا العهد. فالحياة ميسرة وبسيطة لولا أن وسيلة التفاهم منعدمة. وهذه ثاني ملاحظة، فالأتراك لا يتكلمون إلا لغتهم، وليس فيهم من يعرف كلمات بالعربية أو الإنجليزية إلا قليل. أما الفرنسية فلازالت كلماتها لم تطرق سمعي منذ وصلت. ومثل هذه الظاهرة تجعل الأجنبي يحس الغربة بقوة وعنف خاصة إذا لم يكن في رحلة جماعية. ولكن مثل هذا الإحساس يزول حين أدخل المسجد فأجده غاصاً بالمصلين والقرآن الكريم يتلى في جنباته. وقد صليت الجمعة اليوم في مسجد صغير بقرب الفندق، وكانت الخطبة عبارة عن جزءين أحدهما بالعربية والثاني بالتركية. أما الجزء العربي فهو التحميد والاستغفار وتلاوة بعض الآيات والأحاديث في أول الخطبة ثم الدعاء في آخرها، وأما الجزء التركي فهو صلب الخطبة المتعلق لا شك بشرح تلك الآيات والأحاديث. وكذلك كانت الخطبة الثانية، إلا أنها ـكما هي العادة ـ قصيرة وكلها دعاء وكان بعض هذا الدعاء بالعربية وبعضه بالتركية.

حميدتي

هذه بعض أخباري أزفها إليك محملة بالأشواق الصادقة الملتهبة، أرجو أن تجدك في غاية الصحة والنشاط، وأن تجدي فيها ما يطمئنك ويهدئ لوعة الغربة القاتلة وأقصد لوعة البعد. كذلك أرجو أن تجودي علي ببعض أخبارك وأخبار الأولاد والأسرة حتى أطمئن، ولكن نظرا لأني سأنتقل من الفندق لا تبعثي لي بالرد حتى أكتب لك ثانية لأؤكد لك العنوان. مع قبلاتي الحارة لك ولعلا وألوف، ودومي لمن أنت روحه ومناه.

عباس

الحمد لله

إسطنبول مساء الأربعاء 07-08-1968

حميدتي العزيزة

أحييك وأقبلك وأضمك إلى عسى أن تحسي خفقات قلبي الملتهبة حبا وأشواقاً إليك وإلى فلذتي كبدي علا وألوف، وأتمنى أن تكونوا في غاية الصحة والنشاط وأن تكون الأسرة الكبيرة كلها بخير.

حميدتي

قديماً قيل في كلام منسوب لعائشة رضي الله عنها أن " **السفر قطعة من العذاب** "[493] وسمعت من السيد الوالد[494] يضيف " **ولو شئت لقلت إنه العذاب كله لما فيه من فرقة الأحباب**

---

[493]- الحديث الشريف بصيغته الكاملة، ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"السفر قطعة من العذاب يمنع أحدكم طعامه وشرابه ونومه فإذا قضى نهمته فليعجل الى أهله"**، صحيح البخاري، الامام ابو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري، الطبعة الاولى 2002، دار ابن كثير دمشق لبنان، كتاب الجهاد والسير، ص: 739.

[494]- المقصود هو والد الدكتور عباس الجراري العلامة " **عبد الله بن العباس بن محمد الجراري ولد برباط الفتح في عام 1324 وبعدما بلغ الثالثة من عمره ادخل الى الكتاب ...بعد استظهاره القران المبين ...وتحصيله كمية وافرة من متون العلوم وفنونها ... وقد نال شهادة العالمية من كلية القرويين ...فتح كتابا نظاميا خاصا وقام فيه بدروس ابتدائية ...عين مدرسا بالمدرسة الصناعية بالرباط ثم بمدرسة أبناء الاعيان ثم أستاذا بالثانوية اليوسفية ثم كاتبا بمندوبية المعارف ومكلفا بتفتيش الكتاتيب القرانية والمدارس الحرة بالرباط وناحيته والدار البيضاء وناحيتها ...عين على ما تقدم مفتشا عاما بمدارس البنات بالمغرب ...كان اول خطيب في معركة الظهير البربري المشؤوم وذلك عام 1349واول سجين فيها وبعد رجوع الملك الشرعي الى عرشه العتيد عاد الى وظيفة التفتيش بوزارة التربية الوطنية...وخصص بالتفتيش بالمعاهد الدينية الشمالية والشرقية ...وخصص بتفتيش الأقسام الثانوية بنفس المعاهد ...ين عضوا بالمجلس العلمي الإقليمي للعدوتين الرباط وسلا ... سطرت يراعة المترجم الكتب التالية وهي : قرة العيون من سبعة أيام في مدينة الزيتون ، الرحلة الليبية ، محاضرات تاريخية ،محاضرات في التفسير ، رمضان في عوائده ، بين القديم والجديد او المعركة بين الشيوخ والشباب ، الغاية من رفع الراية ،شذرات تاريخية ، سلسلة شخصيات مغربية .** ".إسعاف الإخوان الراغبين بتراجم ثلة من علماء المغرب المعاصرين ، محمد بن الفاطمي السلمي الشهير بابن الحاج، مطبعة النجاح الجديدة ، الطبعة الأولى 1992 ، صص :من 398 إلى400 .ويضيف الدكتور عباس الجراري : "أنه كان صاحب ناد أدبي أنشأه عام ثلاثين وتسعمائة وألف، واستمر طوال حياته. وإني أحاول أن

والأهل والأولاد". وما كنت لأدرك مثل هذا القول حتى أصبحت بعيداً عنك وعن البيت والأولاد فأحسست أنه العذاب في أقسى مظاهره وأبشع صوره، يصيب من جانبين مادي ونفسي. أما الجانب الأول فيتمثل في عناء السفر من حيث هو لما فيه من مشقة التنقل وعدم الاستقرار، ويتمثل كذلك في التفريط والضياع وما ينتج عنهما من نقص في التغذية وخروج عن نظام العيش المعتاد، وقد أحسست بذلك أشد الإحساس وتأثرت له أعظم التأثر لما ألفت من حياة مستقرة هادئة ونظام للأكل نشأت عليه أولا وفرضته علي فيما بعد ظروف الصحة والعمل بالبيت، فغدوت أسير على نمط من العيش جديد أساسه التقشف وشد الحزام، فمن (سميط) وكأس شاي صغير في الصباح إلى وجبة شعبية في الغداء إلى سندويتش جبن أو زبادي في المساء.

وأما الجانب الثاني فالفراغ المطلق الذي يسيطر على القلب والذهن فتتكهرب أسلاك هذا وتتقطع أوصال ذاك. وليس هذا الفراغ وحده هو الذي يصيب النفس وإنما هناك صراع داخلي تثيره ظروف العيش الجديد أحاول التغلب عليه لأنه لا يبعث على غير التردد والتثبيط ولا يوحي بغير الفشل واليأس.

عزيزتي

قد تستغربين لهذا الكلام يصدر عني أنا الذي لم أفتأ أسافر وأتنقل وأتغرب، ولكن ثقي أنه صادر من الأعماق قوة وصدقا، لأن سفري هذا تم في ظروف غير عادية أهمها أني فارقت حبك وحنوك وعطفك ومؤازرتك، فأصبحت تائهاً هائما ضعيفاً كطائر مقصوص الجناح. ولكني أقدمت على ذلك عن علم وطواعية وبمحض اختياري كما تعرفين. وهذه حقيقة لا ينبغي نسيانها لأن في تذكرها كثيراً من عوامل القوة للتغلب على موجات الضعف. ثم إن هناك حقيقة أخرى لعل تمثلها أن ينفخ فينا غير قليل من روح الصبر والثبات، وهي إدراك نبل المبدأ وشرف الهدف الذي نجتاز من أجله هذا الاختبار العسير. فمن شأن هذا الإدراك أن يهون كثيراً من الصعاب، وقديما قالوا " **من عرف ماقصد هان عليه ما**

أحافظ عليه وعلى اجتماعاته التي تتم بعد عصر كل يوم جمعة، على نحو ما كان في حياة مؤسسه رحمه الله .".مع المعاصرين ،عباس الجراري ، منشورات النادي الجراري ، مطبعة الأمنية ، الطبعة الأولى : 2009ج:3،ص:22.21

وجد"[495] و **"من سار على الدرب وصل"**[496] و **"عند الصباح يحمد القوم السرى"**[497]، ثم إنه**"لا بد قبل الشهد من إبر النحل"**[498].

نعم لابد لكل من يريد تحقيق أمل عظيم وغاية كريمة يخدم بها نفسه ووطنه أن يدفع الثمن، وأحمد الله أن قد وفقت – بمساعدتك إلى دفع الثمن غالياً غير بخس ولا رخيص، **"ومن طلب الحسناءَ لم يُغْلِه المهر"**[499] كما يقول الشاعر.

حبيبتي

منذ بدأت العمل حتى اليوم وأنا أبحث في مخطوطات الخزانة السليمانية، وكان مبناها في الأصل مدرستين ملحقتين بالمسجد السليماني الذي أسسه السلطان سليمان القانوني في منتصف القرن السادس عشر.وقد ألحقت بهذه الخزانة مجموعة من المكتبات وصلت

---

[495]ـ هذا المثل مأخوذ من قولة إبراهيم بن أدهم إلى الثوري: الذي كتب **"من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل، ومن أطلق بصره طال أسفه، ومن أطلق أمله ساء عمله، ومن أطلق لسانه قتل نفسه"**، والنهاية، بن كثير ، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ، هجر للطباعة والنشر ، الطبعة الاولى 1998، ج:13،ص: 508.

[496]ـ هذا المثل مأخوذ من بيت من لامية ابن الوردي وقد ورد كالآتي:

لا تقل قد ذهبت أربابه ... كل من سار على الدرب وصل

ديوان ابن الوردي، تحقيق عبد الحميد هنداوي ،دار الآفاق العربية ،الطبعة الأولى 2006 ،ص: 278

[497] . اصل المثل كما قال المفضل :"إن أول مَنْ قال ذلك خالد بن الوليد لما بَعَثَ إليه أبو بكر رضي الله عنهما وهو باليمامة: أن سِرْ إلى العراق، فأرادَ سُلوكَ المَفازة، فقال له رافع الطائي :قد سلكتها في الجاهلية، وهى خِمسٌ للإبل الواردة، ولا أظنك تقدِرُ عليها إلا أن تحمل من الماء، ثم سَقَاها الماء حتى رَوِيت، ثم كَبَّها وكَعَم أفواها، ثم سلك المَفَازة حتى إذا مضى يومان وخاف العطَشَ على الناس والخيل، وخشى أن يذهب ما في بطونه الإبل نحَرَ الإبلَ واستخرج ما في بطونها من الماء، ومضى، فلما كان في الليلة الرابعة قال رافع :انْظُرُوا هل تَرَوْنَ سِدْرا" عِظاماً؟ فإن رأيتموها وإلا فهو الهلاك، فنظر الناسُ فرأوا السِّدْر، فأخبروه، فكبَّر، وكَبَّر الناس، ثم هجموا على الماء، فقال خالد:

لله دَرُّ رَافِعٍ أَنَّـــــي اهْتَدَى ... فَوَزَ من قَرَاقِر إلى سُـــوَى
خِمْـساً إذَا سار به الجيشُ بَكَى ... ما سَارَهَا من قبله إنْسٌ يُرَى
عِنْدَ الصَّبَاح يَحْمَدُ القَوْمُ السُّرَى ... وَتَنْجَلِي عَنهُمُ غَيَابَاتُ الْكَرَى

مجمع الأمثال ، أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة - بيروت ج:2،ص: 3 .

[498]ـ المثل مأخوذ من بيت المتنبي :

تريدين لقيان المعالي رخيصة ... ولا بد دون الشهد من إبر النحل

ديوان المتنبي ، عبد الرحمن البرقوقي ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، 2014 ، ص : 950 (مع استبدال كلمة **"دون"** بلفظة **"قبل"**).

[499]ـ هذا شطر من بيت لأبي فراس الحمداني من قصيدته الشهيرة أراك عصي الدمع شيمتك الصبر ، وقد ورد كالآتي :

تهون علينا في المعالي نفوسنا ... ومن خطب الحسناء لم يغلها المهر

ديوان ابي فراس الحمداني، شرح الدكتور خليل الدويهي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية 1994، ص: 165.

كما أورده الميداني بصيغة أخرى وهي - "مَنْ يَنْكِح الحَسْنَاءَ يُعْطِ مَهْرَهَا"، مجمع الامثال ج: 3، ص: 320.

فهارسها إلى ستة وخمسين فهرساً أغلبها مطبوع. ومن حسن الحظ أن نظام العمل بها متصل من الثامنة والنصف صباحاً حتى الخامسة عشية بما في ذلك أيام الجمعة والسبت والأحد. ويؤمها الدارسون والباحثون من كل البلاد حيث التقيت بكثير من العرب والمستعربين. وأملي كبير أن أعثر في هذه الخزانة على ما يضيف لما عندي بعض الجديد.

ومن المفاجآت السارة في صباح هذا اليوم أني وجدت العلامة الكبير السيد محمد بن تاويت الطنجي[500] (وينطقونها هنا بترقيق الطاء) ينتظر وصولي إلى هذه الخزانة. وكنت قد كلمته بالهاتف أخبره بهذا الوصول. والأستاذ الطنجي معروف لدى القائمين على هذه المكتبة وعلى غيرها لمكانته العلمية الكبيرة فحدثهم عني وعن هدفي من زيارة تركيا، موصيا إياهم أن يمدوا لي يد العون. ثم انصرف إلى عمله بالمعهد الإسلامي بعد أن وعدني بالعودة لتناول الغداء معه. وما كاد ينصرف حتى أحضر لي المناول بسرعة فائقة عشرة كتب مخطوطة مما كنت طلبت. وكما وعد فقد عاد السيد ابن تاويت قبيل أذان الظهر، وأخذني إلى مطعم غير بعيد مألوف لديه، وقدم لي صاحبه بأنه أحد تلاميذه. وحين أخبرته بسرعة مناولة المخطوطات قال: «الحمد لله أن مخطوطاتنا العربية وصلت إلى يد العجم فحافظوا عليها ". وقد كانت هذه الضيافة مع التوصية من البشائر التي تفاءلت بها لتحقيق هدفي من الرحلة، فشكرته على أن نبقى متواصلين خلالها متى أمكن، وهو ما تسنى لي عدة مرات.

حميدتي

سبق أن أخبرتك في رسالتي السابقة أن المبلغ تقلص بسبب الدمغات وضريبة الدخل، وأني لذلك أفكر في الانتقال إلى فندق آخر أرخص. وبحثت ولكن عبثا كنت أبحث لأن

---

[500]- العلامة محمد بن تاويت الطنجي (1911/1974)ت"**ابع تعليمه لقواعد اللغة العربية والدين بعد حفظه القرآن الكريم وبعض المتون بطنجة ثم التحق بجامع القرويين بفاس حيث برع في دروس النحو والتوحيد وعلوم التوقيت ذهب في بعثة علمية الى الى مصر احرز على شهادة الليسانس في الاداب وكان ضمن الخمسة الاوائل فنال جائزة من الملك فاروق واعد رسالة الماجستير تحت اشراف الاستاذ احمد امين حول موضوع تحقيق مقدمة ابن خلدون ووجهته الجامعة العربية الى تركيا للبحث عن المخطوطات ،قام بتحقيق عدة متون منها جذوة المقتبس ، والجزء الأول من ترتيب المدارك أو اختصار الزبيدي لكتاب العين** "، أنظر: "معلمة المغرب"، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر ، مطابع سلا 1989 ، ج:7،ص: 2251 -2252. وقد أبنه الدكتور عباس الجراري بكلمة طويلة تحت عنوان : "هكذا عرفت العلامة المرحوم محمد بن تاويت الطنجي"، وهي عرض مقدم للندوة العالمية التي أقامتها كلية العلوم الدينية بجامعة مرمرة، للأستاذ محمد بن تاويت الطنجي خلال 13- 14 أكتوبر 2011 في أنقرة تركيا،وقد تم نشرها في كتاب "**مع المعاصرين أسماء وآثار في الذاكرة وفي القلب،**" عباس الجراري، منشورات النادي الجراري، الطبعة الأولى :2019.ج:4،ومما ورد فيها ص: 175":عرفت العلامة المحقق محمد بن تاويت الطنجي ـ سماعا ـ قبل أن ألقاه بشخصه ،وأجالسه مستفيدا من علمه وخبرته ،ومستمتعا بطرائفه ونكاته،كان صيته قد ذاع في المشرق والمغرب ."

الفنادق على كثرتها واختلاف مستوياتها مزدحمة بالسواح. ومن حسن المصادفة أني قابلت صباح أمس في طريقي إلى الخزانة مندوب وزارة التربية في إسطنبول فسألني عن أحوالي فأخبرته الخبر فاستغرب له واعتذر، لأن المنح لا تؤخذ عليها ضرائب كألوان الدخل الأخرى؛ ووعدني بإجراء اللازم على أن أمر به اليوم. وذهبت فوجدته قد أنهى الأمر فرد لي ما أحتجز باستثناء ما يخص (الدمغات).

عزيزتي

أمس بعثت بطاقة لألوف لست أدري إذا كنت قد أكدت لك فيها عنواني الذي بلغك في الرسالة فلتكتبي لي عليه، كما بعثت بطاقة لوالدك وأخرى لوالدي أرجو أن يكونا قد توصلا بها.

هذا وقبل أن أودعك أضمك ثانية إلي وأقبلك وأقبل علا وألوف وأهمس لك أن أسرعي بالجواب وسلمي على جميع أفراد الأسرة.

ودومي للذي لا يغفل عن التفكير فيك لحظة واحدة

عباس

العنوان :

HOTEL ATLAS (CHAMBRE 28)
NURUDS MANIYE COD MENGENE SOK N: 13
CAGALOGLU
ISTANBUL

الحمدالله

إسطنبول في 14-08-1968

حميدتي العزيزة

أحييك في شوق ملتهب إليك وأقبلك في عناق تمتزج فيه الأنفاس وتختلط نبضات القلوب، وأرجو أن تكوني بخير وأن تكون فلذتا كبدينا علا وألوف في صحة جيدة وأن تكون شؤون البيت تسير على ما يرام وأن تكون الأسرة الكبيرة بخير.

كنت اليوم أنتظر وصول جوابك على رسالتي خاصة وقد أكدت لك في الثانية عنواني بالفندق الذي نزلت به أول يوم، ولكني لم أتوصل بشئ، ولست أدري كم تستغرق المراسلات بين البلدين ولكني لا أظن المدة تزيد على ثلاثة أيام أو أربعة على أكثر تقدير ما لم تصادف أيام عطل. ولعلك تستطيعين تحديدها من نظرك في تاريخ الإرسال والوصول.

حميدتي

اليوم انهيت العمل في مكتبة "كوبريلي" بعد أن أنهيته في مكتبة البلدية، وبايزيد، وجامعة إسطنبول والمكتبة السليمانية. وبقي على أن أذهب إلى المكتبات الأخرى التي أقدر أن أفرغ منها في نهاية الشهر بإذن الله. ولست أنوي إلا أن أرحل فور انتهائي من العمل خاصة وأن الجو الطبيعي أصبح لا يطاق. فإذا كنت قد قضيت الأسبوع الأول في جو معتدل شبيه بجو الرباط والبيضاء في الأيام العادية، فإن الأسبوع الثاني كان غاية في الحر والثقل، وإن كان المؤمل أن يتلطف الطقس بعد الأمطار الغزيرة التي نزلت عشية أمس والتي لم نألفها إلا في فصل الشتاء وأيام "الليالي". وليست هذه أول مرة تتهاطل فيها مثل هذه الأمطار بل هي ثالث مرة، وقد أخبرني أحد الأساتذة الأتراك أن هذه السنة لم تكن طبيعية إذ عرف الطقس كثيرا من التقلبات.

واستعدادا للسفر بدأت أستفسر ففوجئت بأنه لا توجد بواخر تذهب إلى الإسكندرية من إسطنبول أو من أي ميناء تركي آخر. وبعد كثير من البحث تبين أن أمامي وسيلتين، أما الأولى فهي الطائرة وأما الثانية فالباخرة، ولكن من بيروت على أن أركب السيارة من

إسطنبول إلى بيروت. وتأملت الأمر طويلا ولا زلت أتأمل، و أظنني سأختار الوسيلة الأولى ولاسيما أن ظروف المنطقة لا تسمح بكثرة التنقل سواء في البر أو البحر ولمدة أيام. ولكن السفر بالطائرة يتطلب مائة وبضعة دولارات، وهو تقريبا ضعف الثمن الذي كان في نيتي دفعه للباخرة. ومع ذلك فلا زلت لم أتخذ قراري في الموضوع، وربما اختصرت الطريق بعض الشيء فذهبت إلى أنقرة في السيارة -وكان في برنامجي أن أزورها-ثم أركب الطائرة بعد يومين أو ثلاثة من أنقرة إلى القاهرة.

عزيزتي

أريد أن أقرأ لك في هذه الفترة الباقية لي في إسطنبول أكثر من رسالة لأني مشتاق لمعرفة أخبارك وأخبار الأولاد والبيت والأسرة. فماذا فعلت بالنسبة للعمل؟ وهل سجلت ألوف في الروض أم لم تسجل بعد؟ وقد كنت سألتها في البطاقة القطية التي بعثت لها. وهل استطعت استخراج النقود بسهولة من البنك؟ وهل جددت تأمين السيارة؟ أو على الأقل هل بدأت إجراءات التجديد؟ وكيف هو حال البيت؟ هل أصلح ما كان بالحمام من ضرر؟ وكيف أنت مع الخادمة؟ و... و ...؟ ثم لا تنسي أن تبعثي لي في أقرب فرصة صورا لك وللأولاد.

حميدتي العزيزة

لا تتأخري في الكتابة وسلمي على جميع أفراد الأسرة الكبيرة وقبلي عني علا وألوف.

ودومي لمن لا تزيده الأيام إلا تشبثاً بك وتقديراً لحبك العظيم

عبـــــــــاس

العنوان

HOTEL ATLAS (CHAMBRE 28)
NURUDS MANIYE cod MENGENE SOK N 13
CAGALOGLU
ISTANBUL

الحمدالله

إسطنبول عشية السبت 17-08-1968

حميدتي العزيزة

تحيات وأشواقا وقبلات حارة كثيرة لك ولعلا وألوف، وسلاماً خالصاً للوالدين والإخوة والأحباب في الرباط والبيضاء، راجيا أن يكون الجميع بخير.

هذه أول مرة ـ منذ وصلت إلى إسطنبول – أسمح لنفسي بعطلة نصف يوم لأستريح من عناء ثلاثة أسابيع متواصلة بالعمل دون انقطاع. وعلى الرغم من أني أحس الحاجة الملحة إلى مثل هذه الإجازة، فما كنت لأستمتع بها لولا أني لم أجبر على ذلك. والسبب أني انتهيت من العمل بالخزانة السليمانية وهي الخزانة الوحيدة التي تفتح ظهر السبت ويوم الأحد، وإن كنت سأعود إليها صباح الغد لبحث قضية التصوير.

وبالتالي هذه أول مرة أذهب فيها للفندق مباشرة بعد الغداء. وقد حاولت أن أنام قليلا ولكن دون جدوى، فالغرفة حارة بسبب الشمس التي تضرب فيها طول النهار، وتزمير السيارات لا ينقطع وفي تجاوب عجيب. ثم لا تسألي عن الإذاعة تدوي في كل مكان فتصل أصداءها قوية ولكن دون أن تنفر منها الأذن وخاصة حين تصمت لغة الكلام. ومن عجيب أن كل ألوان الغناء والموسيقى التي أستمع إليها قريبة إلى الألوان المعروفة لدينا مشرقية ومغربية بل شبيهة بها إلى أقصى حدود الشبه. وإذا كان غير غريب أن يتشابه الموال أو الأغنية أو القطعة الموسيقية هنا بالموال أو الأغنية أو القطعة الموسيقية في مصر مثلا ، فإن الذي يبدو غريبا بالفعل أن يلاحظ تشابه لبعض الموسيقى التركية بموسيقانا الأندلسية، بل قد لا تكون هذه الظاهرة في غاية الغرابة لأن الموسيقى الأندلسية شرقية في أصلها ما في ذلك شك و إن طعمت ببعض السمات المحلية (أندلسية ومغربية)، ولكن الذي يدعو إلى أقصى درجات الدهشة هو ما تحس الأذن من شبه كبير بين بعض الغناء و الموسيقى التركية وبين الغناء و الموسيقى المعروفة في سوس وبعض الأحواز.

مهما يكن، فلم أستطع النوم واكتفيت ببعض الوقت قضيته مستلقيا على السرير ثم لبست وخرجت لتناول القهوة. وذاك ما أفعل الآن، أشرب وأكتب لك هذه السطور. ولعلك تظنين أن الناس هنا يشربون القهوة أكثر من أي مشروب آخر، خصوصاً وأن النوع المعروف منها في سائر بلاد الشرق يوصف بأنه تركي، ولكن الواقع أن الشاي هو المشروب الأول، وأعني الشاي الأحمر، ويقدمونه في كؤوس صغيرة مخصورة شبيهة بتلك التي كنا نشرب فيها الشاي في بيت صديقنا الأستاذ رشاد عبد المطلب الذي كان يعمل خبيرا بمعهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية في القاهرة .

أما القهوة ـ وثمنها ضعف ثمن الشاي-فتقدم في فناجين مختلفة الأشكال، وتقدم مُرة ما لم تطلب حلوة، ولا يقدم الماء معها إلا بالطلب، ويسمونه "سُو". وقد توحي لك هذه الكلمة بمعنى السطل في المدلول الفرنسي ولكن دعي ذلك لقوم " **يأكلون بالأرطال ويشربون بالأسطال و ..... وينامون الليل وما طال ".**[501]

وللماء قصة عجيبة ومحيرة لم تزل حيرتها من نفسي إلا هذا الأسبوع، ذلك أنه يقدم معبأ في زجاجات حتى في أصغر المطاعم وأكثرها شعبية وبدون طلب. الشيء الذي جعلني في شك من أمر الماء العادي الجاري في البيوت والفنادق وغيرها. وطبيعي أن يجعلني هذا الشك أحجم عن شربه إلا مضطرا وخاصة في المساء قبل النوم. وكنت كلما سألت أحدا ممن أستطيع التفاهم معه أجبت بأن الماء العادي نقي وصالح للشرب، ولكن الذي يقدم في القنينات أحسن لأنه خفيف وطبيعي، يجلبونه من بعض عيون المنطقة. وظل السؤال يتردد في نفسي إلى أن قابلت هذا الأسبوع طبيباً عراقياً يشتغل في تركيا فبين لي أن الماء الجاري نقي ولكنه يحتوي على كمية هائلة من "الكلس" تجعله مضرا بالكلى، وأكد لي أن الناس لا يشربون منه، وأن البيوت تجلب ماء العيون معبأ في زجاجات ضخمة تكفي لشرب أسرة كاملة، وهو بعد هذا ليس غاليا فالزجاجة الصغيرة لا تساوي أكثر من ربع ليرة.

---

[501]- وردت هذه العبارة ضمن سلسلة دروس قواعد السلوك، للشيخ مخلف العلي القادري الحسيني،القاعدة السادسة: حسن الاقبال على الله يقول : "وما أعظم قول الإمام الرفاعي : يأكلون بالأرطال ويشربون بالأسطال وينامون الليل مهما طال ويطلبون مقامات الرجال فوالله إن هذا محال" .

وإذن فقد طلبت القهوة و "سو" وجلست للكتابة، وقد تقولين " ما دمت في عطلة فلماذا لا تذهب لزيارة متحف أو غيره من أماكن الآثار؟ " فأرد بأن مثل هذه الزيارة تحتاج إلى فترة أطول من الوقت ويستحسن بدءها في الصباح لأن معظم المتاحف تقفل في الخامسة. ثم إن الذهاب لمتحف أو غيره لا يخلو من مشقة وعناء. وحين قررت أن أستريح قصدت أن أتيح لجسمي وذهني فترة من السكون والهدوء. وإذا كانت مثل هذه الراحة تتاح للجسم بالجلوس في المقهى أو غيره فأنى لذهن مشغول أن تتاح له، وثقي حميدتي أني لا أغيب لحظة واحدة عنك وعن الأولاد والأسرة، بل إن سكون الجسم وتوقف حركته ينشطان دوران الذهن ويمدان تيار التفكير.

ومع هذا ففي نيتي أن أخصص بعض الأيام قبل السفر لزيارة أهم المتاحف، أما المساجد وتعتبر من أهم ما يزوره السواح ففي أوقات الصلاة فرص لرؤيتها، وقد هيئ لي ان أزور كثيراً من هذه المساجد وخاصة منها المشهورة. كذلك تعد المكتبات في طليعة جدول الزائر، وقد كدت أن انتهي منها جميعاً إذ لم يبق لي منها إلا أربع أو خمس مكتبات. وآخر ما زرت من هذه المكتبات هي مكتبة قصر "توبكابي" التي قضيت فيها أمس وصباح اليوم، وقد أعود إليها لنصف يوم آخر خلال الأسبوع. أما القصر فيحتاج إلى وقت طويل وأتمنى ألا تفوتني رؤية ما فيه من تحف ونفائس.

حميدتي

لعل من الراحة ـ خصوصاً حين تكون فترتها محدودة-أن يُتخلى عن مذهب التقشف. وفي نيتي بعد أن أترك هذا المقهى أن أمشي قليلا في الشارع وأتناول قطعة من (البقلاوة أو القطايف) أو غيرهما من ألوان الحلويات الشرقية. ولا أخفيك أني منذ أيام بدأت أتخلى عن هذا المذهب إذ بدأت أشتري شيئا من الفواكه أتناوله مساء في الفندق وخاصة الخوخ الشبيه بخوخ إيطاليا، وهو جد رخيص يتراوح ثمن الكيلو منه بين ليرة ونصف وثلاث ليرات. وأحس الآن أن شهوة الخوخ قد استبدت بك فأرجو أن تبعثي فاطمة الخادمة لتشتري لك منه إن لم يكن موجودا بالثلاجة، وقولي لألوف أن بابا هو الذي أرادنا أن نشتري هذا الخوخ لأنه الفاكهة التي يأكلها في تركيا ..... أرجوك.

حميدتي

أحس أني أثقلت على صاحب المقهى بطول الجلوس وسأضطر إلى الوقوف عند هذا الحد وقد أستأنف الحديث إليك بعد عودتي للبيت.

وأظنني لن أطيل فالقلم "الجاف" قد جف وهذا في الطريق إلى الجفاف. عدت إلى البيت بل إلى الفندق بعد صلاة المغرب دون أن أتناول أي شيء للعشاء، فلا زلت أحس ثقل قطعة القطايف في معدتي، وقد آكل قليلا من الخوخ فيما بعد. أما الآن فسأقوم لغسل قميص وبعض الجوارب قبل أن أنظر في الأطروحة التي اعتدت أن أراجع فصولها كل مساء وأضيف إليها ما قد أكون اكتشفت خلال النهار في هذا المخطوط أو ذاك.

عزيزتي

يبدو أن البريد بين البلدين يتأخر كثيراً. ونظراً لأني أنوي السفر في أواخر الشهر فلا ترسلي لي شيئا إلى إسطنبول بل إذا شئت أكتبي لي على عنوان السفارة المغربية بالقاهرة، ومع ذلك فأملي كبير أن تصلني خلال هذين اليومين رسالة منك أو رسالتان عسى تهدأ بعض لوعتي ويطمئن قلبي مما يشغله عنك وعن الأولاد والأسرة. ودومي لمن يحس البعد عنك أقصى درجات الجحيم.

عبـــــــــاس

الحمدلله

إسطنبول مســـاء الثلاثـــــاء 20-08-1968

حميدتـــي العزيــزة

تحية مشتاق متلهف وسلام هائم ولهان تدمى جفونه لبعدك ويحترق قلبه لفراقك فلا يشفي الدم والاحتراق غلته ولا يكفيانه إنصافا لحبك الكبير.

حميدتـــي

منذ غادرت الفندق صباحاً في مطر غزير لم أعد إليه إلا منذ ربع ساعة أي في الساعة التاسعة. وليس من عادتي أبدا أن أتأخر حتى هذا الوقت ولكن دعاني الدكتور إحسان عباس[502] بعد الخروج من المكتبة فذهبت وإياه إلى البنسيون الذي ينزل به حيث قدم لي فستقاً أحضره من لبنان.

---

[502]- إحسان عباس (1920 2003)عميد المحققين العرب في النصف الثاني من القرن العشرين، تناول التراث العربي بالتحقيق والتدقيق والنشر والتعليق وكل طرق المراجعة والضبط زهاء ستين عاما.و قد حقق مجموعة من أهم و أروع كتب التراث العربي كما كانت له إسهامات في حقل الترجمة حيث ترجم إلى العربية يقظة العرب لجورج أنطونيوس و النقد الأدبي ومدارسه الحديثة لستانلي هايمن بالاشتراك مع د. محمد يوسف نجم، ودراسات في الأدب العربي لفون جرونباوم و الرواية الشهيرة "موبي ديك" و فن الشعر لأرسطو و العديد من الكتب الهامة. و كتب العديد من المقالات ,وانتدب للمشاركة في عشرات المؤتمرات والنداوت العالمية، وعين مستشارا لعدد من الجامعات العربية والإسلامية ولد في قرية عين غزال بفلسطين عام 1920م ، وتعلم حتى تخرج من الكلية العربية في القدس عام 1941م ، ثم واصل تعليمه العالي حتى نال الدكتوراه من كلية الآداب جامعة القاهرة سنة 1954م . وقد بدأ تدريسه الجامعي في كلية غوردن التذكارية في السودان ، ثم جامعة الخرطوم ، ثم انتدب للتدريس في الجامعة الأمريكية في بيروت عام 1961م ، وشغل فيها منصب رئيس دائرة اللغة العربية ولغات الشرق الأدنى ، ومدير مركز الدراسات العربية ودراسات الشرق الأوسط ، ورئيس تحرير مجلة الأبحاث ، وهو عضو في المجمع العلمي العربي بدمشق والمجمع العلمي الهندي (عن فلسطين) وقضى آخر أيامه أستاذا في الجامعة الأردنية بعمان .من أهم كتبه : ملامح يونانية في الأدب ـ تاريخ النقد الأدبي عند العرب ـ اتجاهات الشعر العربي المعاصر ـ شذرات من كتب مفقودة في التاريخ ـ الكتيبة الكامنة في أعلام المئة الثانية لابن الخطيب ـ الذيل والتكملة على كتاب الموصول والصلة لابن عبد الملك المراكشي ـ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب -لابن المقري -8أجزاء- ، عن http://shamela.ws/index.php/author/89 موقع المكتبة الشاملة . (بتصرف).

وكم كان سروري عظيماً حين وجدت رسالتك تنتظرني عند الاستقبال، وكم كان أسفي عظيما كذلك لأني لم أستلم الرسالة فور وصولها إلى الفندق وقرأتها وأعدت قراءتها وحمدت الله أنك والصغار وجميع أفراد الأسرة بخير.

وأحسست في رسالتك مرارة وألماً شديدين بسبب بحثك عن مكتب للعمل مناسب، بل أحسست ندمك على أنك لم ترافقيني في هذه الرحلة، ولكن هدئي من روعك يا عزيزتي ولا تعطي فرصة للألم والحسرة يستبدان بك، فالأمر أهون مما تتصورين. والذي يهم هو أن تستمر مدة تدريبك، وهذا قد أتاحه لك الأستاذ محمد الفكاك حين اقترح أن يعطيك شهادة تثبت العمل في مكتبه حتى تتمي إجراءات التسجيل. ثم إنه قد وعدك بإلحاقك بمكتبه في نونبر، بل إن لك عرضاً سابقاً على هذا التاريخ وأظنه في أكتوبر. فما دامت المدة لن تتوقف ومادام الأمل كبيراً في أن تجدي مكتبا خلال الشهرين المذكورين، فلست أرى داعيا للانزعاج والقلق، بل يكفيك ما تعانين من الاضطراب والضياع بسبب الفراق. ومع ذلك -وهذا رأيي أقوله لك بكل صراحة متحملا جميع تبعاته-إذا لم تجدي مكتباً مناسباً وكان بالإمكان ضمان استمرار الفترة فلا تحرقي أعصابك، وأعني بمكتب مناسب مكتباً محترماً ترتاحين فيه وتستفيدين، دون أن يكون عامل المادة فيه أساسيا. أقول هذا لأنبهك إلى أنك إذا وجدت مكتبا لائقاً ولكن بدخل قليل أو محدود فلا تتردي في قبول العمل به. ولا أريدك أن تنزعجي من انقطاع المرتب مادمت مستعداً لتحمل الديون، والحمد لله أن قد وجدت في هذه الأسرة الكريمة من يتفهم ظروف الكفاح ويمد يد المساعدة بل يوثر على نفسه ولو كانت به خصاصة. وثقي أني سأرد كل ما تأخذينه من الوالد إذا لم تكفك شيكاتي البيضاء.

ولن أقول لك حميدتي -أني أتمنى لو تحضرين للقاهرة لتلحقي بي ما دام العمل لم يتيسر لك لأني لا أريد أن أفت في عضدك أو أفل من عزيمتك، فلتستمري في البحث ولكن بهدوء وثقة. وحسناً فعلت حين رفضت فكرة الرباط لما ذكرت من أسباب.

وأحسست في رسالتك كذلك ما عانيت في البحث عن روض مناسب لألوف، ولكن تعبك لم يكن عبثاً حيث وفقت إلى اختيار روض كنت أسمع عنه الكثير، وسررت أنك استطعت تسجيلها من أول غشت. ولكني لاحظت -كما لاحظت أنت كذلك لا شك- أن الرسوم

مرتفعة ولكن لا تقلقي فما قلته في موضوع العمل أكرره الآن، لأني لا أريد أن تكوني في وضع مادي ضيق، بل أريدك مرتاحة لا تعانين خصاصة أو حاجة.

وأحسست بعد هذا تضايقك من الصغار ومن الخادمة، أما بالنسبة للصغار فأرجوك أن تصبري وتوسعي صدرك لشيطنتهم وخاصة ألوف، لأنك إن لم تفعلي نمت عصبيتها وتطور عنادها وغدا سلوكها لا يطاق. ولعلها تجد في الروض متنفساً لطاقاتها التي تكبت في ذلك البيت الضيق، ولعلها كذلك تجد في بيت جدها متنفساً آخر وفي أيام أخر.

وليست علا بأقل حاجة إلى صبرك وسعة صدرك خاصة وأنها تمر بفترة الأسنان. وذكرتني بليلة السفر والأرق الذي أصاب علا في تلك الليلة، والحق أني كنت أنانيا حين أرغمتها على النوم ليتاح لي قسط من الراحة قبل أن أواجه الرحلة، فلعلها كانت تريدني أن ألاعبها وأمنحها بعض الوقت لها وحدها دون مزاحم أو منافس، وكأن قلبها أخبرها بسفر والدها ولمدة طويلة.

وكم أراني الآن أتمنى أن أعيش ولو لحظة خاطفة مع علا أو ألوف في عز شيطنتهما.

هؤلاء الصغار -حميدتي- هم زهرة حياتنا اليانعة وينبوعها الفياض وأملها الزاهي ووردها الزاهر وغدها المشرق. لا أريدك أن تقولي "جاء البنون وجاء الهم يتبعهم " وإنما أريدك أن تقولي " جاء البنون وجاء الخير يتبعهم. " وإذا كان " **أولادنا بيننا أكبادنا تمشي على الأرض**"[503] فمن الطبيعي أن نأخذ من أنفسنا لنعطيهم، نأخذ من راحتنا ووقتنا ومالنا وكل ما نستطيع تقديمه إليهم. ألم تسمعي قول الشاعر معبراً عن هذه الحقيقة بأسلوب آخر تشم منه رائحة الضجر والضيق:

ألـــــم تر أني دهـــا ني بني فأنكـــرت نفسي شأنا فشأنا

وكنت الجواد فصرت البخيل وكنت الشجاع فصرت الجبان

---

[503]ـ هذه العبارة مقتطفة من بيت لحطان بن المعلي الطائي وقد ورد في العقد الفريد ، ابن عبد ربه الأندلسي ،دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، 1404 ج:2 ،ص: 274:

وإنما أولادنا بيننا أكبادنا تمشي على الأرض

وأما بالنسبة للخادمة فحاولي كسبها باللين، ويأتيني هنا ماحكاه أحد جلساء المأمون العباسي لعله عبد الله بن طاهر، ذكر أنه كان في حضرة الخليفة ذات يوم ونادى الخليفة: "**يا غلام" فجاء هذا الأخير يزبد ويرعد ويقول "يا غلام يا غلام ..... كأنه ليس لهذا الغلام صلاة يؤديها أو طعام يأكله أو جسم يستريح إليه ....في كل لحظة يا غلام ..... " وظن ابن طاهر أن المأمون سيأمر بضرب عنق الغلام ولكنه صرفه برفق وهدوء وظل مطرقا بعض الوقت ثم قال لجليسه: " إذا حسنت أخلاق قوم ساءت أخلاق خدمهم وإذا ساءت أخلاق قوم حسنت أخلاق خدمهم، ونحن يا عبد الله لن نسيئ أخلاقنا لكي تحسن أخلاق خدمنا** "[504]

وقديما قيل فيما يشبه المثل " من كرم المولى سوء أدب الغلام"

وذكرت في آخر رسالتك أنك لن تستمري في الحديث إلي وعللت لذلك بأني نسيت خطك. ولكن هل تعلمين بأني أقرأ كل ليلة من خطك عشرات الصفحات، تلك التي نسخت لي فيها كثيراً من قصائد الملحون. وهل انقطعت يوماً عن قراءته حتى أنساه سواء هنا أو في المغرب؟ ومع ذلك لا أخفيك أني قرأت قولك:"**أما العائلة البيضاوية فقد سافرت ...لقضاء بضعة أيام في الشمال"** وقرأتها في السنغال، ولولا أنك ذكرت مصيف رستنكة لكنت مضطراً إلى حل رمز من الرموز.

حميدتـــي العزيــزة

لم يكن في نيتي أن أكتب لك لولا أني توصلت بجوابك، خاصة وقد بعثت لك أول أمس رسالة كنت أظنها آخر ما أسطر لك من إسطنبول. ولعل الجديد في أخباري أني لن أتمكن من السفر قبل منتصف الأسبوع الأول من سبتمبر، وأعني السفر إلى القاهرة. أما من إسطنبول إلى أنقرة فقد أسافر في الفاتح أو الذي يليه، على الرغم من أني سأنهي العمل في آخر هذا الأسبوع، ذلك أن (الميكروفيلم)لن يتم إنجازه قبل آخر الشهر.

---

[504]- هذه الحكاية مستقاة مما أورده الزمخشري قال : "**عبد الله بن الطاهر ، كنت عند المامون ثاني اثنين ، فنادي : ياغلام ، ياغلام ، فدخل غلام تركي فقال : ألا ينبغي للغلام أن يأكل أويشرب أو يتوضأ أو يصلي ؟كلما خرجنا من عندك تصيح : ياغلام ،يا غلام إلى كم يا غلام ؟فنكس رأسه طويلا ، فماشككت أنه يأمرني بقطع عنقه ،فقال: ياعبد الله إن الرجل إذا حسنت أخلاقه ساءت أخلاق خدمه ،وإذا ساءت أخلاقه حسنت أخلاق خدمه ،فلا نستطيع ان نسيئ أخلاقنا لتحسن أخلاق خدمنا** "، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار ، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ،تحقيق عبد الأمير مهنا ، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت ،لبنان الطبعة الاولى ،1992 ج:3،ص:351

وسأذهب غدا إن شاء الله إلى مكتبتين في الضفة الأسيوية من المدينة، إذ أن إسطنبول مقسمة قسمين، بعضها في القارة الأوربية والبعض الآخر في القارة الأسيوية، يفصل بينهما خليج البوسفور واصلاً بين البحر الأسود في الشمال وبحر مَرْمَرا في الجنوب. والمواصلات بين القارتين تتم بواسطة بواخر متوسطة تمخر عباب البوسفور في كل وقت. وقد سبق أن عبرت إلى هذه الضفة مرتين ذهبت فيهما للمعهد الإسلامي.

حميدتـــي الحبيبة

سأستغل الأيام الباقية لي في إسطنبول لأزور أهم المتاحف والقصور ما لم يظل الجو قاسياً كما هو الآن حيث البرد والرعد والبرق والريح والمطر الغزير،وكأننا في عز أيام الشتاء، وقد ينقلب بعد هذا حاراً لا يطاق كما كان في الأسبوع المنصرم والذي قبله.

وقد تصلك مني بطاقات أو رسائل عن هذه الزيارة أو تلك،ولكن لا تحاولي أن تكتبي لي على عنواني في إسطنبول، بل إذا شئت ابعثي على عنوان سفارتنا بالقاهرة.

مع قبلاتي لك وللصغار وسلامي لجميع أفراد الأسرة

ودومي لمن يضحي بكل شيء في سبيلك؛

عبـــــــــــاس

الحمدالله

|إسطنبول مســـاء الخمـيس 22-08-1968

حميدتـــي العزيــزة

أهديك أصدق التحايا وأحر الأشواق وأعذب القبلات، راجياً أن تكوني والصغار وجميع أفراد الأسرة بخير.

وبعد، فهذه رسالة بل مجموعة رسائل سأسطرها لك خلال هذه الأيام الباقية لي في إسطنبول، لأطلعك على أخباري في هذه الفترة بعد أن انتهيت أوكدت من البحث في المكتبات. ولن أبعثها لك إلا في آخر لحظة، جامعة لما كان يمكن أن أكتبه في رسائل مختلفة، فهي بهذا أشبه بمذكرة وجيزة عن آخر فترة من رحلتي إلى هذا البلد.

ذلك أني قد حددت موعد السفر إلى القاهرة ولم يعد بيني وبينه إلا أيام. وقد قضيت ظهر اليوم في البحث والسؤال من شركة إلى أخرى، وتبين لي بعد طول عناء ما يلي:

1- أن السفر من أنقرة إلى القاهرة غير متيسر إن لم يكن مستحيلا، والسبب ما سبق أن ذكرت لك من أنه لا يوجد إلا خط جوي واحد يربط بين العاصمتين مرة كل أسبوع، وهو خط من خطوط ج.ع.م أي الجمهورية العربية المتحدة " مصر"وترددت طويلا في السفر على هذا الخط، وحين قررت تبين أنه ليس لهذه الشركة من يمثلها في إسطنبول، وعبثا حاولت مع (فاكون لي كوك) التي أكدت لي أن هذا الخط لا يعمل، وأنه ليس في علمها وجود ممثل للشركة المصرية حتى في أنقرة. ونظراً لأن وقتي وميزانيتي لا يسمحان بالسفر في شبه مغامرة إلى أنقرة التي تبعد عن إسطنبول بحوالي خمسمائة كلم، فقد عدلت عن هذا البرنامج بما فيه زيارة العاصمة التركية. وكم مرة حاولت الاتصال بالقنصلية ولكن الهاتف لا يجيب.

2- أن الوسيلة الوحيدة للذهاب إلى القاهرة هي الطائرة من إسطنبول، وهذه بدورها لا تتوفر إلا مرتين في الأسبوع. وإذ لم يعد في إمكاني إلا أن أختار داخل هذا النطاق، فقد أخذت التذكرة على شركة ك.ل.م الهولندية لطائرة يوم الثلاثاء ثالث شتنبر، وثمنها مائة

وسبعة دولارات، ولعل هذه خير من الثانية التي تسافر مرة كل سبت. وحبذا لو كان في استطاعتي السفر يوم السبت الذي يقع آخر الشهر، ولكن مواعيدي مع المصورين ممتدة حتى صباح الثلاثاء، ومن حسن الحظ أن الطائرة لا تقلع إلا عشية.

وهكذا وبعد أن انتهيت من مشكل السفر، عدت إلى الفندق في حال عناء شديد، وسألت عن الحمام الذي لا يكون ساخناً إلا ليلة الجمعة فقيل لي إن قلة الماء ينتج عنها ضعف في قوة الدفع يحول دون تسخين الماء. ومثل هذا حصل في الأسبوع الماضي، بل فوجئت به داخل الحمام حيث اضطررت إلى أن أستحم بالماء البارد.

وجاءتني فكرة في الحال: لماذا لا أذهب إلى حمام عمومي خصوصاً وأن الحمام التركي مشهور في العالم بأنه طراز خاص؟

واستبد بي حب الاطلاع وسألت فأشير علي بحمام غير بعيد من الفندق فأخذت بعض اللوازم وذهبت: مع أني -لظروف صحية-لم أدخل حماماً بلديا منذ حوالي خمسة عشر عاماً.

والحمام هذا شبيه بحمام كنت ذهبت إليه في تونس، بل لا شك أن هذا تقليد لذاك. ودخلت أول ما دخلت إلى فناء واسع مسقف شبيه بأفنية الحمامات عندنا، فوجدت مكتباً للاستقبال سئلت فيه عما إذا كانت لدي أشياء ثمينة حتى أضعها في صندوق صغير كصناديق البريد آخذ معي مفتاحه.

ونظراً لأني خرجت مستعداً للحمام فلم أحمل معي أي شيء غير بعض الليرات، وحتى الساعة تركتها في الفندق. وفي طريقي إلى إحدى قاعات الاستراحة لأنزع ملابسي خلعت حذائي وسلمته للمسؤول عن حفظ الأحذية مقابل رقم خاص، ولبست (شبشباً) جلديا كتلك الشباشب التي كنا نشتري من مصر. وبمجرد دخول القاعة جاءني خادم بفوطة وإزار. وبعد أن نزعت ملابسي وائتزرت وجدت في الباب من يشير علي بخلع الشبشب ولبس (قبقاب) للدخول إلى الحمام. أما كيف هو داخل الحمام؟ فهو عبارة عن قبة دائرية كبيرة أرضها وجدرانها من الرخام تحيط بها أحواض رخامية صغيرة يصب فيها الماء الساخن والبارد، بعضها مكشوف وبعضها داخل غرفات. وعند كل حوض وضعت طاسة من معدن

أبيض. والناس يجلسون كل إلى جانب حوض من هذه الأحواض، وفي وسط القبة مرتفع رخامي على شكل دائري يستلقي عليه بعض الذين يرغبون في "التكسال" وعدد المكلفين بذلك غير قليل.

وبعد الانتهاء ومغادرة القبة وجدت من يشير على بأن أخلع القبقاب عند مدخل قاعة الاستراحة وألبس الشبشب. وبمجرد دخولي جاءني خادم بفوطتين إحداهما كبيرة والثانية صغيرة. أما الكبيرة فنشف بها جسمي بعد أن خلع عني الفوطة التي أعطيت عند الدخول ثم تركها ملتفة علي، وأما الصغيرة فمسح بها رأسي ولواها عليه في شكل عمامة. وبعد أن استرحت قليلا لبست ثيابي واستلمت حذائي تم طلبت كأساً من الشاي قبل أن أنصرف. وما قدم لي من خدمات هو نفس ما يقدم لسائر الناس. بقي أن تعرفي بعد هذا أني دفعت ثلاث ليرات ونصف ليرة بما في ذلك (البقشيش)، أي ما يزيد على درهمين مغربيين وعدت إلى الفندق دون أن أجد من يقول لي "بالصحة الحمام" أو "نعيما يا حبيبي".

الجمعة 23-08-1968 الساعة 9 مساءً

حميدتـــي العزيــزة

قضيت اليوم في خزانة متحف الآثار التي دخلتها بإذن خاص. واغتنمت فرصة وجودي قريبا من مسجد السلطان أحمد فأديت فيه الصلاة. وعلى الرغم من أني دخلت عشرات المساجد في إسطنبول وكلها استرعت انتباهي ودهشتي لعظمة البناء وروعة الزخرفة وجمال الكتابة، فإني لم أحس ما أحسست اليوم داخل هذا الجامع البديع وقد انعكست من زجاج نوافذه الملون أشعة زادت نقوشه وفسيفساءه الزرقاء بريقاً ولمعاناً. ومن هنا كانت تسميته بالجامع الأزرق. وهو ينسب للسلطان أحمد الأول الذي أسسه في بداية القرن السابع عشر ويعتبر من بين أعظم معالم هذه المدينة.

وبعد عودتي في المساء وجدت رسالة من السيد الوالد بعثها لي من إيفران رداً على خطاب كنت أرسلته له، وهي رسالة تبعث على الاطمئنان خصوصاً وقد حملت لي قبلاتك وقبلات علا وألوف. وقبل أن أعود إليك غداً في سطور أخرى أضمك إلى صدري في اعتناق طويل.

السبت 24-08-1968 الساعة 8:30 مساءً

حميدتـــي العزيــزة

سبق أن أخبرتك أني ذهبت مرتين لمكتبة قصر توبكابي وأني سأعود إليها مرة ثالثة. وهذا ما فعلت اليوم حيث أمضيت يومي هناك. وكان آخر ما طلبت الاطلاع عليه ديوان أبي الربيع، وتعتبر نسخته هنا أهم من نسخة الرباط أو الإسكوريال. وقد طلبت تصوير بعض الكتب فأذن لي به على أن يكون الاستلام يوم الخميس المقبل، وألفت نظرك إلى أن مكتبات إسطنبول تابعة في التصوير لمختبرين أحدهما في توبكابي، لا يصور غير كتب هذا القصر، والثاني في السليمانية ويصور لجميع المكتبات الأخرى سواء ما كان منها ملحقا بالسليمانية أو غير ملحق. ومن هنا كان الضغط الشديد على هذا المختبر. وقد قيل في السليمانية عن طلباتي أنها لن تكون موجودة قبل شهرين أو ثلاثة أشهر بسبب هذا الضغط من جهة، وبسبب طلب استثنائي ينفذونه لبعض الجامعات الأمريكية يستغرق للمختبر معظم الوقت والمواد، ومع ذلك فقد أحاول أن أحصل على جميع طلباتي بمختلف الوسائل ولعلي سأوفق. وإلى أن ألقاك صباح الغد أتمنى لك نوماً هادئاً وأحلاماً ممتعة ... مع قبلاتي.

الأحد 25-08-1968 الساعة 8:30 صباحا

عزيزتي

صباح الخير والنعمة والجمال

من بين كل أيام الأسبوع، هذا هو اليوم الوحيد الذي أستيقظ فيه دون منبه، وأعني بالمنبه تزمير السيارات وحركة المطابع ونداءات الباعة المتجولين وجلبة المارة وضوضائهم. ففي هذا اليوم تهدأ المدينة وتسكن حركتها حيث تقل السيارات وتخف حركة المرور بصفة عامة حتى بالنسبة للراجلين، وتقفل الدكاكين وينتشر الباعة المتجولون في بعض الأماكن التي يرتادها الناس أكثر، وتقام في بعض الساحات أسواق مكتملة للجديد من الأشياء والقديم. وتبدأ بوادر هذه الظاهرة منذ ظهر السبت، أي مع بداية عطلة الأسبوع أو نهايته كما يقال.

وفي نيتي أن أترك إسطنبول وأرحل إلى إحدى "جزر الأمراء" في بحر مرمرا جنوب المدينة على أن أعود في المساء. وسأتركك الآن لأستعد للخروج، فما أظن ألوف إلا ناهضة من فراشها مسرورة بيوم عطلتها توقظك وأختها الصغيرة. ولعل عينك لم تغف إلا منذ لحظات بعد أن أعطيت علا وجبتها الصباحية ولاعبتها قليلا، وأظنك ستأخذين الصغار إلى بيت جدهم إن كانت الأسرة قد عادت من سفرها، أو إلى البحر أو غيره من أماكن الراحة، فلتنعموا بيومكم فرحين مرحين على أن نلتقي في المساء.

...الساعة الآن تشير إلى التاسعة، وقد مضى على وصولي إلى إسطنبول نصف ساعة استغرقها الطريق من مرسى الباخرة عند قنطرة (كّالاطا) إلى الفندق والتوقف عند بعض الأكشاك لتناول سندوتش بالجبن وكأس من اللبن.

والحق أني قضيت يوماً في غاية الراحة والهدوء والمتعة لم يكن ينقصني فيه إلا وجودك بجانبي ... ولكن.

وقد قطعت الباخرة المسافة من إسطنبول حتى جزيرة بُويُوكُودا (بل بويوكادا) وهي أهم "جزر الأمراء" في ظرف ساعة وخمس وأربعين دقيقة.

وأهم ما يلفت نظر الزائر سكون مطلق يخيم على الجزيرة، لاسيما وأنه لا أثر فيها للسيارات وإنما يتم التنقل داخلها بالدراجات والدواب وعربات الخيول. وأكثر مطاعم الجزيرة تقدم السمك ولكني لم أصادف سمكا طيبا على الرغم من أني اخترت - بسبب هذه الأكلة وبحثا عن سلامتها- مطعماً من أحسن ما في الجزيرة، وعلى الرغم من أني دفعت ثمنا لها ما يعادل مصروف ثلاثة أيام في إسطنبول. وسوف أعود لأكل السمك مرة ثانية خلال الأيام الباقية لي في هذه المدينة، ولكن ليس في مطعم وإنما عند أحد الباعة الشعبيين في عربة أو فلك بشاطئ من الشواطئ حيث يصطاد السمك ويقلى أمام الزبون وهو واقف أو جالس على كرسي خشبي في قارعة الطريق.

ومن أعجب ما رأيت في هذه الجزيرة نوع من القرعة السلاوية (أو الشريفة) يزيد طول الواحدة منها على متر ونصف.

والواقع أنه ليس للزائر ما يشاهد في هذه الجزيرة غير البحر، يجلس قريباً منه في مقهى صغير ليستمتع بمنظره ويشرب الشاي أو القهوة أو غيرهما من المشروبات. وأعني بهذا أنه ليس بالجزيرة متاحف أو معالم أثرية يذهب إليها. ومع ذلك فإنهم يقولون إن لهذه الجزيرة تاريخاً حافلاً يميزها عن بقية الجزر، ذلك أنها شهدت كثيرا من كبار الشخصيات ينفون فيها عقابا وتأديباً. ويذكرون أن قسطنطين الأكبر في أوائل القرن الرابع للميلاد نفى إلى هذه الجزيرة الأسقف الأرميني نرسيس مع جماعة من أصحابه. وكان النبلاء يأتون لزيارته، وكثرة هذه الزيارات هي التي أكسبت هذه المجموعة من الجزر اسم "جزر الأمراء". ويذكرون كذلك أن الإمبراطور هركليوس في أوائل القرن السابع نفى ولده أطلريكى في إحدى هذه الجزر بعد أن أحس منه روح الثورة.

ومن أهم أحداث النفي التي طبعت تاريخ هذه الجزر نفي الإمبراطورة إيرين في نهاية القرن الثامن. والسبب أنها لطمعها في الملك نزعته من ابنها، ولكن البابا الذي كان له يومئذ نفوذ كبير لم يرض عن هذه المرأة إمبراطورة فلم يعترف بها، واستغل شارلمان هذا الحادث ليحصل من البابا على لقب إمبراطور بعد أن كان هذا اللقب خاصاً ببيزنطة، ولكن إيرين إمبراطورة بيزنطة غضب عليها ونفيت إلى هذه الأماكن الخالية.

ويقولون كذلك عن تاريخ هذه الجزر إنها كانت حتى عصور متأخرة مجرد غابات لا يرتادها الإنسان، ولكن شيئا فشيئا وخاصة في العهد التركي بدأت الحياة تدب إليها وربطت المواصلات بينها وبين إسطنبول حتى غدا عدد سكانها عشرين ألف نسمة.ومن ألطف الأشياء أن الناس يتفاءلون بزهور هذه الجزيرة وورودها، بل أن العادة جرت أن يشتري الزائر باقات صغيرة تباع في المرسى وداخل الباخرة.وكم كنت أتمنى لو كنت معي حتى أهديك باقة من هذه الباقات العطرة الجميلة. ومع ذلك فلم أترك الفرصة تمر دون أن أرسل لك صحبته بعض الزهور قطفتها بنفسي، فلعلها أن تحمل لك بعض ما أحس من مشاعر الحب الصادق وأحاسيس الشوق العميق، ولعلها كذلك أن تكون طائر يمن وبركة وخير .

فلتتقبليها مشفوعة بقبلات دافئة، وإلى لقاء آخر.

الإثنين26-08-1968 الساعة 8 مساءً

حميدتي

لست أدري كيف أعبر لك عن الفرحة التي غمرتني حين عدت إلى الفندق ووجدت رسالتك حاملة مجموعة من صورك والصغار والأسرة الكريمة المحترمة .فقد بلغ بي الشوق والتلهف حدا جعلني أنظر إلى هذه ثم إلى تلك وأعيد النظر وأقرأ التعليق، ولا تكفيني المرة تلو المرة فأكرر وأدقق في الصغيرة و"الكبيرة" ـ والدتك ـ وكل فرد من أفراد تلك الأسرة العزيزة علي، فأحس تلك اللقطات تختمر في ذهني وتبعث ذكريات حلوة جميلة ثم لا ألبث ـ متأثرا بذلك كله–أن أشعر بسكر لذيذ يدب في جسمي، وكأن ما غمرني لدى رؤية تلك الصور شبيه بما غمر الشاعر حين استمع إلى حديث حبيبته بعد طول غياب فقال:

وصلت ولكن بعد طول تشوق ودنت وقد رقت لقلبي الشيق [505]

فثملت من طرب برجع حديثها فكأنما قد نادمـــت بمعتق

أما السيد الوالد فله مني جزيل الشكر على ملاحظته وأرجو الله أن يطيل عمره حتى يرى في جميع أبنائه وأحفاده ما تقر به عينه.

وأما أنت يا عزيزتي فقد أبدت لي صورتك ما هيج كوامني وزادني شوقا وتلهفا إليك. وقد سرني قبل هذا وبعد أن رأيت الصغيرتين في غاية الصحة والنشاط.

عزيزتي حميدة

لقد أمضيت يوماً حافلا بالزيارات إذ ذهبت إلى متحف الآثار ومتحف الخزف و الزليج وحديقة الحيوان، ومتحف الآثار الإسلامية ومتحف الفسيفساء:

[505]- خزانة الأدب وغاية الأرب، تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي الأزراري، تحقيق : عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال – بيروت،الطبعة الأولى ،1987 ،ج1 :ص: 32 .

1-متحف الآثار ARKEOLOJI MÜSESI

وهو يضم ألوانا مختلفة من آثار الرومان واليونان. فهذه كتابات ونقوش، وتلك نصب وتماثيل، وهنا توابيت وبقايا قبور، وهناك آلات وأدوات و... وأشياء كثيرة تكشف أثر الحياة والإنسان في هذه البلاد لتلك العهود، بل تكشف صراعه من أجل البقاء كما يصور رسم هرقل وهو يقتل أسد (نيمي)، وهي لا تكشف الصراع فقط وإنما المتعة كذلك على حد اللوحة التي رسم فيها (أورفي)وهو يعزف على القيثارة وحوله من خلال أغصان الأشجار طيور أليفة جميلة كالبط والطاووس. وربما كانت التوابيت وما نقش عليها من رسوم تحكي قصص البطولة أروع ما في هذا المتحف.

وقد سبق أن أخبرتك بأن بهذا المتحف مكتبة زرتها من قبل واطلعت على بعض ما فيها من مخطوطات عربية.

2- متحف الخزف والزليج ÇINILI KÖŞK

ويقع في الواجهة المقابلة لمتحف الآثار، وبنايته ترجع إلى عهد الفاتح، وهو يضم أجزاء وقطعاً مختلفة من الخزف والزليج السلجوقيين، ويغلب عليها اللون الأزرق داكنا وفاتحا، كما يضم من الخزف والزليج التركيين ما يدل على دقة الزخرفة ونصاعة الألوان وجمال الكتابة.

ومن أروع ما في هذا المتحف محراب مسجد إبراهيم باي الكرماني وهو كله من الزليج الذي تطغى عليه الزرقة، وقد كتبت حواليه من أسفل اليمين إلى أسفل اليسار آية الكرسي بخط غاية في الروعة والجمال.

وبالمتحف مجموعة من الأواني، سواء ما كان منها للزينة أو الاستعمال تمثل إلى أي مدى بلغ صنع الخزف على عهد السلاجقة والأتراك.

3- حديقة الحيوان GÜLHANE PARKI

وهي ملتصقة بالمتحفين وليس فيها حيوانات كثيرة.وأهم ما فيها متحف صغير لأنواع من الحيوان محنطة، وحوضان للأسماك أحدهما مدفأ والثاني عادي، وكلاهما لا يرقى إلى حوض الدار البيضاء.

وعند الخروج من الباب الآخر للحديقة يواجهك من الظهر تمثال أتاتورك مشرفاً على خليج قرن الذهب، وقد وضع يده اليسرى على خصره ومد رجله اليمنى في خطو إلى الأمام.

الساعة الآن تشير إلى الربع بعد الزوال، وقد آن لي أن أذهب للغداء وأستريح ولكن ليس قبل أداء الظهر الذي ينادى له المؤذن. وبعد أن صليت في مسجد بايازيد تناولت ما تيسر من الأكل محاولاً تعويض جزء من مصروف أمس ثم إستأنفت الزيارات.

4- متحف الآثار الإسلامية (بل متحف الفنون الإسلامية) İSLÂM ESERLERI MÜSESI

وهو قريب من الجامع السليماني ويضم عددا هائلا من الزرابي ترجع إلى عهد السلاجقة والأتراك، كما يضم أواني وآلات موسيقية وأدوات للزينة وملابس وحلياً ومصابيح وأخشابا محفورة وألوانا من التحف الصدفية. وأهم ما يلفت نظر الزائر القاعة رقم 1 وما بها من مصاحف بمختلف الخطوط والأحجام، بعضها على الورق وكثيرها على رق الغزال أو جلد الجِمال. ويبدو أن غير قليل من هذه المصاحف يرجع إلى عهود الأندلس على ما يبدو من الخط. ومن أروع هذه المصاحف مصحف صغير في حجم مصحف الصدف الذي عندنا، وهو عبارة عن لوحات من الفضة محفور عليها القرآن الكريم وما أظن ما ضمه يتعدى جزءاً أو جزءين.

وإلى جانب هذه المصاحف، أدوات الكتابة وتنسيق الورق وخزائن صدفية لحفظ المصاحف بالإضافة إلى رسوم وظهائر وأنماط الجعب التي كانت تحفظ فيها.

5- متحف الفسيفساء

وهو في منطقة مسجد السلطان أحمد وقد ذهبت إليه بعد صلاة العصر، ويحتوي على عدد كبير من القطع الأرضية والحائطية رسمت عليها بقطع رخامية صغيرة يغلب عليها الأحمر والأبيض رسوم تشكيلية أو صور صراع الإنسان مع الحيوان. وبعض هذه الفسيفساء ظل مبلطا في الأرض أو ملصقا بالجدران وخاصة في الطابق السفلي من المتحف حيث لوحات رائعة الرسم والألوان لامرأة ولطفل مع بعض الحيوانات الأليفة ولبعض حفلات الصيد. والمتحف على بساطة تنظيمه في غاية الروعة والأهمية.

حميدتي العزيزة

هذه باختصار -أخشى أن يكون مخلا- مراحل الزيارات التي قمت بها اليوم. أما غداً إن شاء الله فأنوي الرجوع إلى عالم المخطوطات، ولكن ليس في إسطنبول وإنما في مدينة بورصة التي لا شك أن رحلتها ستستغرق يومين. وإلى أن أكتب لك من هناك أضمك إلي في عناق وقبلات.

بورصة 27-08-1968 الساعة 8.15 مساء

حميدتي العزيزة

حياك الله وأسعد مساءك وطيب أوقاتك. ها أنا في بورصة ومنها أكتب لك هذه السطور. وقد تم سفري إليها على مرحلتين، الأولى بحرية حتى ميناء (بالوفا) استغرقت ساعتين وعشر دقائق إذ غادرت الباخرة إسطنبول في التاسعة وخمس وثلاثين دقيقة ووصلت إلى الميناء المذكور في الحادية عشرة وخمسين دقيقة، علما بأن سرعتها تفوق سرعة الباخرة التي ركبت لجزيرة بويوكادا. وقد تبين لي ذلك من وصولها إلى هذه الجزيرة -كمرحلة أولى في السير- بعد ساعة واحدة، في حين أن الوقت الذي استغرقه الذهاب إليها يوم الأحد كان الضعف. أما المرحلة الثانية فبرية بواسطة السيارة. فبعد عشر دقائق من وصول الباخرة كانت السيارة تتحرك بنا إلى بورصة، والمسافة إليها تسعون كلم قطعتها في ظرف ساعة وربع على الرغم من أن بالطريق إصلاحات ومنعطفات كثيرة. ومع ذلك فالطريق ممتع بسبب جمال الطبيعة، وهي سهل تارة وجبل أخرى، ولكنها في كلتا الحالتين مكسوة بالأشجار الباسقة وأنواع من النباتات الخضراء. وقلما تبدو الأرض عارية لتكشف عن تربة في معظمها سوداء لاشك أنها تِرْس جيدة.

وبمجرد وصولي إلى بورصة في الواحدة والربع تناولت الغداء سريعا – وهو عبارة عن رغيف عليه قطع من دونير أي شورمة- وسألت عن المكتبة العمومية فأشير علي بالركوب ففعلت. ولكني حين وصلت وجدت أن جميع مكتبات البلد تعطل يوم الثلاثاء. فكانت الصدمة خصوصا وأني أخبرت أمس جماعة من الباحثين بسفري، فلم ينبهني أحد لذلك على كثرة ما قدموا لي من إرشادات. ولكني لم أترك الوقت يضيع فقصدت فندقا تركت به الحقيبة وخرجت لزيارة بعض معالم المدينة التاريخية. فذهبت أولا للجامع الأعظم ULU CAMI وهو مؤسس في أواخر القرن الرابع عشر على عهد السلطانين باجازى ومحمد الأول. وهو من أروع المساجد التي رأيت، ويقولون إنه الوحيد الذي يصل عدد قبابه إلى عشرين. وتعتبر مجموعة كتاباته ونقوشه من أغنى مجموعات هذا الفن، كما يعتبر حفر منبره الخشبي غاية في الإتقان. والعادة أن تتخذ المنابر من الرخام لا من الخشب، ومع ذلك فمنبر هذا الجامع

تحفة بديعة. وأهم ما لفت نظري هو وجود خصة كبيرة وسط الجامع وتحت قبته الكبيرة، وحولها أحواض صغيرة للوضوء، وقد أرسلت لك بطاقة تمثل هذه الخصة وتبرز بعض الكتابات. وكنت أخبرت بوجود خزانة كتب ملحقة بهذا الجامع، فسألت عنها فقيل لي إنها نقلت للمكتبة العامة. ومن حسن المصادفات أني قابلت مؤذن الجامع وواعظه وتذاكرت بعض الوقت مع هذا الأخير – وله إلمام بالعربية –فأخبرني أنه يعظ يوم الجمعة قبل الخطبة وفي بعض أيام الأسبوع، وأن هذه وظيفته يتقاضى عليها مرتبا مشرفا، ولا يجوز له الجمع بينها وبين وظيفة أخرى. ومثل الواعظ المؤذن والإمام والخطيب. ولكني كنت قابلت في إسطنبول قاضيا – صديقا لأحد الباحثين الذين ألقاهم في المكتبات-هو في نفس الوقت إمام في أحد الجوامع، قلت ذلك للواعظ المحترم فأجابني بأن هذه حالة استثنائية، ومثلها إسناد الخطبة إلى الإمام.

وتركت الجامع وسرت قليلا في شارع كبير لأجد نفسي في ميدان أتاتورك، وقد نصب في وسطه تمثال لكمال ممتطيا جوادا وبلباس عسكري عليه برنس، ولاحظت أنهم يقيمون منصة في هذا الميدان لاشك أنها لاستعراض عيد الاستقلال الذي يصادف يوم الجمعة القادم.

واستأنفت سيري طويلا في هذا الشارع إلى أن وصلت إلى متحف المدينة وهو يضم كثيرا من الآثار البيزنطية من تماثيل ونصب ومدافن وأحجار منقوشة. وقد خصص أحد أجنحته للآثار الإسلامية، وبه مجموعة من التحف والآلات الموسيقية والأواني الخزفية والألبسة والعمامات والزرابي وبعض المصاحف الجميلة. ولفت نظري مصحف ضخم تقدر مقاييسه مفتوحا بمتر ونصف على متر. ومن أهم ما بالمتحف مجموعة كبيرة من النقود المعدنية بعضها إسلامي وأكثرها يوناني وروماني. وقد أثارت انتباهي قطعة نقدية من الذهب مستديرة وفي مقياس درهمنا، رسم فيها رجل وامرأة واقفين، ولكن الغريب فيها أنها غير مسطحة وإنما مكورة من الجوانب على شكل جفنة وهي مسكوكة في عهد قسطنطين العاشر.

وقريب من المتحف زاوية YEŞIL TÜRBE دفن فيها السلطان شلبى وزوجته، وهي عبارة عن قطعة من الرخام ومن الزليج الأخضر والأزرق، بل إن الزليج الأخضر يغطي حتى الجدران الخارجية فيعطي بريقا ولمعانا من أقصى مكان في المدينة.

وبجانب الزاوية الجامع الأخضر YEŞIL CAMI وهو من تأسيس دفينها السلطان المذكور في أوائل القرن الخامس عشر. ويعتبر من أشهر مساجد المدينة وله منبر شبيه بمنبر الجامع الأعظم. كما أن الزليج يضاف إلى الرخام ليغطي جدرانه في ألوان يغلب عليها الأخضر. ومن غريب ما لاحظت أن الجامع عبارة عن طبقات يرتفع بعضها عن بعض وأنه يشمل في جوانبه أجنحة تكاد تكون مستقلة، وبالطابق العلوي قاعات يقال إنها كانت لاستراحة السلطان.

خرجت من هذا الجامع وفي ساعتي السادسة، ولم أرد أن تفوتني زيارة بعض الآثار الباقية من عهد البيزنطيين فسألت وسألت وكدت أيأس من الوصول إليها، ولكني بعد ساعة من البحث المتعب وصلت إلى منطقة تسمى (هيصاري) وهي في أقصى المدينة وأعلاها - إذ أن مجموع المدينة على شكل منحدر- فوجدت آثار قلعة قديمة لم يبق منها إلا باب متهدم وبعض الجدران الخربة.

وبعد أن عدت إلى ميدان أتاتورك تناولت زباديا وبعض الأرز ثم دخلت إلى الفندق لأحرر لك هذه السطور. وإلى أن ألقاك غدا إن شاء الله لأخبرك عن زيارتي للمكتبات وعودتي إلى إسطنبول أضمك وأقبلك.

الطيور . وقد تم سفرنا منها على مرحلتين: الأولى بحرية حتى ميناء يالوفا استغرقت ساعتين وعشر دقائق حيث غادرت الباخرة اسطنبول في التاسعة وخمس دقائق صباحاً ووصلت إلى الميناء المذكور في الحادية عشرة وخمس دقائق ، علماً بأن سرعتها تقدر بـ ١٥ كيلو في الساعة . وقد كانت الجزيرة بيوكادا هي أول جزيرة نمر بها في رحلتنا هذه ، وقد استغرق الذهاب إليها يوم الأحد كما ذكرت سابقاً . أما المرحلة الثانية فبرية بواسطة السيارة وقد عشر دقائق من وصول الباخرة كانت السيارة تقلنا إلى بورصة ، والمسافة إليها تقدر بـ ٤٠ كم تقطعها في نحو ساعة وربع على الرغم من أنه بالإمكان اختصارها بمنعطفات كثيرة . ومع ذلك فالطريق ممتع بسبب جمال الطبيعة ، وهي سهل تارة وجبل أخرى ، وكلها في الحالتين مكسوة بالأشجار الباسقة وأنواع من النباتات الخضراء . وكلما تسير الأرض عامرة تكشف عن ترف في مظاهرها سواء من ذلك أنها تؤتي ثمرها .

ونعود وصولنا إلى بورصة في الواحدة والربع تقريباً ، وهي عبارة عن رقعة على سطح من ثلوج أو ثوير أو شورة . وسألت عن المكتبة العمومية فأشير علي بالذهاب فذهبت ، فإذا هي مغلقة ، وعلمت أن جميع مكتبات البلد تعطل يوم الثلاثاء . فكانت الصدمة خصوصاً وأني أخبرت أمس هناك من الباخرة بأنها مفتوحة ، فلم يبق لي إلا الأمل في كثرة ما قد أرى من آثار . ولكني لم أزل على الوقت بأن طفت خارجاً تركت الجامع وذهبت لزيارة بعض معالم المدينة التاريخية ، فذهبت أولاً إلى الجامع الأعظم Ulu cami وهو من أواخر القرن الرابع عشر على عهد السلاطين بايزيد ومحمد الأول . وقد سمي أولي الجامع الذي رأيت ، ويقولون أنه الوحيد الذي يصل عدد قبابه إلى العشرين . وتعتبر مجموعة كتابات من أغنى مجموعات هذا القطر ، كما يعتبر منبره الخشبي عجيباً في الإتقان ، والعادة أن تتخذ المنابر من الرخام لا من الخشب ، ومع ذلك فمنبر هذا الجامع تحفة بديعة . وأهم ما لفت نظري هو وجود فسقية كبيرة وسط الجامع وتحت القبة الكبيرة ، وقد وضعت أمام صنبور للوضوء ، وقد أرسلت لي بطاقات تمثل هذه الفسقية وتبين محتوى الكتابات . وكنت أخبرت بوجود خزانة كتب ملحقة بهذا الجامع فسألت عنها فقيل لي انها نقلت للمكتبة العامة . وهي

الحمدلله

إسطنبول مساء الأربعاء 28-08-1968 الساعة السابعة

حميدتي العزيزة

أتمنى أن تكوني قضيت ليلة هنيئة هادئة، أما أنا فأمضيت ليلى قلقا أرقا رغم السكون الشامل الذي يسود منطقة الفندق، ورغم الإرهاق الشديد الذي كنت أعاني منه، واستعجلت الصباح حتى إذا أسفر نهضت أسعى إلى المكتبة العامة بعد أن شربت الشاي وأكلت سميطا في مقهى قريب.

وبعد كثير من الأخذ والرد مع قيمها الذي لا يعرف غير لغته استطعت أن أفهم – وبمشقة -أن مخطوطات مكتبات بورصة مجمعة في خزانة جامع أورخان. وكنت قد زرت الجامع أمس فلم أجد عناء في الذهاب إليه خاصة وأنه غير بعيد. ومن حسن حظي أن وجدت قيمها يفهم العربية قليلا، فأكد لي ما فهمت من قيم المكتبة العامة، وأحضر لي سجلا خطيا يشمل فهارس سبع خزائن هي1- أورخان 2- خراجي أوغلو 3- حسين شلبي 4- قورشونلو5-الجامع الكبير 6-ملى 7-كْنل

وبعد أن استعرضت هذه الفهارس طلبت بعض المخطوطات التي كنت قد سجلت أرقامها فأحضرها لي القيم، وهي في جملتها غير ذات أهمية بالنسبة لما أنا بصدده، وقد تكفلت بتسجيل ذلك في مذكرتي عن المكتبات. وما كادت تدق الثانية عشرة حتى كنت قد انتهيت من آخر كتاب طلبت، وتركت الخزانة وأسرعت إلى سيارة أجرة للذهاب إلى ميدان "كْراج"، وكنت مخيرا بين انتظار حوالي ساعة لأركب في الحافلة وبين ركوب سيارة أجرة وقف صاحبها ينادي محتاجاً إلى شخص واحد ليكمل عدد الركاب. وفضلت هذه، ولم تكد تمضي أربعون دقيقة حتى كانت تقف بباب ميناء يالوڤا، فأخذت التذكرة ودخلت.وبمجرد ما وضعت قدمي داخل الباخرة أطلقت الصفارة معلنة عن الإقلاع. ونظرت إلى الساعة فإذا هي الواحدة. وحسنا فعلت بهذا الإسراع، ولو لم أفعل لاضطررت إلى الانتظار حتى المساء. ولكن الثمن كان غاليا إذ دفعت للسيارة اثنتي عشرة ليرة ونصف ليرة بدلا من ست ليرات في

الحافلة، مع أنها سيارة تعبئة. ويفرقون هنا في سيارات الأجرة بين نوعين 1-سيارة تعبئة dolmüş تأخذ بالفرد، مثلها مثل السيارات التي تذهب من الرباط إلى سلا وهي كثيرة وتيسر النقل داخل المدن وخارجها ويكاد ثمنها يكون كالحافلة 2-سيارة تاكسي وهي كسيارات الأجرة المعروفة في كل مكان ، وليس بين النوعين أي فرق إلا في نظام العمل فكلها من الطراز الأمريكي الفخم. بقي أن تعرفي أن ثمن الباخرة ست ليرات.

وهكذا انتهت رحلتي الخاطفة إلى بورصة. ولعلك تودين معرفة قليل عن تاريخها. إنها من تأسيس بروسياسPRUSIAS بإيعاز من (هنبال)الذي كان لاجئا عنده في أواخر القرن الثاني قبل الميلاد، وربما كان اسمها مأخوذا من اسم مؤسسها. وتدرجت المدينة في مراحل مختلفة تبعا للدول التي تعاقبت عليها من بيزنطية وسلجوقية وعثمانية،بل إنها كانت عاصمة الدولة منذ عهد السلطان أورخان غازي الذي فتحها سنة 1326م حتى عهد السلطان محمد الفاتح الذي نقل العاصمة سنة 1453 إلى القسطنطينة أي إلى إسطنبول. ولم تنقل العاصمة إلى أنقرة إلا في عهد أتاتورك. ومن اللطيف ما يقال من أن إسطنبول تحريف لإسلامبول ومعناه بلد الإسلام. أما بورصة فعلى الرغم من أنها لم تعد عاصمة فقد ظلت مركز صناعة الحرير والمياه المعدنية. والأسف أني لضيق الوقت لم يتهيأ لي أن أقف على ذلك.

وإذن فقد عدت إلى إسطنبول وذهبت إلى الفندق لأستريح قليلا ثم توجهت قبل الخامسة بقليل إلى مكتبة السليمانية حيث كان محددا لي موعد استلام بعض الأفلام. ومن المصادفات أني وجدت جميع طلباتي جاهزة سواء منها ما كان عن طريق رسمي أو غيره، ولكني أجلت الاستلام لأنه يقتضي في المقابل دفع حوالي تسعمائة ليرة ليس لي منها الآن بالضبط غير نصف العشر، مع أني غيرت خلال مقامي في إسطنبول خمسة وأربعين دولارا. وسأنتظر حتى يوم الإثنين حين أستلم منحة الشهر الثاني لأسدد المبلغ، علما بأني سبقت للتصوير من قبل أربعمائة ليرة. وأظنك ستستغربين لهذا القدر الذي يفوق مرتب شهر، ولكن استغرابك سيزول إذا علمت أني صورت ألفين وأربعمائة وخمسين ورقة، وكل ورقة صفحتان بالطبع. ولعلك بعد هذا تفهمين لماذا أشد الحزام.

عزيزتي

نظرا للعناء الشديد الذي أحس عدت مبكرا إلى الفندق حتى أستريح وأصبح مستعدا لنهار الغد حيث أنوي زيارة متحف قصر توبكابي في الصباح والذهاب في الظهر إلى موعد لي مع بعض الأساتذة الأتراك في مكتبة كلية الآداب.

أقبلك والصغيرتين وأتمنى لَكُن ليلة سعيدة تسفر بإذن الله عن صباح باسم مشرق مفعم بكل خير.

الحمدلله

الخميس 29-08-1968 الساعة 7 صباحا

حميدتي العزيزة

مع إشراقة صباح الذكرى ألف تحية وألف قبلة وألف عبرة أقلد جيدك من دررها عقودا. مر شهر واحد على افتراقنا، ولكنه سنون وأعوام تتطاول وتتمطى علي بكابوسها الثقيل المخيف. إني لأذكر ذلك الصباح فأحس ألم الصدع يمزق قلبي ويفتت كبدي ويشتت ذهني دون رحمة أو إشفاق. ومتى كانت الغربة رحيمة بالأحبة مشفقة على قلوبهم؟ بلى! فقد صدق ما ورد في بعض الكتب السماوية "**إن مما ابتليت به عبادي فراق الأحبة**"[506]. وهل كان العذاب الشديد الذي أنذر به هدهد سليمان إلا إبعاده عن طير جنسه؟

ولو أن الذين قالوا إن "**السفر قطعة من العذاب**"[507] عانوا ما أعاني أو قريبا منه، لقالوا إن العذاب قطعة من السفر، ولكن سبحان من رحمته وسعت كل شيء. ففي قول لعله حديث شريف "**لو يعلم الناس برحمة الله للمسافر لأصبح الناس على ظهر سفر إن الله بالمسافرين رحيم**".[508]

الغربة قاتلة يا عزيزتي، ولكن عسى الله أن يخفف اللوعة ويقوي الصبر ويطوي الزمن ويقرب الهدف وييسر العمل، ذلك دعائي إليه في كل وقت وحين ولعله أن يستجيب.

الساعة 9 مساء

حميدتي العزيزة

كما أخبرتك أمس، ذهبت صباح اليوم إلى متحف قصر توبكابي لأستلم بعض المصورات ثم لأزوره لأني لن أعود إليه بعد أن انتهيت من المكتبة. والدخول إلى القصر

---

[506]- ورد في بعض الكتب السماوية : "إن مما عاقبت به عبادي اني ابتليتهم بفراق الاحبة"،ربيع الأبرار ونصوص الأخيار ابوالقاسم محمود بن عمر الزمخشري ، تحقيق عبد الاميرمهنا ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ،الطبعة الأولى ،1992، ج:3 ،ص:7

[507]- انظر الهامش رقم 493 من ص137 من هذا الكتاب .

[508]- لم أجد هذا الحديث في الكتب الصحاح ، ولكني ألفيته في ربيع الابرار ونصوص الاخبار ، ج:3 ،ص:7 ، حيث ورد بهذه الصيغة عن أبي هريرة قال :رسول الله صلى الله عليه وسلم :" لو يعلم الناس برحمة الله للمسافر لأصبح الناس على ظهر سفر إن الله بالمسافرين رحيم".

بأربع ليرات باستثناء المكتبة فإن الذهاب إليها بالمجان. واعتاد البواب مجيئي إليها ـ حيث زرتها أربع مرات-فلم يطالبني بالتذكرة وحاولت أن أفهمه أني في هذه المرة سأزور المتحف، ولكنه رطن بكلام كأنه يقول "ادخل يا أخي للمكتبة أو للمتحف!" .

وذهبت أولا لأستلم الشريط ثم بدأت الزيارة. والواقع أن الحديث عن هذا المتحف وما يحوي من كنوز وذخائر ونفائس لا تكفيه مجلدات، ولكني سأكتفي بأن ألقط لك بعض ما يلفت النظر وبإيجاز.

وأول مكان يتجه إليه الزائر، بعد أن يجتاز باب السلام، مجموعة مطابخ القصر، وهي واقعة على اليمين، وكانت على عهد الفاتح أربع قباب فغدت على عهد سليمان القانوني عشراً. ويقولون إن عدد الطباخين في عهد مراد الثالث بلغ ألفا ومائة وسبعة وأربعين. وتشكل المجموعة الصينية ـ وعدد قطعها يزيد على عشرة آلاف جزء هاما من محتويات هذا الجناح. ويقال إن بعض هذه المجموعة يتغير لونه إذا وضع به طعام مسموم. ومثلها المجموعة الفرنسية التي تضم ألوانا مختلفة من الصحون والأطباق والأكواب وأشكال من الأواني والتحف، أغلبها من صنع (فانسين) و(ليموج) و(سيفر). وإلى جانب مجموعات أخرى أوروبية وتركية كلها في غاية الروعة، تلفت النظر أواني الطبخ وخاصة قدران من النحاس مستديران يفوق حملهما طنين وأعني حملهما من الطبخ.

وقريبا من المطبخ خصصت غرف أخرى لتحف متنوعة من الفضة والكريستال. وأروع ما فيها ثلاثة صحون رسمت فيها صور سليم الثالث ومحمود الثاني وعبد المجيد الأول، وهي غاية في الدقة ونصاعة الألوان.

وبالخروج من هذا الجناح الذي يطل على حديقة واسعة غرست بالورد الحر، واجتياز باب السعد، نصل إلى أماكن السلطان الخاصة التي لم يكن بقربها إلا الوزير الأعظم بإذن خاص. ويذكرون أن السلطان كان عند هذا الباب يتقبل التهاني في المناسبات ويستقبل سفراء الدول.

وندخل فنجد على اليسار خزانة السلطان أحمد الثالث، وهي في بنائها قطعة جميلة من الرخام الأبيض، وقد تكفلت بكتبها مذكرتي عن المكتبات، وإلى جانبها قاعة كبيرة يقال إنها كانت مسجدا (للآغات) أي كبار المخزنية وقواد المشور، ولكنها اليوم معرض للمصاحف التي كان يملكها السلاطين. وهي تبهر بضخامتها وجمال خطها وزخرفتها الذهبية والملونة. ومع المصاحف عرضت نماذج من التجليد ومن أدوات الكتابة والوراقة. وفي غرفة صغيرة مجاورة علقت في واجهات صغيرة ألوان مختلفة من أختام السلاطين.

وما دمنا في هذا الجانب اليساري فلندخل إلى آخر قاعة بالداخل. ولكن بهدوء وسكون ووقار، كما كتب بالباب وكما يطلب من الزوار. إنها القاعة التي تضم الأمانات المقدسة ويقصدون بها أشياء تخص الرسول عليه السلام. والقاعة في حد ذاتها أروع قاعات القصر من حيث النقش والزخرفة، إذ أن مبنى القصر يكاد يكون عاديا وبسيطاً. وفي الوسط وضعت واجهة دائرية وضع في داخلها صندوق صغير من الذهب والأحجار يقولون إنه قد وضعت فيه بعص أسنان الرسول ص. وفيها كذلك، وداخل صندوق مفتوح، حجر عليه آثار قدم يقولون إنها آثار قدمه عليه السلام. وبالواجهة رسالة صغيرة في إطار مضاء يذكرون أنها رسالة الرسول ص للمقوقس ملك القبط يدعوه للإسلام. وفي ركن من هذه القاعة شباك يطل على ممر يطل بدوره على غرفة بواسطة شباك آخر. وفي داخل هذه الغرفة التي تبهر بذهبها وبإضاءتها الفنية الرائعة، وضعت صناديق مصنوعة من الذهب والجواهر تحفظ بها جبة الرسول التي أهداها الشاعر ابن زهير إثر إنشاده قصيدة "بانت سعاد،" وسيفان أضيفت لهما أيد وأغشية مرصعة. وبلغ من تقديس هذه الغرفة أنه لا يسمح بمس الشباك الأول حيث وضع حاجز من قضبان الفضة حائلاً دون اللمس، بل أكثر من ذلك لا يسمح حتى لمدير المتحف بدخولها، وحتى التنظيف يقوم به أحد رجال الدين يأتي خصيصاً لذلك.

ولعلك واجدة في أسفل خزانة الفراشات ـ عندنا ـ نشرة مصورة كنت أخذتها من السفارة التركية بالرباط عنوانها "الأمانات المقدسة" فارجعي إليها فستعينك على تصور عظمة المكان، علماً بأن ما يقال عن هذه الآثار مشكوك فيه.

أما بعد هذه الأمانات وما تحمل من قيمة روحية، فأهم ما بالمتحف كنوز السلاطين، وهي مجمعة في بقية قاعات هذا الفناء. والحقيقة أن العقل يحار لدى رؤية هذه القناطير بل الأطنان من الذهب، مسبوكة في عروش أو أواني أو حلي أو تحف، وقد رصعت بملايين الأحجار الكريمة. فهذا مهد من الذهب المرصع بالزمرد، وذاك الخنجر الذي كانت سرقته موضوع شريط "توبكابي" محلى بخمس زمردات كبيرة وساعة دقيقة الصنع في رأسه، وهنا عرش من الذهب بجانبه حسكتان كل منهما تزن نصف قنطار من الذهب ،وعليها ستة آلاف ومائتان واثنتان وثمانون حجرة ، وهناك زمردة سوداء هي أكبر ما في المتحف من الزمرد وزنها ثلاثة كيلو، وضعت إلى جانبها أخرى خضراء هي أصفى زمردة في العالم كما يقولون،وزنها كيلو وثلاثمائة جرام. وفي واجهة خاصة وضعت قطعة (دياماند) محاطة بتسعة وأربعين حجرة ويقال إنها أشهر القطع النفيسة في العالم حيث يأتي الهواة والخبراء لزيارتها خصيصاً من مختلف بلاد العالم، وهي من عيار 89 كارا، وغير هذه وتلك مئات الأشياء مرصعة من عصى وأشواك وصناديق وسيوف وأحزمة وغيرها.

ومن ألطف الأشياء أن السلطان أحمد مؤسس الجامع كان يضع على عمامته شوكة بها زمردة ضخمة، وكان يقول إذا وقع زلزال وتهدم المسجد أو غيره ففي هذه الحجرة التي أحمل تأمين على ذلك. والملاحظة أن الفترة الأولى للسلاطين تكشف عن عدم الدقة في قص هذه الأحجار، فكانوا من أجل ذلك يتركونها في الغالب قطعاً كبيرة، أما فيما بعد فقد أتقن القص إلى حد صنع فنجان قهوة من قطع صغيرة مجمعة. وليست هذه الكنوز وحدها التي تلفت النظر في هذا المكان، وإنما أصوات النساء كذلك يستغربن مندهشات لكثرة هذه الأحجار التي فضلت حتى وضعت في صناديق من الزجاج. بل إن مجموعة كبيرة من قفاطين السلاطين معروضة في إحدى القاعات يقولون إنها منسوجة بخيوط الذهب والبلاتين.

وبالمتحف بعد هذا غرف وقاعات كثيرة مفروشة ومزينة بعض أجزائها وأثاثها بالعاج والصدف والفضة لا أريد أن أطيل عليك بها، وإن كنت لا أريد أن أخرج بك من هذا القصر دون أن أمر بك إلى قاعة العربات حيث سمعت بعض السواح الفرنسيين يعلق بقوله " وهل بعد هذا يسأل لماذا تثور الشعوب؟".

كانت الساعة قد تعدت الزوال بدقائق حين خرجت من باب القصر، واغتنمت وجودي بالمنطقة فزرت متحف القديسة إيرين، وهو عبارة عن معبد بيزنطي بل أولى كنائس المدينة. وقد قدم العهد بإصلاحه حتى بدأ ينفض ويكشف عن أحجاره، وليس به من المعروضات إلا مجموعة كبيرة من المدافع القديمة وضعت في أفنيته وبعض حجراته.

وقريباً من القصر كذلك مبنى أيا صوفيا العجيب، وهو في الأصل كنيسة أقامها قسطنطين في بداية القرن الرابع، ثم أعاد بناءها تيودوس الثاني في بداية القرن الخامس بعد أن أصابها حريق. ثم تعاقبت على المدينة ثورات وانقلابات جعلت المعبد يهدم ليقيم مكانه الإمبراطورجوستنيان هذا البناء الذي يشاهد اليوم، والذي حمل له الرخام والأحجار المختلفة الألوان من مصر وإفريقية وغيرها من البلاد. والبناء يلفت نظر الزائر بضخامته وعلوه وكثرة نقوشه وزخارفه واختلاف ألوان رخامه وأحجاره. ولعلك تعرفين أن المعبد حول مسجداً في عهد الفاتح أي في منتصف القرن الخامس عشر، وأنه حول بعد ذلك متحفاً في عهد أتاتورك. ومن مظاهر الإسلام التي تشع في هذا البناء محرابه الدقيق الزخرفة ومنبره الحجري المنقوش وكتابات في دوائر بالأعلى تبرز أسماء محمد وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن والحسين.

وبداخل البناء جزء من عمود أسود يقولون إن مادته تبخر رطوبة الجو، وكان الناس يستغربون لهذه القطعة من الحجر تعرق، فظنوا أن بها شيئاً فتمسحوا بها متبركين وخاصة النساء العقيمات. ومن كثرة ما مست بالأصابع أصبح بها ثقب نافذ، ولازال الناس يتفاءلون بلمسها حتى الآن. وسمعت أحد المرشدين يقول: إن الذين يلمسونها يومياً يبلغ عددهم خمسة آلاف. ومثل هذا الحجر الذي يتفاءل به حوض من الماء في قصر توبكابي نسيت أن أذكره لك يلقي الناس فيه قطعاً من النقود محملة بأمنياتهم فتتحقق.

حميدتي العزيزة،

كانت الساعة قد اقتربت من الثانية حين خرجت من أيا صوفيا فذهبت للغداء، ثم التحقت بكلية الآداب حيث كان لي موعد مع أحد الأساتذة الأتراك. وقضيت وإياه ساعة ونصفا في مذاكرات مختلفة ورجعت إلى بعض المطبوعات كنت متوقفا عليها ثم انصرفت.

وعلمت من مذاكراتي معه أن بالكلية قسماً خاصاً للدراسات العربية به نحو خمسين طالباً، وأن لهذه الدراسات معهداً مستقلاً عن الكلية به عدد من الباحثين المتفرغين ولا تعطى به دروس وإنما هو خاص بالتحقيق والبحث، وله مكتبة ممتازة، ويسمى المعهد الإسلامي، على أن هناك معهداً إسلامياً آخر هو الذي يدرس به الأستاذ ابن تاويت و به عدد أكثر من الطلاب.

أما بعد ذلك، فقد ذهبت لقص شعري عند أحد الحلاقين المتواضعين، ولاحظت أنهم هنا كحلاقي مصر لا يحلقون القفا بالموسى ويستغربون لذلك إذا طلبته.

وبعد الحلاقة، ذهبت إلى الفندق حيث أخذت لوازم الحمام الخارجي، لاسيما وقد ارتحت له في الأسبوع الماضي. وفي طريق عودتي من الحمام اشتريت سندويتشا من الجبن وبعض الخوخ. وقبل أن أحمل القلم لأكتب لك هذه الصفحات نظفت بعض الغسيل.

عزيزتي

لعلي أطلت عليك بهذا الكلام الذي أحس لعجالته أنه غير منسق، وأظنني في حاجة أن أقوم إلى السرير لأستريح بعض الوقت.

وحتى الغد أودعك في قبلات دافئة.

الحمد لله

الجمعة 30-08-1968

الساعة 9 صباحاً

حميدتي العزيزة،

إليك أعذب القبلات تحملها لك نسمات الصباح الرقيقة. اليوم يحتفل الأتراك بعيد الاستقلال، يحيون به ذكرى النصر في الحرب التي خاضوها تحت قيادة مصطفى كمال أتاتورك لتحرير البلاد من قوات الاحتلال الذي استمر من 1918 حتى 1922؛ وهي قوات الدول الكبرى التي أرادت إثر الحرب العالمية أن تقتسم مناطق نفوذ الدولة العثمانية.وكانت هذه قد بدا عليها الإنهاك والانحلال، فلم تكد تواجه حرب البلقان والحرب العظمى حتى لفظت آخر أنفاسها بعد عمر طويل وحافل. وما أن فك حصار إسطنبول وانتصرت قوات الشعب حتى نقل أتاتورك عاصمة الدولة إلى أنقرة سنة 1923، حيث قاد ثورة إصلاحية ترمي في جملتها إلى نبذ القديم وتقليد الغرب في كل شيء، فأعلن الدولة لائكية واتخذ الحروف اللاتينية بدلاً من العربية ومنع اللباس الإسلامي، فضيع على الأمة تراثها الفكري والروحي والحضاري الممتد عبرالزمان، واكتفى ببعض مظاهره معروضة في المتاحف ميتة جامدة. ذلك عيب هذه الثورة التي لم تكن متشبعة بروح قومي منبعث من حضارة الأمة وثقافتها وتراثها عامة. وكل ثورة لا تندفع من هذه المقومات فاشلة أو منتكسة. لم يفشل أتاتورك لأنه كان شخصية قوية مومنة بضرورة الإصلاح، ولكنه انتكس. وهل تعرفين أنه حتى 1950 أي حتى عهد حكومة عدنان مندريس لم يكن يباح طبع الكتب بالعربية ولا الأذان للصلاة بها. أما اللباس فلازال محظوراً حتى اليوم إذ يمنع ارتداء الجبة أو القفطان أو العمامة أو ما إلى ذلك من اللباس الذي كان معروفاً في البلاد من قبل. ولعلي سبق أن ذكرت لك أن الإمام يتخذ العمامة والجبة داخل المسجد فقط، وله لذلك غرفة خاصة. وأستطيع أن أقول إن ما شاهدته من تيار إسلامي قوي سارياً في مختلف أوساط الشعب، وخاصة في طبقة الطلاب والمثقفين، هو رد فعل للنكسة. وقد ذكر لي كثير من الأساتذة الأتراك أنه توجد جمعيات إسلامية قوية منظمـة، وأن بذورها الأولى ترجع إلى عهد أتاتورك حين كانت تعمل في الخفاء. وأكد لي غير واحد أنه إذا استمرت الحكومة الحالية – وهي يمينية – فإنه سيتاح

للحركات الإسلامية دور كبير تكون له آثار بعيدة. ويواجه هذا التيار تيار آخر يساري شيوعي لم يهيأ لي أن أتعرف إليه، وهو منبث كذلك في بعض أوساط طلبة الجامعة. ولهؤلاء وأولئك كامل الحرية في التعبير عن آرائهم؛ وتذكرين أنا كنا نسمع أخبار مظاهرات وإضرابات كان يقوم بها طلاب الجامعة خلال العام المنصرم، بل إني صادفت مرة وبالضبط يوم السبت ثالث غشت تجمعاً ضخماً أمام الجامعة، قيل لي فيما بعد إنهم طلاب الجمعيات الإسلامية كانوا يردون على تجمع سابق للشيوعيين.

ومهما يكن فلكمال قداسة في نفوس الجميع، وما كنت أستطيع أن أعبر لأحد عن رأيي هذا في ثورته.

وإذن فاليوم عيد الاستقلال، ولم أخرج بعد حتى أشاهد مظاهره، وكل ما لاحظت من غرفتي أن هدوء الحركة بالخارج يذكر بأيام الأحد. وبعد قليل سأترك الفندق، وفي نيتي أن أصلي في جامع أيوب؛ وسأحدثك عن ذلك مساء حين أعود، وحتى ذلك الحين أتمنى لك يوماً طيبا وممتعا.

الساعة 6,30 عشية

عزيزتي؛

لا أخفيك أني اندهشت حين سرت في الشارع ولم ألاحظ من مظاهر العيد إلا تعطيل الإدارة والأبناك وتعليق الرايات والأعلام والمصابيح الملونة وخروج الأطفال في أزياء جديدة. أما الدكاكين فمفتوحة والحركة دائبة ولكن في شيء من السكون.

أخذت الحافلة إلى الجامع الذي ذكرت، والطريق إليه طويل، فهو في منطقة أيوب وتقع في أقصى شمال المدينة الغربي عند نهاية خليج "قرن الذهب" ومشرفة عليه. ويطلقون على هذه المنطقة "مدينة الأموات" لكثرة ما بها من مقابر ومدافن تبدو نقوش أحجارها العالية وكتاباتها المختلفة في غاية الدقة والروعة، وكانوا يسمونها من قبل مدينة الزهور والمياه، وأظنها في وضعها الحالي مازالت تحتفظ بشيء من ذلك. وقد كانت المنطقة في الماضي وحتى بداية القرن مركزاً لسكنى الأمراء والكبراء ولكن معظم سكانها اليوم من الفقراء. أما القصور والدور التي كانت للطبقة الأخرى فقد حولت إلى مصانع

ومعامل شعبية صغيرة تعرض آثار صناعاتها التقليدية في كل دكاكين المنطقة، وخاصة منها صناعة الفخـــار.

وعلى الرغم من أني ذهبت مبكراً للمسجد، وقبل الصلاة بنحو ساعتين، فإني لم أجد مكانا "بركبة ونصف" إلا في أحد أجنحة الطابق العلوي من الجامع، لكثرة ازدحام الناس في الداخل والخارج، ونبهت إلى ذلك من قبل. ومن أجل هذا ذهبت مبكراً، ولكني لم أكن أتصور كل هذا الضغط الذي لايماثله إلا تجمع الناس في موسم مولاي إدريس زرهون، والسبب قداسة هذا المكان في النفوس، إذ أن أيوبا ـ على مايزعمون- هو الصحابي أبو أيوب الأنصاري الذي استشهد أثناء الفتح الإسلامي لهذه البلاد. ويقولون إنه بعد أن وصل محمد الفاتح إلى اسطنبول، ألهم أحد أعوانه لمكان القبر فأمر بالحفر فكشف عن تابوت وبقايا الرجل. إذ ذاك أمر الفاتح بتأسيس المسجد، ويعتبر أول مسجد بناه في هذه المدينة. ولكن السلطان سليم الثاني بل الثالث في أول المائة التاسعة بعد الألف أمر بهدمه وتوسيع رقعته حيث أقيم الجامع في شكله الحالي وأقيم بجانبه مدفن ومزار يزدحم الناس للتبرك به وخاصة النساء.

وإلى ازدحام الناس يضاف ازدحام الحمَام بالآلاف، وهي ظاهرة تلاحظ في جميع أفنية المساجد والساحات المجاورة لها حيث يجلس بعض الفقراء وأمامهم كميات من الذرة أو القمح يشتريها الناس ليقدموها لهذه الطيور الأليفة الجميلة.

وذهبت بعد الصلاة مباشرة للغداء في مطعم مجاور للجامع ثم قمت بجولة سريعة في المنطقة، عدت بعدها إلى وسط المدينة، ولكن ليس في الحافلة وإنما في مركب صغير يصل حتى مدخل الخليج عند قنطرة كَـالاطا.

كانت الساعة تشير إلى الثالثة والنصف، ولكني كنت في غاية التعب بسبب هذه الزيارة وبسبب شدة الحر. ففضلت أن أذهب إلى مقهى صغير في ساحة السباق أمام الجامع الأزرق. وهناك شربت الشاي وأنا أتأمل هذه الساحة الرائعة التي لم يعد للسباق فيها غير الاسم، بعد أن كانت تقام فيها على عهد البيزنطيين أنواع من المباريات الرياضية من سباق ومصارعة وألعاب وغيرها.

مسعوفة أنه لهدوء الحركة بالخارج يذكر بأيام الأحد . وبعد قليل سأترك الفندق ، وقد نسيت أنه أصلي في جامع أيوب ، وسأحدثك عن ذلك فيما بعد ، وحتى ذلك الحين أتمنى لك يوما طيبا ومحظا .

الزيارة عشية

و الطابع للمدينة

عزيزتي

لا أخفيك أني انزعجت حينما سرت في الشارع ولم أر أحدا من مظاهر العيد إلا تعطل الإدارة والأسواق وتعليق الرايات والأعلام وهروج الأطفال في أزياء جديدة . أما الأماكن مخصوصة والحركة راكدة وتكاد تخلو من السكان .

أخذت الحافلة إلى الجامع الأزهر ، والطريق إليه طويل ، فهو في ضاحية أيوب وتقع في أقصى شمال المدينة الغربي عند نهاية "قرية الذهب" المشرفة عليه .

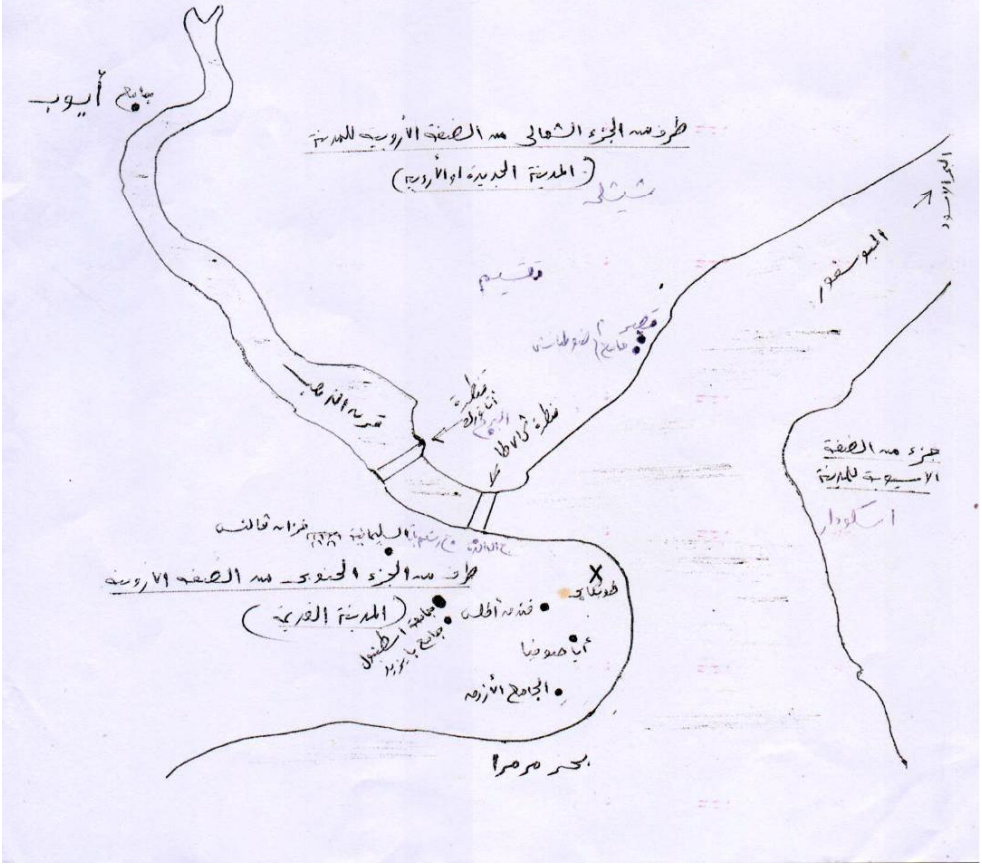

وفي وسط الساحة أقيمت مسلة يطلقون عليها مسلة تيودوس، ويقولون إن حاكم الاسكندرية الروماني كان قد بعثها من معبد الكرنك إلى بيزطة. وهي قائمة على أربع قواعد من النحاس وبها كتابات هيروغليفية، وطولها خمسة وعشرون متراً ونصف،وقريب منها نصب حجري كبير شبيه بالمسلة المصرية، طوله اثنان وثلاثون مترا ، يسمى "عمود قسطنطين الخامس"، نقشت عليه أشعار يونانية، ويقولون إنه كان في الأصل مكسواً بطبقة من النحاس، ولكن الغزاة اللاتين استغلوا هذا النحاس في سك النقود.

وبين المسلتين سارية من النحاس خضراء مظفرة، يزعمون أنها ترمز للانتصار، وأنها كانت ملتفة عليها ثلاثة ثعابين، ولكن سقطت مرة فكسرت رؤوس هذه الثعابين، وهي تضم كتابات يونانية.

ثم قررت أن أعود إلى الفندق. وفي طريق عودتي زرت "المطفية" ويسمونها yerebatansaray، وينزل لها بدرج، وهي كالثلاجة من شدة البرودة، ويقولون إنها في الأصل من بناء قسطنطين، ثم وسعها جوستنيان حين كثرت الحاجة إلى الماء، وظلت خزاناً حتى في عهد العثمانيين، ولكنها الآن معطلة عن العمل – بعد أن استغني عنها- وإن كانت غارقة في الماء بنحو نصف متر. ولها منظر رائع – كما لاشك لاحظت في البطاقة التي بعثت لك – حيث أن بها اثنى عشر صفا من الأعمدة عليها أقواس تُعطي في مجموعها شكل قباب صغيرة، وفي كل صف ثمان وعشرين سارية، ولها من الطول مائة وأربعون متراً ومن العرض سبعون. ونظراً لأن الإضاءة لاتصل إلى كل أجزائها وخاصة منها الداخلية فإن الناظر يحس كأن أعمدتها متصلة إلى مالا نهاية.

وليس هذا هو الخزان التاريخي الوحيد، بل هناك خزان آخر قريب من قنطرة أتاتورك يطلقون عليه AQUEDUCS DE VALENS. ولكنه بارز و ليس باطنياً كالسابق إذ هو عبارة عن قنوات محمولة على أقواس كبيرة الشبه بأقواس قنوات خزان طليطلة، وكلاهما من أثر الرومان.

حميدتـي العزيـزة،

حتـى لا أثقـل عليـك كثيـراً بمثـل هـذا الوصـف الـذي أخشـى –على إيجازه- أن يكـون ممـلاً، أودعك مقبلاً إيـاك والصغيرتين متمنيا لكن ليلة سعيدة.

الحمدلله

السبـــت 31-08-1968

الساعة 3.30 بعد الظهر

زوجتي العزيزة

قد تستغربين لي، أُوجد في الفندق وأكتب لك في هذه الساعة على غير العادة، ولكني اضطررت إلى ذلك تحت تأثير حرارة الشمس القوية وصداع ألم برأسي منذ أمس. فقد عدت إلى الفندق بعد الغداء مباشرة لأستريح، والحمد لله أني نمت بعض الوقت، وها أنا الآن أشرب فنجانا من القهوة طلبته من الفندق، وأحاول أن أحدثك بعض الشيء

عزيزتي

لاحظت أول ما خرجت في الصباح أن مظاهر العيد التي حدثتك عنها أمس ماتزال مستمرة. وذهبت إلى مكتبة السليمانية فوجدتها مغلقة، على الرغم من أنها لا تعرف التعطيل، ولكنه عيد الاستقلال. ويبدو أن اتصال العيد بنهاية الأسبوع جعل العطلة تمتد ثلاثة أيام، وهو ما يطلق عليه الموظفون القنطرة.

وكنت مقررا أن أزور متحف البلدية، ويسمى كذلك متحف المدينة، فذهبت إليه، وبنايته ملتصقة بأقواس قنوات ڤالنس بعد اجتيازها عند اليسار، ولكني فوجئت بأنه مغلق كذلك، مع أن أغلب المتاحف تفتح في أيام العطل وتخفض من أثمان الدخول.

وأهم بناية تلفت النظر في هذه الساحة الكبيرة التي تخترقها شوارع واسعة من فوق ومن تحت ، قصر البلدية في هندسة حديثة، و قد أحيطت به حديقة وأحواض من الماء، وانتشرت هنا وهناك في جنباته تماثيل بعض السباع، منها ما نحت من الحجر ومنها ما صب من المعدن. ويقولون إن هذه الساحة تعتبر من أعظم ساحات المدينة منذ عهد بيزنطة إلى اليوم، وتسمى: SARAÇHANEBAŞI(سراتشانباشي).

وقريبا من هذه الساحة يوجد مسجد يطلق عليه VOLIDE CAMÜ أي جامع الوالدة، وهي السلطانة أم عبد العزيز التي أسسته سنة 1870 والتي أقيم لها مدفن في أحد أركانه. وهو يوحي من الخارج ببعض الشبه أو التقليد للفن الغوطي. أما من الداخل فيشكل مجموعات من الزخارف والنقوش غير معهودة في فن العمارة التركي الخاص بمثل هذه الأماكن.

وفي الواجهة المقابلة للبلدية أقيم مسجد شهزادŞEHZADE، وهو من تأسيس سليمان القانوني الذي أقامه ذكرى لمقتل ولديه محمد وجهانغير اللذين ذهبا ضحية غيرة زوجته روكسلان، ويعتبر فن هذا الجامع فريدا من نوعه لمزجه بين الطراز السلجوقي والتركي والهندي والمصري في نقش دقيق للحجر بلغ غاية الروعة والإبداع؛ ويرجع تاريخه إلى منصف القرن السادس.

وتركت هذه الساحة ونزلت عن طريق دروب منحدرة شعبية إلى ميدان إيمينونو حيث توجد قنطرة كَالاطا. وتكثر في هذه الدروب وأمثالها منازل خشبية قديمة هي في الغالب من طابق أو اثنين وقد تصل إلى ثلاثة وأربعة.

نزلت إلى هذا الميدان خصيصا لزيارة مسجد رستم باشا، نسبة إلى كبير وزراء سليمان القانوني.وهو في زقاق تجاري ضيق في الجانب المقابل للقنطرة، يصعد له بدرج من ثلاثة أبواب، لأنه مرفوع على متاجر ودكاكين. وعلى الرغم من أنه صغير فإنه يأخذ الناظر سواء في الداخل أو الخارج، بزليجه الرائع الألوان البديع الرسم واللمعان، وخاصة قطعه التي تغطي المحراب والأجنحة العلوية. ومن عجيب أن بالواجهة الخارجية عند يمين المدخل الرسمي وشماله محرابين من الحجر المنقوش يلفتان النظر وسط الزليج. ويقولون إن معظم الزليج الذي يشاهد في مثل هذه المباني وغيرها من متاحف الآثار صنع في معامل مدينة إيزنيك الشهيرة بهذه الصناعة.

وعند الخروج من الجامع للطريق العام ينتبه الزائر لوجود سوق أو ما يسمى بالبزار المصري MISIRÇARŞISI، وهو مسقف ويباع به كل شيء ولاسيما التوابل، ولعله كان في الأصل لبيع الأبازير والأعشاب وغيرها من الأشياء التي تتخذ للتداوي في الطب الشعبي.

ويذكرون من ذلك لسان الحمار وشعر الفار اليتيم وقميص الثعبان وغير ذلك. وهو من تأسيس السلطانة خديجة أم السلطان محمد الرابع، ويقولون إنه أقيم على أنقاض مجموعة من المتاجر مسقفة ترجع إلى عهد الفينيقيين. وقد جعلته السلطانه وقفا على جامع أسسته إلى جانبه سبق أن صليت فيه، ويسمى الجامع الجديد YENICAMÜR أو جامع الوالدة VALIDECAMÜ.

واغتنمت اقتراب وقت الظهر فتوضأت بأحد أحواضه ودخلت. وقد أسس هذا الجامع على عهدين، بدأت إنشاءه سنة 1597 صفية زوجة السلطان مراد الثالث وأم محمود الثالث، وأتممته سنة 1663 ترخان والدة السلطان محمد الرابع. وهو ضخم البناء ذو شكل مستطيل، ومكسو بزليج في رسوم دقيقة مختلفة يغلب عليها اللون الأزرق. أما جناح السلطان في الطابق الأعلى - وللسلاطين أجنحة خاصة في كل المساجد- فيبهر بجمال ألوان زليجه وزجاج نوافذه.

ولست أدري إذا كنت أخبرتك من قبل عن شمعتي المحراب اللتين لا يخلو منهما أي جامع، وكان يهيأ لي قبل أن ألمسهما أنهما عمودان من الرخام الأصفر لضخامتهما وطولهما، فهما في الغالب من مترين ونصف أو ثلاثة أمتار، وقطرهما حوالي أربعين سنتيمترا، وهما مرفوعتان على حسكة من النحاس ضخمة وقصيرة، تساعد في تثبيتهما مخاطف تمسك بالحائط، ومكانهما في جانبي المحراب. وغالبا ما تكتب عليهما بعض الآيات، ويوضع على رأسهما مصباح للكهرباء مكتوب كذلك.

وكثيرا ما يكون إلى جانبهما شمعتان على نفس الهيئة والشكل، ولكن في حجم صغير. والعادة أن توجد قريبا من هذه الشمعات خزائن صغيرة بها بعض المصاحف يقرأ فيها من شاء من الناس قبل الصلاة. كما توجد معالق خشبية بها سبحات يستعملها الناس في ورد خلال الدعاء عند انتهاء الصلاة. وكثيرا ما تجد عند بعض المصلين أكثر من سبحة في جيبه يعطيها لمن يجلس بجواره أو خلفه. والغالب أن يحتفظ الناس بالسبحة في كيس من القماش أو النيلون. ويحتفظون في نفس الكيس بالطاقية التي يضعونها على رأسهم عند الدخول للجامع، وهي في العادة من قماش أسود أو أبيض أو أخضر أو بني، وقد تكون من القطيفة السوداء أو

الخضراء. ولكن ليس كل الناس يتخذ هذه الطاقية وإنما معظمهم. أما الذين يلبسون القبعات فيخلعونها عند الدخول للمسجد. ومن ألطف الأشياء أنه كثيرا ما يقدم لي جاري في الجامع بعض الطيب من قارورة صغيرة أو من اسفنجة مبتلة بالعطر محفوظة في علبة. وكل هذه الأشياء من طواقي وسبحات ومصاحف وعطور تباع عند مداخل جميع المساجد.

وقد نبهني إلى هذه الملاحظات الصغيرة أن إحدى شمعتي محراب هذا الجامع مائلة يكاد جزءها الأعلى يقع.

ولاحظت قبل الصلاة ظاهرة لم يسبق لي أن لاحظتها على كثرة ما صليت الأوقات المختلفة وفي أكثر من مسجد، ذلك أن الإمام حضر قبل الوقت بحوالي ربع ساعة وواجه الناس في المحراب ورتل حزبا كاملا من سورة البقرة بعد أن أعطى أحد الجالسين أمامه مصحفا ليرشده عند الخطأ أو التوقف، وقد احتاج لذلك أربع مرات. والعادة –كما سبق أن لاحظت- أن الإمام يجود آيات قليلة إثر انتهاء الصلاة، وقد فعل إمامنا ذلك.

كانت الساعة الواحدة حين تركت الجامع فذهبت للغداء ثم إلى الفندق حيث استرحت بعض الشيء. أما الآن وبعد أن أحسست الجو يتلطف قليلا فسأخرج، وقد ألتقي بك في المساء.

الساعة الثامنة 8 مساء.

عزيزتي حميدة.

رحمة برجلي من المشي لم أبعد كثيرا عن الفندق وقنعت بالجلوس في كرسي خشبي بميدان صغير، أتأمل وأتفكر وأجتر مرارة الفراق والبعاد عنك وعن فلذتي الكبد علا وألوف. وأخرجت من محفظتي تلك الصور اللطيفة التي أرسلت لي وأخذت أنظر إليها وأقلبها؛ واستعذبت كثيرا تلك الصورة التي بدت فيها ألوف معانقة أختها بيدها اليسرى ومستفسرة بيمناها كأنك كنت تطلبين منها شيئا لم تفهمه. وفي نظرة كل منهما بعد وذكاء وإمعان وتوثب، أرجو الله أن يوفقنا إلى تربيتهما في طهر وصلاح وعلم ودين.

وطال بي التأمل والتفكر والاجترار واستعرضت في مخيلتي شريط سنوات طويلة منذ تسعة وخمسين عشناها في حب صادق كبير عفيف وقوي، حب ألحمنا رباطه المقدس فأينع وأثمر خلال هذه السنوات وعلى بركة الله، فلم يزد إلا صدقا وكبرا وعفة وقوة.

ما أعذب ذكريات هذا الحب الجميل تداعب الخاطر وتحرك الإحساس في رفق ورقة ودبيب كالخُمار يسري لطيفا حلوا في الذهن والجسم فيسكن هذا ويسكر ذاك، ولكن سرعان ما تهتز الأسلاك بقوة فأفيق لأجد نفسي في ظلام دامس مرعب، وألتفت حولي وأتحسس علي أجدك فلا ألقى غير الفراغ يأخذني في دوامة عنيفة.

حميدتي

إني أفتقدك في هذه الحلكة المزعجة بدرا تضيئين لي مسالك الحياة ودروبها الوعرة، أفتقدك حبيبة تغذين قلبي بحبك العظيم، وأفتقدك زوجا وفية مخلصة أسكن إليك في مودة ورحمة،وأفتقدك حنونا حانية وعطوفا مشفقة وصبورا ثابتة، وأفتقدك ساعدا أيمن لا ينقطع عونك ولا يفتر استعدادك، وأفتقدك جليسة وديعة ذكية خفيفة الظل عذبة الحديث حلوة النكتة، وأفتقدك أما للصغار تلاعبين وتداعبين وتربين وتعلمين، وأفتقدك ربة بيت حازمة عازمة تديرين وتدبرين... أفتقدك في كل شيء بل أفتقد فيك الحياة والوجود...

ولم أحس إلا وعيناي تفيضان، فنهضت من المكان وأخذت طريقي لأتناول بعض الأكل قبل العودة إلى الفندق.

عزيزتي

أكتفي بهذا القدر من السطور أكتبها لك إلى أن ألتقي بك غدا إن شاء الله. وقبل أن أودعك أقترب منك لأضمك إلي في اعتناق رفيق وقبلات عذبة دافئة.

الأحد 01-09-1968 الساعة الثامنة مساء

حميدتي العزيزة

طابت أوقاتك

ذهبت صباح اليوم، على الساعة التاسعة والنصف، لعيادة الدكتور إحسان عباس[509] الذي أصيب –بسبب تقلبات الجو- بنزلة صدرية ألزمته الفراش طوال الأسبوع. وهو يسكن في بنسيون بالمدينة الجديدة، قريبا من ميدان تقسيم. وفي طريقي إليه بالحافلة، وبعد اجتياز قنوات فالنس، لاحظت أن متحف المدينة مفتوح، فقررت لدى العودة أن أتوقف عنده.

والحق أني قضيت وقتا ممتعا مع الدكتور إحسان الذي أبى –وفي إصرار- إلا أن يدعوني للغداء ؛ فذهبنا إلى مطعم بشارع الاستقلال، وهو من أرقى وأعظم شوارع هذه المنطقة.

وبعد أن افترقنا في حوالي الساعة الثالثة ركبت الحافلة للمتحف. ويقولون إنه كان في السابق مدرسة أسسها غضنفر أغا أحد خدام حريم السلطان سليم الثاني وله مدفن قريب.

ويضم المتحف تحفا وآثارا مختلفة معروضة في غرف وممرات. وعند بدء الزيارة من الغرف الشمالية نلاحظ عددا من الصور والمناظر والرسوم تمثل مدينة إسطنبول القديمة. وفي غرفة ثانية عرضت بعض التصاميم والنماذج التشكيلية المصغرة، وفي ثالثة تبرز لوحة السلطان الفاتح كما رسمها بليني BELLINI، وبعدها نجد ظهائر ومراسيم تشريعية ثم مجموعة من ملابس الدراويش (فقراء الطوائف) مع بعض ملحقاتها من طواق وعصي.

وفي الغرف الوسطى عرضت مجموعة ضخمة من أواني الخزف والكريستال وغيره من أنواع الزجاج الملون وغير الملون، مصنوعة في تركيا وخاصة في إسطنبول وبِيكُوز، وهي في غاية الإتقان والجمال، ولعلها لا تقل روعة عن مثيلاتها المعروضة في طوبكابي.

أما في الغرف اليمينية فنلاحظ مجموعة رائعة من السبح والخطوط وأدوات الكتابة – مصنوعة في أغلبها من الصدف والعاج- وأنواع الكاغد ونماذج من التجليد والتذهيب ومجموعة من الأختام والأوسمة وبعض قطع النقود. ومن المصادفة أني وجدت في هذه العملة –على قلتها- حوالي عشر قطع شبيهة بتلك التي سبق أن حدثتك عنها في متحف بورصة. ونلاحظ كذلك في هذه الغرف بعض مستلزمات القهوة والتدخين وبعض آلات الختان وطب الأسنان وغير قليل من الأدوات الخاصة بصناعات مختلفة.

ومن أروع هذه الغرف تلك التي خصصت للأراجوز؛ وهو فن صيني في الأصل حمله من الصين فنانون أتراك في عهد قديم. وهم يفتخرون بذلك بل يفخرون على اليونان الذين يريدون أن ينسبوا لهم هذا الفن، ولكنهم –على زعم الأتراك- لم يستطيعوا حتى التخلص من تسميته التركية. وقد عرضت في الغرفة مجموعة من العرائس ولعب الظل في إطار خاص. ومن الشخصيات التقليدية في هذا الفن: الغني والتاجر والسكير والمتسكع واليهودي، وهي وغيرها مرتبطة بواقع المجتمع التركي والاسطنبولي خاصة. وإلى جانب صندوق العرائس المعروف عرض في داخل الغرفة مسرح صغير مغطى بشاشة بيضاء من القماش، خلفها نماذج من هذه الشخصيات يلقى عليها الضوء فتسير لتقدم من خلال ظلال متحركة مسرحياتها المضحكة والمليئة في نفس الوقت بالنقد والحكمة والفلسفة. وكان الضوء الذي يلقى على هذه العرائس من الشموع، أما النموذج المعروض فمضاء بالكهرباء ولا يعمل وإنما صورت لك كيفية عمله كما تخيلتها وكما تتم في الواقع.

وحين نترك الغرف للممرات نجد صورا للملابس العسكرية القديمة، وكانت في الأصل محلاة بألوان من الطرز ولكنها تبدو الآن باهتة. كما نجد نماذج من السيوف ومجموعة من الأحذية والآلات الموسيقية الشرقية وبعض الأشياء الأخرى الصغيرة. ويعتبرون من أهم معروضات هذا المتحف أول "بيانو" دخل المدينة سنة 1827، وهو موضوع قرب الباب.

وتركت المتحف لأعود إلى الفندق مارا بالسليمانية فالجامعة فبايزيد فنورو عثمانية، وهو طريق لا يمر بي يوم دون أعبره مرة أو مرات. وأود وأنا أودع هذه الأماكن التي غدت

أليفة لدي أن أخلد ذكرها في هذه الصفحات التذكارية لاسيما وأنها جزء مهم وعظيم من تاريخ هذه المدينة وآثارها.

وكما يبدو واضحا من اسم جامع السليمانية، فإنه من تأسيس السلطان سليمان القانوني في منتصف القرن السادس عشر، وليس فيه ما يلفت النظر إذا قورن بالمساجد الأخرى سوى ضخامته وروعة نقوشه ورده القوى للأصداء. وقد صليت فيه ثاني جمعة لي في إسطنبول. وبجانب الجامع مدافن للسلطان وزوجه "روكسلان" وبعض الأمراء. ويمتاز مزار السلطانة على صغره بروعة الزليج الذي يغطيه رسوماً وألواناً.

وتوجد خارج المسجد ملحقات به ذات نفع عام تتمثل في مدرستين ومستشفيات، وقد أعيد بناء أحد هذه المستشفيات، وهو اليوم خاص بالولادة وأمراض النساء، أما المدرستان فقد حولتا إلى مكتبة هي التي كنت أذهب إليها طوال أيام كثيرة، وقد جمعت فيها مخطوطات حوالي ثمانين خزانة على ما سجلت في مذكرتي الخاصة بذلك ،وبجانب المسجد أقيم متحف الفن الإسلامي أو الآثار الإسلامية، وقد سبق أن ذكرته.

ونلتقي بعد جامع السليمانية وملحقاته بالجامعة ISTANBÜLÜNIVERSITESI وهي مؤسسة سنة 1845، على عهد عبد المجيد الأول الذي حاول كثيرا من الإصلاح. وكانت تسمى أول الأمر بدار الفنون. وكان الطلبة يلتحقون بها بعد أن يتخرجوا من المدارس التي كان يغلب عليها طابع علوم الدين. ولم تحمل اسم الجامعة إلا في بداية عهد أتاتورك أي سنة 1923. وهي تضم في هذا المبنى الفسيح إلى جانب عدد من المدرجات وقاعات المحاضرات والمكتبات، كليات الآداب والحقوق والاقتصاد والصيدلة والعلوم الفيزيائية والطبيعية والكيميائية. وتضم هذه الأخيرة مجموعة من المختبرات وقاعات البحث. أما الكليات الأخرى فموزعة خارج المبنى. كذلك توجد في إسطنبول جامعة أخرى حديثة خاصة بالدراسات التقنية يطلق عليها الجامعة التقنية، وهي في الجانب الحديث من الضفة الأوروبية قريبا من ميدان تقسيم سابق الذكر، ويقولون إن عدد طلبة جامعة إسطنبول يفوق عشرة آلاف، ويقولون كذلك إن عدد الطلاب الأجانب كثير في الجامعة التقنية وخاصة في فروع الكهرباء والهندسة المعمارية والميكانيكية والكيميائية.

وإلى جانب هاتين الجامعتين توجد في إسطنبول أكاديمية رسمية للعلوم الاقتصادية والتجارية وخمس مدارس عليا للتجارة والكيمياء والتقنية والاقتصاد والهندسة الكيميائية. وفي مدن تركية أخرى توجد جامعات أهمها في أنقرة وإيزمير و أيرزور ونوطْرابْزون، والأسف شديد أني لن أتمكن من زيارة هذه المدن وبالتالي ما بها من جامعات.

ويلفت الانتباه في وسط ساحة الجامعة نصب تذكاري يبرز الشبيبة التركية ممثلة في فتى يحمل العلم وفتاة بيدها غصن وخلفهما أتاتورك مشيرا بيده اليسرى إلى الأمام.

وفي وسط حديقة الجامعة الكبيرة أقيم برج بايزيد، وقد أنشئ في القرن الماضي لمراقبة الحرائق، وهو عال حيث توصل إلى أعلاه درج تبلغ مائة وتسعة وسبعين لم أجرب صعودها.

وللجامعة بعد هذا باب عظيم كبير الشبه بأبواب مشور الرباط ولكنه أضخم وأكثر زخرفة ونقشا، وقد كتبت بالذهب على يمين واجهته وشمالها آيات من "إنا فتحنا". أما وسطها فكتب عليه اسم الجامعة القديم، وفي أعلاها كتب الاسم الحديث بالحروف اللاتينية.

ويواجهنا عند الخروج من الجامعة ميدان فسيح أقيم فيه جامع بايزيد نسبة إلى ابن الفاتح، وهو نموذج لفن العمارة العثماني المتأثر بالطابع السلجوقي، وتغلب عليه البساطة من الداخل سواء في التصميم أو الزخرفة، وقد صليت فيه أولى جمعة لي بالمدينة.

ويعتبر مقهى بايزيد الملتصق بالجامع، وفي الهواء الطلق تحت شجرة عظيمة، ملتقى الأساتذة والباحثين، وغالبا ما أشرب فيه شاي الصباح.

كما تعتبر مكتبة بايزيد الواقعة أمام الجامع من أغنى مكتبات إسطنبول.

وخلف الجامع سوق الكتب حيث عدد هائل من المكتبات مجمعة وبعض باعة الكتب القديمة يعرضون ا بضاعتهم في الأرض أو على موائد أو عند سور الجامع على شكل باعة (عتبة) القاهرة (سور الأزبكية) أو أرصفة باريز.

ويوجد خلف هذا السوق "البزار الكبير" وهو عبارة عن مدينة كاملة مسقفه تخترقها شوارع ودروب وأزقة وتملأها المتاجر والدكاكين، وتزدحم بالسواح من مختلف الألوان والأجناس. ويقولون إنه أعظم بزار في العالم، وهو مؤسس في منتصف القرن الخامس عشر على عهد الفاتح، وأضيفت إليه جوانب أخرى في ظل سليمان القانوني ومحمد الرابع ومصطفى الثاني. وقد تعرض لبعض الكوارث كانت آخرها سنة 1954 حين التهمه حريق عنيف ولكنه أصلح ورمم،وهو يبهر بأقواسه وقبابه وبكثرة أضواء الدكاكين وخاصة دكاكين التحف والحلي. ويقفل كل يوم ابتداء من السابعة مساء. ورغم الغلاء فقد اشتريت سجادتين من المبلغ المخصص لإقامتي في مصر.

وفي طريقي إلى الفندق، وقد اقتربت بعد اجتياز البزار، أمر بجامع نورو عثمانية NURUSSMANIYE تظلله أشجار باسقة، ويقع عالياً حيث الصعود إليه بعدد من الدرج، وهو في هندسته وشكل أقواسه وقبابه ونوافذه يميل إلى الفن الأوروبي، وقد بدأ تأسيسه السلطان محمود الأول سنة 1748 وأنهاه عثمان الثالث الذي افتتحه سنة 1755.

وفي داخل الساحة المحيطة بالجامع توجد مكتبة نورو عثمانية، وقد سبق أن قضيت فيها بعض الوقت، كما توجد في جانب آخر من هذه الساحة دار الإفتاء.

ولهذا الجامع في ذهني ذكرى لا أنساها لأنه أول جامع صليت فيه، ولفت انتباهي أول يوم مررت به، أي في صباح آخر شهر يوليوز، ستار جلدي يغطي بابه، وتبين لي فيما بعد أن هذا الستار –وهو سميك وثقيل لضمه عدة طبقات من الجلد-لا يرفع إلا في أوقات الصلاة حين يكثر الداخلون، أما في غيرها فيسدل ولكن دون أن يمنع دخول المصلين أو السواح. وغالبا ما يكون لونه أخضر أو بنيا ومزوقا بقطع جلدية من لون آخر، وغالباً كذلك ما تكتب عليه آيات كريمة تخط تحتها دائما هذه العبارة "نويت الاعتكاف"، وكأن إسداله إيذان بذلك.

أما بعد هذ ا الجامع فلا تبقى للفندق إلا خطوات

حميدتي

قلت إني بعد أن تركت المتحف عدت إلى الفندق، ولكني في الحقيقة لم أعد إليه مباشرة لأني فوجئت خلال الطريق بالجو ينقلب مكفهرا والريح تهب شديدة والتراب يعصف قويا والمطر ينزل متهاطلا فالتجأت إلى أقرب مكان، وهو مقهى شعبي يخنقه دخان النرجيلة (الشيشة) ويزدحم فيه لاعبو الورق والطاولة والدومينو وغير هذه وتلك من الألعاب. ولم أجد لي مكانا فاكتفيت بكرسي إلى جانب جماعة من اللاعبين أتفرج على حركاتهم وحيلهم وضحكاتهم الصاخبة. ومر وقت طويل قبل أن يخف المطر.

وتاقت نفسي للصلاة في الجامع الأزرق –وكان قد اقترب وقت المغرب-فمشيت إليه على بعد المسافة. وفي طريق الرجوع عاد المطر إلى النزول فأسرعت الخطى إلى الفندق مبتلا بعد أن تناولت خبزا بجبن ولبن حامض يطلقون عليه أريان بل أيران.

وهكذا عزيزتي ودعت يوما آخر من أيام الغربة، وبعد غد في مثل هذا الوقت إن شاء الله ستبدأ منها مرحلة جديدة أرجو أن تكون مثمرة ومظفرة. أما صباح الغد فسأذهب إلى مندوبية وزارة التعليم حيث المقرر أن أقبض الطرف الثاني من المنحة، ولعلي سأجري إثر ذلك آخر الاستعدادات للسفر، ولعلي-رغم ضيق الوقت الباقي-لن أتأخر عن الالتقاء بك على هذه الصفحات ، وأنا الآن مضطر للتوقف لأن القلم الناشف جف، فلجأت إلى قلم الحبر وكان قد جف من قبل فغمسته في الماء فتحرك فاترا كما ترين.

فإلى غد إن شاء الله أودعك متمنيا أن تكوني قد قضيت والصغيرتين يوما ممتعا في أحضان الأسرة الكريمة. فلأفرادها مني ألف تحية وسلام ولك أنت والصغيرتين ألف قبلة وقبلة.

الحمدلله

الإثنين 2-9-1968 الساعة 9 مساء

حميدتي العزيزة

ليس لي ما أكتب لك اليوم سوى أني أمضيته جريا ولهثا من مكتب لآخر ومن إدارة لأخرى دون أن أستوفي الإجراءات اللازمة لقبض الطرف الباقي من المنحة والتي آمل أن أنتهي منها صباح غد.

وما كان للإجراءات أن تطول وتتعقد لولا سببان، أو لهما خلط وقع في الأوراق –على ما فهمت-خلف مشكلا صعب على الموظفين حله، وثانيهما تغيب مندوب الوزارة في إجازته السنوية، وكان يسهل لي جميع المصاعب إلى حد يأمر لي سيارة المندوبية تنقلني حين يكون الأمر متعلقا بإدارة أخرى.

والحق أني قضيت يوما في غاية التعب لم يخفف منه إلا بعض الوقت أمضيته مع الدكتور إحسان والدكتور يوسف نجم[510] والأستاذ ابن تاويت بعد الخامسة ، فكانت جلسة أدبية ممتعة تخللتها نكت وطرائف .

وأظنني الآن في حاجة إلى أن أقوم لترتيب الحقائب وتنظيمها حتى أعادل الثقل. ولست أدري إذا كنت سأتمكن من لقائك غداً، وإن كنت أرجو ذلك خاصة وأني قررت ألا أبعث هذه الرسالة إلا مسجلة من القاهرة.

مع قبلات كثيرة

---

[510]- **محمد يوسف نجم** (1925 - 2009م) اديب وناقد ومترجم ولد في فلسطين سنة 1925 ، وتوفي بعيداً عن وطنه في 5 - 3 - 2009. كان واسع الثقافة متعدد الجوانب ، تعمّق في القديم كما أفادمن الثقافات الوافدة على الفكر العربي. حاصل على الماجستير والدكتوراه في مصر ، واختار لرسالته موضوعاً عن المسرحية في الأدب العربي الحديث ، تحت إشراف الدكتورشوقي ضيف ، وعاد إلى الجامعة الأمريكية ببيروت في لبنان محاضراً في الأدب العربي. ترك من المصنفات ما يربو على الثلاثين مصنّفاً ، ومنها : 1 - القصة في الأدب العربي الحديث 1870 - 1914 ، القاهرة ,1952 - ديوان دعبل بن علي الخزاعي ، تحقيق ، بيروت ,1962-رسائل الصابئ والشريف الرضي ، تحقيق ، الكويت ,1960- مسرحيات مارون النقاش ، تحقيق ، بيروت ,1961- المسرحية في الأدب العربي الحديث. جزءان ـ مناهج النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق ، تأليف: دافيدديتشيس ، ترجمة ، بيروت ,1966وغيرها ، عن موقع دائرة المعارف الفلسطينية ، موسوعة الأعلام ، زياد أبو لبن 2009 .https://ency.najah.edu/node/155 (بتصرف).

الحمدلله

الثلاثاء 3-9-1968

الساعة الرابعة بعد الظهر

حميدتي العزيزة

كما أخبرتك أمس فقد أتممت صباح اليوم بقية إجراءات القبض وكانت آخر مرحلة في إدارة المحاسبات (أُوكُولار) بمنطقة شيشيلي ثم في البنك الزراعي. وما إن انتهيت من هذا المشكل حتى أسرعت إلى السليمانية حيث استلمت الميكروفيلم، وكان في نيتي أن أزور قصر ضولمباتشيDOLMABALÇEولكني حين ذهبت بعد الغداء وجدته لا يفتح يومي الثلاثاء والإثنين، واكتفيت بالبقاء مندهشا أمام بابه الرخامي المخروم في كثير من الدقة والروعة. ويقولون إنه يضم ألوانا عجيبة من التحف والنفائس. ومعنى (ضولمباتشي) الحديقة المملوءة، وأصل التسمية مرتبط بما كان عليه المكان قبل أن يقام فيه القصر إذ لم يكن غير مستنقع بجانب البوسفور، ولكنه مُليء وغُطي على عهد أحمد الأول. أما القصر في بنائه القائم الآن فمن تأسيس السلطان عبد المجيد في منتصف القرن الماضي. وكان يريد أن يقلد أروبا في حياتها المتحضرة فأقام التمثيل والسهرات الراقصة وبنى هذا القصر، وهذه أشياء كلفته إسرافا اضطره إلى الديون وفرض الضرائب. ويبدو أن القصر كان بداية عهد شؤم بالنسبة لهذه الدولة إذ يحدثنا التاريخ أن أغلب السلاطين الذين توالوا بعد عبد المجيد خلعوا. فابنه عبد العزيز خلع وكذلك خلفه مراد الخامس بعد شهور معدودة من تنصيبه. وعلى الرغم من أن أخاه عبد الحميد كان متشائما من القصر وبنى غيره، فقد كانت نهايته الخلع بعد ست وثلاثين سنة من الحكم المطلق المستبد. وخلفه أخوه محمد رشاد فلم يستطع مواجهة أزمة الحرب لمرضه وكبر سنه فمات. أما أخوه محمد السادس ففتح الباب لقوات الاحتلال، ولكن بوادر الثورة القادمة من الأناضول كانت تخيفه فهاجر من البلاد. وكان آخر السلاطين، وهو عبد المجيد، أضعف من أن يواجه الثورة الوطنية، فما كاد يدخل القصر حتى خرج منه إلى المنفى. أما في عهد الثورة فقد اتخذ القصر للمؤتمرات. وبجانب القصر جامع في غاية الروعة والجمال بقطع الرخام التي تزين جدرانه وبنوافذه وشكلها وزجاجها، وهو على

صغره تحفة نادرة. وليس هذا هو الجامع الوحيد الذي يشرف على البوسفور وإنما يوجد جامعان آخران وربما ثلاثة.

وإذا كان فاتني أن أزور القصر فلم يفتني برج كَالاطا وهو واقع بين القنطرتين في الجزء الأروبي من المدينة. وهو عبارة عن صومعة ليست بالطويلة وإن كانت مشرفة على الخليج والمدينة، وبها طابقان مفتوحان بشبابيك في أعلى. ثم هي تنسل من فوق مرفوعة على شكل منار ويقال إنها رومانية وأن تأسيسها كان في القرن السادس، ويقال كذلك إنها أقيمت في القرن الثالث عشر على يد الوافدين من البندقية بعد أن استقروا في هذه المنطقة وسوروها. ويقال بعد هذا إنها من إنشاء محمد الفاتح، ولكن المؤكد أن سليما فاتح مصر في القرن السادس عشر أجرى بها عدة ترميمات وإصلاحات. ومن ألطف ما يرتبط بهذا البرج أن أحد المجربين حاول بواسطة جناحي نسر أن يطير من أعلاه، ونجح وسط إعجاب الناس في أن يصل حتى الضفة الأسيوية في أسكودار، وكان ذلك في القرن السابع عشر في عهد مراد الرابع. وفي السنة الماضية فقط جهز البرج بمصعد ومطعم ومقهى وملهى ليلي.

حميدتي، الساعة الآن الرابعة والنصف وأنا مضطر أن آخذ سيارة أجرة إلى مركز الشركة في تقسيم حيث ستأخذنا حافلتها إلى المطار في الخامسة. وسألقاك فيما بعد بإذن الله على متن الطائرة.

الساعة 8و30 مساء

عزيزتي

مرت ساعة ونصف منذ أن أقلعت الطائرة من مطار إسطنبول، كلها في غاية المتعة والراحة . وسوف لا يمضي أكثر من ربع ساعة قبل أن تنزل في القاهرة. والذي أريد أن أخبرك به هو المعاملة السيئة التي تعامل بها هذه الشركة (ك.ل.م) الهولندية ركابها. ولكي تدركي إلى أي مدى بلغت هذه المعاملة في السوء تصوري أن كل المحمولات من حقائب اليد وكتب وغيرها توزن وتدخل في الوزن المحدد. ولن تستغربي إذا علمت أني طولبت بواحد وعشرين كيلو، إذ حقيبة اليد وحدها تزن ثلثي هذا العدد، مع أني أخفيت مجموعة من الكتب

كانت في يدي لو وزنوها لوصل العدد إلى ثلاثين. وبعد أخذ ورد خفض هذا الوزن إلى ثمانية عشرة أي إلى أربعة وعشرين دولارا. والحقيقة أن الدولارات التي أخذت معي تقلصت إلى الثلث تقريبا خصوصا وقد دفعت منها ثمن التذكرة.

حميدتي

بدأت الطائرة تنزل، وبعد دقائق أي في الثامنة وأربعين دقيقة ستحط في المطار، أودعك الآن ولي معك لقاء آخر بعد أن أصل إلى القاهرة.

الساعة11 ليلا

عزيزتي

باستثناء احتجاز الجواز لمدة ربع ساعة مع بعض الأسئلة، لم أجد أية صعوبة، بل على العكس من ذلك وجدت كثيرا من الترحاب وخاصة من الجمركي الذي لم يسال حتى ذلك السؤال التقليدي عما تحويه الحقائب. ولم أجد حافلة فأخذت سيارة أجرة مناصفة مع أحد العراقيين. والواقع أني حرت أين أنزل وأخيرا قررت مؤقتا أن أقيم في فندق (مِنيرفا) القريب من (بامبو)، وسأبحث ابتداء من صباح غد إن شاء الله بعد أن أوجه لك هذه الرسالة، عن مكان مناسب للإقامة والعمل. ونظرا لأني تناولت شيئا من العشاء البارد الذي قدم في الطائرة، فقد اكتفيت بزبادي اشتريته من بامبو، وبعد أن سرت خطوات حتى صاحب العصير الملتحي بشارع سليمان دون أن ألاحظ أي جديد في المنطقة.

حميدتي العزيزة

حتى هنا أنهي هذه الصفحات التي سجلت فيها كثيرا مما اتصل بالفترة الأخيرة من رحلتي إلى إسطنبول، وأخشى أن تجديها مملة بما حوته من وصف واستعراض، وأن تقولي بعد قراءتها، وماذا تفيدني هذه الأشياء؟ ولكن أرجوك أن تقرئيها بتمعن وهدوء. محاولة تصور تلك الأماكن في لحظة زيارتي لها، لأني قصدت من هذه الصفحات ليس فقط أن أسجل مذكرات وإنما أن أصحبك معي في زيارة تلك المعالم، كما قصدت أن أطلعك على جميع تحركاتي سواء منها ما كان مفيدا أو غير مفيد.

ومع ذلك فأملي كبير أن يكون لهذه الرسائل رد فعل يجعلني لا أندم على أني قضيت بعض الوقت في تحريرها، وعلى أني أخذت من وقتك في قراءتها، فعسى أن تسري ببعض صفحاتها.

ولا أريد منك أن تستقلي بقراءتها بل أريد أن تطلعي عليها كل من يهمه معرفة ما حوته، وما أظن بها شيئا أحتاج إلى إخفائه عن الآخرين حتى حين أخصك بالحديث. ومع ذلك فإذا ارتأيت ألا تقرئيها الآخرين فأطلعيهم على ما ترينه خاليا من كل غبار.

عزيزتي

في كل ليلة كنت أضمك إلي وأقبلك، ولكني في هذه لا أريد أن أتركك، وأتمنى لو بقيت إلى جانبي أحدثك دون انقطاع أو افتراق. وأملي أن تتاح لي ولك هذه الفرصة باستمرار.

وقبل أن أودعك في اعتناق طويل وقبلات لا تنقطع لك وللصغيرتين مع سلام صادق وشوق عميق لجميع أفراد الأسرة الكبيرة، أجدد دعائي إلى الله -وقد دخلت مرحلة الجد-أن يرزق العافية وينمي النشاط وأن يخفف من لوعة الفراق ويقوي الصبر وأن يقرب الهدف ويحقق الأمل وأن يسهل المصاعب ويقرب الأبعاد وأن ينير المسالك ويهدي أقوم السبل إنه سميع مجيب.

زوجك المخلص عباس

الملاحق

الملحق رقم :1

دليل مكتبات إسطنبول وبورصة

مكتبات إسطنبول

1- المكتبة السليمانية..... 209
2- مكتبة جامعة إسطنبول.....222
3- مكتبة كوبريلي.....226
4- مكتبة ولي الدين أفندي 228
5- مكتبة نورو عثمانية 229
6- مكتبة راغب باشا 231
7- مكتبة عاطف أفندي 232
8- مكتبة الحاج سليم أغا 233
9- مكتبة داما زادة قاضي عسكر محمد مراد.....235
10- مكتبة يازما بَغِثْلار.....236
11- مكتبة يابانادلز.....236
12- مكتبة بسما بَغِثْلار.....236
13- مكتبة بايازيد.....237
14- مكتبة قصر توبكابي.....238
15- مكتبة بلدية إسطنبول 240
16- مكتبة ملـت 242
17- مكتبة مراد مُلاّ 244
18- مكتبة المعهد التركي 245
19- مكتبة شمس باشا 245
20- مكتبة متحف الآثار 245

مكتبات بورصة

1- مكتبة أورخان.....246
2- مكتبة خراجي أوغلو.....246
3- مكتبة حسين شلبي 247
4- مكتبة قورشو نولو.....248
5- مكتبة الجامع الكبير 248
6- مكتبة ملّى 248
7- مكتبة كنل.....248

1- المكتبة السليمانية SÜLEYMANIYA KTB

"أخبرني مسؤول في السليمانية أن هذه المكتبات لم تلحق بالسليمانية إلا في الأربع سنوات الأخيرة وذكر لي أن أيا صوفيا مثلا لم يمض على إلحاقه إلا سنة".

ومبناها في الأصل مدرستان ملحقتان بالمسجد السليماني الذي أسسه السلطان القانوني. وقد ألحقت بهذه المكتبة عدة مكتبات يصل مجموع فهارسها إلى ستة وخمسين. وبعض هذه الفهارس يشمل أكثر من مكتبة.

ينبغي الإشارة عند طلب الكتاب إلى اسم المكتبة الفرعية بالحروف اللاتينية.

ليس كل ما تضمه هذه الخزانة مخطوطا عربيا فبعض الكتب مطبوعة وبعضها باللغة التركية أو الفارسية.

1- **مكتبة أياصوفيا :AYASOFYA:** المؤسسة في 1250 هـ ويضم فهرسها 4906 مخطوطاً والفهرس مطبوع وغير مرقم في "كتب أدبيات".

4154- فاكهة الخلفاء ومفاكهة الطرفاء لإبن عرب شاه أحمد محمد الحنفي (النسخ متعددة) 145 ورقة من الحجم الكبير والحرف الدقيق.

ويضم عشرة أبواب هي:

1- في ذكر ملك العرب الذي كان لوضع الكتاب .
2- في حكم ملك الأتراك مع ختمة الزاهد شيخ النساك .
3- في وصايا ملك العجم المتميز على أقرانه بالفضل و الحكم.
4- في مباحث الإنسان مع العفريت جاني الجان .
5- في نوادر ملك السباع ونديميه أمير الثعالب وكبير الضباع .
6- في نوادر التيس المشرقي والكلب الافريقي (لافرنجي).
7- في ذكر القتال بين الأبطال الريبال وأبو دغفل سلطان الأفيال .

8- في حكم الأسد الزاهد وأمثال الجمال الزاهد.
9- في ذكر ملك الطير العقاب و الجملتين الناجيتين من العقاب .
10- في معاملة الأعداء والأصحاب وسياسة الرعايا و الأحباب ونكت وأخبار وتواريخ أخيار الأشرار.

4161 – تاج حلوائي في صناع الشعر لمحمد عصار تبريزي، مع رسالة في العروض ومع كتاب الوافي في تعداد القوافي "بالتركية".

4178 – القصائد الربانية والموشحات السلطانية : 39 ورقة .

4242 – مجموعة موشحات مع رسالة تركية لابن غرلة وغيره 37: ورقة الأولى.

4299 – مقامات الوهراني لركن الدين محمد بن محمد الوهراني المغربي به 202 ورقة حجم متوسط وحروف عريضة.

ألحقت بالفهرس فهارس صغيرة خاصة ب:

1- كتب متنوعة و مجاميع .
2- سعد الدين مبتغى
3- سلطان أحمد

3821 التذكرة السعدية في الأشعار العربية لمحمد بن عبد الرحمن العبيدي (ق 8) به 313 ورقة من الحجم المتوسط جمع فيه مختارات من شعر المتقدمين والجاهلين والمخضرمين كما يقول في مقدمته، وذكر فيها أنه سبق له جمع أشعار المحدثين في كتاب سماه " النزهة السعدية في الأشعار العربية وقد رتب المذكرة على 14 بابا 1-الحماسة والافتخار 2-الآدب والحكم والأمثال 3-النسيب 4-المدح والاستجداء والاستعطاف 5-المراثي 6-الهجاء 7-الاخوانيات 8-التهاني 9-الإعتذار 10-الصفات 11-المعاتبات والشكايات من الزمان والصبر 12-الحلم 13-الأشياء المتفرقة 14-الدعاء.

4017 روض الآداب لمحمد بن الحجازي (أنظر مذكرتي ابتداء من ص 34).

4331 نزهة المستأنس للزمخشري: هو نزهة المستأنس ونهزة المقتبس يشتمل على حكايات اللطف واشعار الظرف وأحاديث صحيحة وأقاويل فصيحة. وهو مرتب على اثنين تسعين بابا. لعل ربيع الأبرار أو مختار منه. يقع في 219 ورقة من الحجم الكبير.

2- رشيد افندي كتابخانة Resid Efendi فهرسها مخطوط رقمه 55 ويضم 1554 مخطوطا، 772 ديوان مغربي بالفارسي.

3- ولي الدين جار الله أفنديCorulloh Efendi مخطوط رقمه 52 ويضم 3318 مخطوطا .

4- سليمية Selimiya pestev posa فهرسها مطبوع رقمه 54 ويضم 655 مخطوطا وقد تاسست سنة 1331.

5- حكيم أوغلى علي باشا Hekim eglü Ali Paşa تأسست سنة 1145 فهرسها مطبوع رقمه53 ويضم 946 مخطوطا .

6- Denizli kitaplari فهرسها مضروب على الآلة الكاتبة بالتركية ويضم 441 مخطوط الفهرس غير مرقم.

7- شهزده سلطان محمد şchzade mehemed فهرسها مكتوب باليد ويضم 120 مخطوطاً رقمه 44 .

8- قره جلبي زاده حسام الدين karaGelebi zade Husameddin فهرسها ملحقة بالفهرس السابقة وتضم 262 مخطوطا .

9- قاضي زاده محمد Kadi zade mehemed فهرسها ملحق بالفهرسين السابقين ويضم 565 مخطوطاً.

10- tahirağatekkesikitaplari فهرس مضروب على الآلة الكاتبة بالتركية ويضم 775 مخطوطا ، رقم الفهرس 45.

11- Tirnovali فهرسها مخطوط ويضم 1871 مخطوطا رقمه 47 .

12- يني جامع سلطان أحمد خان ثالث حضر yanicomi فهرسها مطبوع يضم 1199 مخطوطا رقمه 48 في باب "التاريخ والسير".

851 الدر المنظم في مولد المعظم لابي عبد الله محمد اللخمي السبتي به 201 ورقة من الحجم الكبير وخط شرقي جميل رتبه على واحد وأربعين فصلا بعد مقدمة طويلة تحدث فيها عن البدع وكيف أن إحياء المولد بدعة مستحبة أولى بالمسلمين أن يقيموها من أن يشاركوا اليهود والنصارى مواليدهم وأعيادهم.

13- ترخان خديجة سلطان حضرت ... turhanhotice sultan فهرسها ملحق بالفهرس السابق ويضم 326 مخطوطاً .

14- شهيد علي باشا şehidalipaşa 1575 كتاب تثبيت دلائل نبوة سيدنا محمد ص للقاضي عبد الجبار 313 ورقة يصور للأستاذ إبراهيم الكتاني. الفهرس الموجود مصور عن نسخة خطية ويضم 2956 مخطوطا رقم الفهرس 43 .

2126 رفع الحجاب عند قراءة الكتاب لشهاب الدين أبو العباس أحمد بن يوسف المالكي الغرناطي الأندلسي وهو عبارة عن منظومة في التفريق بين الظاء والضاد واستعراض للكلمات المنطوقة بالظاء لمحمد بن جابر الأندلسي وبشرحها لأحمد بن يوسف المالكي، والكتاب في 81 ورقة .

15- سرويليSeruili فهرس مطبوع يضم 357 مخطوطا رقم الفهرس 41.

16- سليمانيةsüleyaniyeفهرس رقم 42 مطبوع يضم 1074مخطوطا .

852 عروض أندلسي لمحمد الأندلسي المعروف بأبي .... الأنصاري من ص 89 إلى 93

867 شرح عروض أندلسي : لم يشر للموشحات والأزجال..

17- عاشر أفندي Asir efendi فهرس مطبوع رقم 38 وهو من 1إلى 97 reis ülküttab يضم 1218 مخطوطا .

979 ديوان مغربي لأمير مغربي فارسي تعليق عربي.

808 ريحانة الادب لأبي الحسن علي بن موسى الأندلسي .

18- سيروز Serez فهرس مخطوط يضم 4064 مخطوطاً رقمه 40/1.

19- Pertevniyal (Voldecomir) فهرس مطبوع رقم 37 يضم 1055 مخطوطاً.

773 شرح عروض الأندلسي للقصيري.

20- فهرس رقم 49 مخطوط وفيه :

أ- Salihahotun بها 181 مخطوطاً

ب-Hoco- seyyid Efendiبها 15 مخطوطاً .

ت-Esad El perabendesi بها 60 مخطوطاً .

21- فهرس رقم 33 وهو مخطوط و يضم :

أ- ملاجلبيMollaÇelebiبه 144 مخطوطا.

ب-حافظ أحمد باشا Hofiz Ahmed Paşa بها 36 مخطوطا.

ت-Turhan vol de sultan ilav به 76 مخطوطا.

ث-خديوي إسماعيل باشا Hidio Ismail Paşa به 160 مخطوطا.

152 : كتاب الوشاح في اللغة لأبي زيد عبد الرحمن المغربي التادلي ثم المدني. العمري طبعة بولاق سنة 1281 واسمها "الوشاح وتثقيف الرماح في رد .... الصحاح" ورتبها على ترتيب أصلها وأدخل معها ما اخذ عليه من التصحيف مما ذكره السيوطي في المزهر ولم ينتقده المجد.

22- Sultan Ahmed : رقم الفهرس 34 وهو مخطوط وبه 107 مخطوطا.

23- فهرس رقم 36 مخطوط به :

- نافذ باشا Nanfizpaşa بها 1530مخطوطاً
- 955- رسالة عروض لإبي عبد الله الأندلسي
- زهري بله بها 642 مخطوطا .
- 269 ترجمة شرح الجدية في شرح رسالة لابن زيدون .
- 272 رحلة إبن بطوطة .

24- فهرس رقم 27 kora çelebizodehussameddinمطبوع به 353 مخطوطاً وملحق يضم 49 مخطوطة.

300 تحفة العروس لأبي محمد عبدالله التجاني البجائي المغربي به ملح أخبار النساء ومستظرف نوادرهن و اشعارهن وما يستحلى من اوصافهن وأخلاقهن وما يتعلق

بالنكاح ... يضم 197 ورقة توجد في Laleli نسخة من تحفة العروس رقمها 1688 ولكنها في 134 ورقة من الحجم الصغير وتوجد كذلك بهذه المكتبة نسخة من "أطياف الذهب على موائد الخطب" في 29 ورقة من الحجم المتوسط (انظر مكتبة متحف الاثار).

25- Kasidesi Zade Suleyman Sirri فهرس خطي رقمه 28 يضم 1080 مخطوطاً.

26- فهرس رقم 31 مطبوع وبه :

أ- MohmudPasa به 398 مخطوطاً.

ب- izmirmustafaefبه 111 مخطوطاً .

ت-RüstemPaşa به 186 مخطوطاً .

ث-YusufAga به 374 مخطوطاً .

27- فهرس رقم 32 مطبوع و به :

أ- Mehamed Murad Mehed به 262 مخطوطاً .

ب-GelibaluluTaherEf به 102 مخطوطاً

28- Laleli فهرس رقم 45 مطبوع (أسست المكتبة سنة 1217هـ) به 3864 مخطوطاً 1946عن المطرب الثعالبي به 124 ورقة بالخط العريض به 124ورقة بالخط العريض وهومختارات بيوت في الخط والبلاغة والربيع والليالي والغزل والخمريات وفنون مختلفة.

1980 عروض الأندلسي لمحمد المعروف 1983 من 39 إلى 68 شرح عروض أندلسي لعبد المجيد القيصري.

1687 به 42 ورقة من الحجم المتوسط كتاب مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام في اليقظة والمنام لمحمد ابن موسى بن النعمان المزالي الهنتاتي التلمساني مولدا والفاسي دارا.

29- Kodi zade burhaneddin فهرس رقم 26 خطي به 190 مخطوطاً.

30- فهرس رقم 25 إسماعيل حقي izmirli Ismail hakki سنة 1317 المطبعة المحمدية مصر فهرس مصور من نسخ خطية يضم 4309 مخطوطا .

2184 تاريخ سيف دي يزن أول .

2184 تاريخ سيف دي يزن ثاني طبع المطبعة الحمودية مصر. 1317في جلدية مجمع أجزائها 17 .

فهرس مصور عن نسخة خطية يضم 4209 مخطوطا.

2229 تاريخ أندلس لعبد الواحد التميمي المراكشي (وهي النسخة المطبوعة من المعجب).

31- ihsanmohvi خطي يضم 316 مخطوطاً رقمه 24 .

32- IydMehemed Efendi فهرس خطي رقمه 23 به 672 مخطوطاُ .

33- HuseyinKazini فهرس رقم 22 خطي به 451 مخطوطاً بها عشر ملاحق قصيرة.

34- Tekkeler فهرس رقم 21 وهو مخطوط يضم .

أ- Hosip El به 528 مخطوطاً

335 ديوان البرعي لعبد الرحيم البرعي (طبعة مصر 1300 هـ).

336 ديوان البرعي لعبد الرحيم البرعي (طبعة مصر 1303 هـ).

ت-Murad Buhari به 333 مخطوطاً.

65 جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد لمحمد بن سليمان المغربي :كتاب في الحديث من جزئيين الأول لابن أثير الجزري جمع فيه ما في تحريف وزيد بن معاوية للأصول الستة بابدال ابن ماجد بالموظا، والثاني لابي الحسن على بن سليمان الهيثمي جمع فيه ما في سند الإمام أحمد وابن ... الموصلي والبزار ومعاجم الفراء الثلاثة.

اما محمد بن سليمان المغربي فجمع ومختصر ،وهو مجلد ضخم جمع في 356 ورقة.

ث-Sazeli به 159 مخطوطاً.

ج- Ussaki به 57 مخطوطاً .

ح- SoipSenar به 61 مخطوطاً .

خ- IdoredemNabil به 23 مخطوطاً .

د- Teberruan به 204 مخطوطاً .....

35- Seyh Hasan Hayzi Ve Abdullah Efendi فهرس خطي رقمه 20 به 274 مخطوطاً .

36- فهرس رقم 15/4Haci Mohamed Efendi (yahya Efendi Dergolü) حاجي محمود افندي خطي به من رقم 5500 إلى 6372 وبداخله ملحق منفرد به من 6373 إلى 6552 .

6168 رسالة آداب البحث لمحمد سمرقندي.

6155 شرح رسالة آداب بها كثير من المخطوطات التركية .

37- فهرس رقم 15/3 HociMohmud Efendi (yahyaEfendidergolu) خطي به من 3944 إلى 5499 به كثير من التركي .

4818 رحلة ابن بطوطة.

38- فهرس رقم 15/2 HociMohmud Efendi (yahya Efendi dergolu) خطي به من رقم 1 إلى 6197.

3794 ديوانه محمد بن سليماني التلمساني ديوانه صغير مطبوع في مصر سنة 1308به 64 صفحة في مختلف الفنون.

39- فهرس رقم 15/1 HociMohmud Efendi (Yahya El Dergahi) خطي به من رقم 1 إلى 2197.

40- فهرس رقم 13 وهو مطبوع ومقسم إلى :

أ- Fatih أسست سنة 1100 تضم 5451 مخطوطاً.

3708 بهجة المجالس الابن عمر يوسف بن عبد البر الأندلسي(ج 1 به 209 ورقة بآخره أوراق غير واضحة بسبب شفافية الحبر من الصفحتين).

3726 ثمار القلوب في المصناف والمنسوب لابن منصور الثعالبي.

3898 رسالة في ذم العلوم ومدحها للجاحظ 33 بالخط العريض .

3909 الريحان والريعان لأبي القاسم محمد المواعيني ج 1 به 177 ورقة كذا في الفهرس وهو في الواقع الجزء الأول من "ريحان الألباب وريعان الشباب في مراتب الآداب" لعل جزءه الثاني موجود بالقاهرة .

4185 أزهارا لرياض في مناقب القاضي عياض للمقري.

4360 رافع الغبوش في فضائل رحلة الخبوش لعلي بن عبد الرؤوف ابن عبد الله الشهير بابن بطوطة (شرح بالتركية).

4399 سيرة ابن إسحاق .

4405 سيرة ابن إسحاق.

4406به ثلاث موشحات ابن المرحل .

3918 الجزء الأول من سجع الأرق المنتخبة "به ثلاثة موشحات لابن المرحل" في جميع الموشحات المنتخبة للسخاوي به 151 ورقة وقبلها 5 صفحات نقل فيها مقدمة دار الطراز. أما الجزء الثاني فمصور عندي من معهد المخطوطات العربية.

ب- Ibrahim Efendi به 879 مخطوطاً.

41- فهرس رقم 69 ويضم (وهو خطي).

أ- Herput بها 453 مخطوطاً .

ب-Giresun بها 166 مخطوطاً.

ت-Yozgat بها 908 مخطوطاً.

42- فهرس رقم 18 مطبوع ويضم:

أ- Honidye 1469 مخطوطاً .

ب-Lola ismail 750 مخطوطاً.

43- فهرس رقم 17 مطبوع يضم :

أ- Efendi Holet 838 مخطوطاً .

ب-Holet Efendi Mulhoki 254 مخطوطاً .

44- فهرس رقم 16 HociResid Bey veilavesi خطي به 113 مخطوطاً .

45- فهرس رقم 8 Domat ibrahimPaşa مطبوع به 1175 مخطوطاً.

سنة 949 رسائل أولها فضائل الأتراك كلها للجاحى ظ -مصورة- وتضم الرسالة الأولى وهي في فضل الأتراك 20 ورقة.

46- فهرس رقم 9 (DorulMesnevi (SryhMehled Murad مطبوع به 595 مخطوطاً .

47- فهرس رقم 12 مطبوع :

أ- SeyHülislamEsad Efendi به 188 مخطوطاً .

ب-Mehmed Aga Comü به 259 مخطوطاً .

48- فهرس رقم 10 مطبوع Baba Dügümlü به 619 مخطوطاً .

434 به قصائد التوسل (عبارة عن 16 صفحة مطبوعة بها عدد من القصائد المعربة الفصحى في التوسل بأسماء الله الحسنى والرسول عليه السلام).

531 تاريخ أندلس.

49- <u>فهرس رقم 14</u> : Dr Feyzulloh Posa خطى كتب طبية موزعة إلى قسمين :

أ- أحدهما افرنجي يضم 205 كتاب.

ب-والثاني تركي يضم 92 كتاب.

50 <u>فهرس رقم 1/11 مطبوع:</u> (Nabri büleşaf)Esad Efendi 3864 مخطوط .

سنة 2736 سلافة العصر في محاسبة أعياب العصر لعل صدر الدين ابن أحمد نظام الدين الحسني (طبع هذا الكتاب في مصر).

سنة 2867 العقيدة الأدبية في السبعة فنون المعنوية لمحمد رياض الحلبي 170 ورقة من الحجم المتوسط.

سنة 2905 المستطرف في كل فن مستظرف للأبشيهي مجلد ضخم .

<u>51 فهرس رقم 1</u> : خطي عبد الغني آغا به 284 مخطوطا aboulgoni aga

<u>52 فهرس رقم 5</u> مطبوع.

ت- Besir Aga: 574 مخطوطا.

من بداية الكون حتى سنة 6 هـ 454 تاريخ العيني لأحمد بن محمود العيني مجلدات ضخمة مرتبة على السنوات (ج 1) 704 ورقة.

من سنة 6 إلى 329 هـ 455 تاريخ العيني لأحمد بن محمود العيني (ج 2) 893 ورقة.

من سنة 330 إلى 620 هـ 456 تاريخ العيني لأحمد بن محمود العيني (ج 3) 786 ورقة.

من 621 إلى 724 ومن 725 إلى 850 هو جزآن 457 تاريخ العيني لأحمد بن محمود العيني (ج 4) 389 ورقة و341 ورقة.

(اسم الكتاب "عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان" للعلامة البرري العيني الحنفي 552 المستقصى في الأمثال لجار الله محمود بن عمر الزمخشري) .به هوامش مفيدة .

ث-Nurettin Aga 20 مخطوطا.

7- مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا للسيوطي.

53 فهرس رقم 4 Bagdatli Vehbi :خطى به 2242 مخطوطا.

1199 المعجب في تلخيص أخبار أهل المغرب.

1091 جذوة الاقتباس في من حل بمدينة فاس .

54 فهرس رقم 7 مطبوع : أسست سنة 1120 **Corlulu Ali Paşa.**

445 به مخطوطا.

365 شرح أبيات كتاب أساس البلاغة.

55 فهرس رقم 6 : **Celebi Abdullah Efendi** مطبوع: 409 كتابا.

56 فهرس رقم 3 خطى:

أ- Asari Codide 2159 مخطوطا 1220 إرشاد العباد إلى العزو والجهاد لابي البركات حافظ الموصلي.

ب- Gülnus volde sultan 140 مخطوطا.

ج- Hoşin Paşa 140 مخطوطا

57 فهرس رقم 48 مطبوع :

Yeni cami- 1199 مخطوطا .

هذا هو الفهرس الذي يحمل رقم 57 والذي سيعيد تسجيله تحت رقم ترتيبي 12و13، والرقم المحقق هو 48 .

58 فهرس رقم 2 مطبوع : المكتبة أسست سنة 1168

أ- Amca Huseyin Pasa- 458 مخطوطاً .

ب-Seyyid Nozif EL 86 مخطوطاً.

59 فهرس رقم 29 **kilic ali paşa** مطبوع به 1046 مخطوطاً.

60 فهرس رقم 49 **hasan Husnu Paşa** مطبوع به 1492 كتابا.

61 فهرس رقم 50 مطبوع يضم:

أ- Hozreti holid بها 187 مخطوطاً .

ب-خسروباشا hüsrev Paşa مؤسسة سنة 1655 بها 925 مخطوطاً.

ت-(Eyup) HAci beşir Aga بها 200 مخطوطاً .

62فهرس رقم 51 مطبوع:

أ- مهرشاه سلطان Mihrisah sultan أسست سنة 1210|به 446 مخطوطاً 387 سفينة الراغب ودفينة الطالب لما فيها من الجواهر والنفائس التي تز... على القلائد والعرايس لمحمد المدعو بالراغب. مجلد ضخم به 390 ورقة .

ب-إسمهان سلطان Ismihan Sultan أسست سنة 909 بها 431 مخطوطاً .

326 كتاب الطراز في الألغاز لإبن هشام .

هو الجزء الأخير من الأشباه والنظائر للسيوطي إذ جعل الفن الخامس هو فن الألغاز والمطارحات والمنتخبات و ...(وهو غير مرتب).

وهو جزء ضخم مكتوب بالحروف الدقيقة ويضم 184 ورقة.

2-مكتبة جامعة أسطنبول

لها فهرس مطبوع ويضم ثمانية وعشرين ألف مخطوط ما بين عربي وتركي وفارسي .

عنوانها بالتركي : **Istanbul Ünuversitesi Merkez Kütüphanes**

مكتبة جامعة إسطنبول وهي أصلا ا مكتبة لسلطان عبد الحميد يضاف AY للمخطوطات العربية.

5894 عروص لاحمد بن محمد بن عبد ربه من 8 ظ إلى 11 ظ يليها من 12 وحتى 14 فصل في أصناف بديع الشعر.

2937 في الرد على تحريم السماع لأحمد بن محمد الطوسي عشر ورقات كبيرة وبخط رقيق جداً.

455 في تكفير من يحرم السماع للطوسي 13 ورقة من الحجم المتوسط، مختصرة لفظا عدد 29.

يليها من الورقة 13 ط حتى 65 "رسالة حجة السماع للشيخ إسماعيل الأنقروي شارح المثنوي.

362 في تكفير من يحرم السماع لأحمد بن محمد الغزالي أخ صاحب الإحياء وهو بالضبط رقم 455 .

480 رسالة في آداب البحث والمناظرة لأحمد بن مصطفى في 12 ورقة من الحجم الصغير.

4355 مسالك الأبصار وممالك الأمصار للعمري (القسم للأندلسي) 186 ورقة .

2003 الأحاديث الملتقطة من كف الرعاع في تحريم اللهو والسماع لمحمد بن جمال الدين

هي ورقات "15" لخصها بل لخص فيها الشيخ حسين بن جمال الدين "كف الرعاع في تحريم اللهو والسماع" للحافظ ابن حجر المكي .

6413 رسالة في دائرة الحروف لخلف بن صالح المراكشي مجموع 6 في مجموع من ورقة 61 إلى 66 حجم متوسط وسطور ضيقة وحروف دقيقة .

1326 معايب النفس لأحمد زروق الفاسي .

هو مجموع ضخم به 180 ورقة بخط مغربي متوسط يضم :

1- منظومة لأحمد زروق في عيوب النفس 1 على 14و.
2- شرح الخروبي على هذه المنظومة 14ظ إلى 173و.
3- شرح زروق على الدمياطي من 173 ظ إلى 180 .

توجد بها نسخ متعددة من شفاء القاضي عياض كما توجد نسخ متعددة من دلائل الخيرات ومن كتب محي الدين بن عربي .

2955 التلخيص لمحمد بن سليمان المغربي : وهو تلخيص التلخيص به 104 ورقة من الحجم المتوسط بخط مشرقي جميل .

4804 مذكر الموارد بسيرة ماء العينين ذي الفوائد لمحمد بن ماء العينين ولده وهي منظومة في سيرته من الورقة رقم 1 إلى 19 أي 37 صفحة من الحجم الصغير.

3856 كتاب الإدراك للسان الأتراك محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي .97 ورقة من الحجم المتوسط بخط مشرقي جميل .

4361 القسطاس في علم العروص الزمخشري 26 ورقة من الحجم الصغير.

4245 مجمع الأمثال للزمخشري : مجموعة من الكلم النوابغ ، تقع في 18 ورقة من الحجم الصغير.

3797 رحلة العياشي ،حجم متوسط ،خط مغربي لا بأس به ،333 ورقة.

ـ لابد لطلب أي كتاب من هذه الخزانة أن يسجل بجانب الرقم المطلوب الحرفان A.Y وهما يرمزان إلى المخطوطات العربية.

ـ على الرغم من أن لهذه الخزانة فهرساً ضخماً مرتبا حسب الفنون مكتوبا بالحروف اللاتينية فقد رجعت إلى الجذاذات وهي مرتبة على نوعين أحدهما للمؤلفين حسب الترتيب الهجائي والثاني لأسماء الكتب على نفس الترتيب.

ـ قال العمري في أول ترجمة ابن قزمان:

"أديب مبرز ولبيب متحرر له تفنن في القريض وركوب لسائر بحور الأعاريض ولم يكتف بالمستعملات حتى ذلل صعاب المهملات واخترع أوزانا أخرى وابتدع مالا يعد نظما ولا نثراً إلا أنه موزون ظفر منه بدر مخزون ورد عند صدر محزون وإذا وقع على التلحين وقسم بها زمانه في كل حين يظهر من صرفه وموزونه وسالمه ومخبونه ".

الورقة 13

وأنظر في المسالك كذلك:

الورقة 85 وترجمة قصيرة لابي جعفر بن عطية .

الورقة 85 وترجمة قصيرة لأخيه ابن عقيل .

الورقة 86 وترجمة أبي الحسن عبد الملك بن عباس.

الورقة 89 وترجمة أبي بكر بن البنا .

الورقة 96 وترجمة أبي الحسن علي بن موسى بن سعيد.

إبتداء من الورقة 169 وذكر عددا من الخطباء المغاربة (حتى نهاية الكتاب وكلهم أندلسيون).

يقول في أول فصل **:" المختار إنه الشعر العربي على الوزن المخترع الخارج عن بحور شعر العرب، شعر لأنه حد الشعر قول موزون مقفى يدل على معنى بالوضع، فالقول وحده أعني الكلم هو الذي يقع به الاختلاف بيد العرب وغيرهم نوأما الثلاثة الأخر وهو المعنى والوزن والقافية فالأمر فيها على التساوي بين الأمم قاطبة ولهذا فإن لو عملنا قصيدا على قافية لم يقف بها أحد من الشعراء العرب واخترعنا معاني**

لم يسبقونا إليها كان ذلك شعرا عربيا بالاتفاق ،كيف وأن الوزن المخترع ليس أبعد من كلام العرب من مسائل اختراعها النحو،ولم تتكلم العرب بمثلها ، فليس غرضي حصر الأوزان فإن ذلك مما لا يضبط وإنما الغرض حصر الأوزان التي قالت عليها العرب أشعارها فحسب ." الورقة 3

3- مكتبةكوبريليKOPRÜLÜ

فهرسها مطبوع ويشمل :

1- KÖPRÜLÜ ZADE MEHMED P 1632 كتاباً .

1215 و 1216 الألف والباء لأبي الحجاج يوسف بن محمد الأندلسي مخطوطان من الحجم الكبير و" هو كتاب البلوي المعروف" .

1295 شذورالذهب لأبي الحسن علي بنقاسم الأندلسي وهي مجموعة من القصائد مرتبة قوافيها على حروف الهجاء .

1343 مختصر خريدة القصر وجريدة أهل العصر لعلي بن محمد المعروف برضائي الرومي في جزء متوسط وبه 251 ورقة .

1388 المستقصي من الأمثال للزمخشري 1880 ورقة من الحجم المتوسط وليس به هوامش.

1396 معيار النظار في علوم الاستشعار لعبد الله بن عبد الوهاب مخطوط في 206 ورقة من الحجم الصغير.

2- Fazil Ahmed Poşa 392 كتاباً .

257 الإمتاع في أحكام السماع لكمال الدين جعفر بن ثعلب الشافعي – قالب متوسط به 85 ورقة خط مشرقي.

266 ديوان شرف الدين إسماعيل بن المقري – مجلد ضخم مكتوب بخط مشرقي يضم 268 ورقة .

3- MEHMED HOZIM محمد عاصم بك : 732 كتاباً .

454 رسالة في العروض لمحمود بن خليل الأوستاري هي شرح للرسالة الأندلسية في بيان الأوزان العربية، وقد تقدمت في غير هذا الكتاب وهي 43 ورقة من الحجم الصغير سطور ضيقة وحروف دقيقة.

يقول المؤلف:

"وعلى الرغم من أن المكتبة مقفلة بسبب الإصلاحات الجارية فيها فقد وجدت تسهيلات من قيمها –وهو يتكلم بالعربية-الذي هيأ لي المخطوطات ومكان الاطلاع عليها ".

4- ولي الدين أفندى VELIYÜDDIN EF

3286 كتاب أسست سنة 1175 فهرسها مطبوع.

من 2374 حتى 2396 : عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان لبدرالدين محمود بن أحمد العيني ت سنة 855 في 24 جزءاً.

2638 المستقصى في الأمثال مع كتاب الأجناس للزمخشري.

2709 بحر المعارف في العروض والقوافي لمصطفى بن شعبان المعروف بالسروري ت سنة 969 هـ.

2711 شرح الرسالة الأندلسية المسمى بفهم الألمعي (عروص) لمحمود خليل الموسناي.

5- نورو عثمانيةNurosmaniye

فهرسها مطبوع ويضم 5075 كتـاباً .
من 3191 حتى 3197 الوافي بالوفيات للصفدي ت سنة 671 سبعة أجزاء .

اطلعت منه على الجزء الأول والآخر وهما من حجم متوسط ،بالأول 187 ورقة والثاني 197.

عدت مرة أخرى تصفحت بقية الأجزاء ولكن النظر فيها يحتاج إلى وقت طويل حتى يمكن استخراج ما قد يكون متصلا بتراث المغرب والأندلس.

3674 أسماء الشهور والأيام لعبد الرحمن بن عيسى ابن مرشد العمري .

يقع في 76 ورقة من الحجم الصغير وهو مرتب على هذه الأبواب:

1-في الشهر والهلال.
2-في أسماء الشهور العربية.
3-في أسماء أيام الأسبوع المعدودة.
4-الخاتمة وهي في كيفية استخراج غرة الشهر من الدائرة.

3757 ثمرات الأوراق في المحاضرات لتقي الدين أبي بكر بن علي المعروف بابن حجة الحموي ت سنة 838.

به 162 ورقة من الحجم المتوسط وهو عبارة عن نوادر ولطائف منقولة من مصادر مختلفة.
ويليها 32 ورقة أخرى في نفس الموضوع جمعت تحت عنوان **"هذا ما اعتنى بجمعه الشيخ الإمام العالم العلامة محمد بن السابعة الحموي الحنفي رضي الله عنه ".**

4249 و4250 المستقصي في الأمثال للزمخشري تقدم في السليمانية.

4308 قهوة الانشا لا بن حجة الحموي به 211 ورقة من الحجم الكبير قال في مقدمته:

" وبعد فإني ما أردت كتابي الإنشا هنا الا ليطيب المتأمل بتنقله من شطوط البحور إلى التنزه في رياض المنشور، ولم يفتقر إن كان من أهل الذوق إلى حسن توسل ويقابل كل بيت بقرينة صالحة وقد سميت هذه من نثرى قهوة الإنشا لينتشي بها صاحب الذوق السليم إن شاء".

وهو في الواقع جزآن بل ثلاثة:

الأول ينتهي عند الورقة 39 .

والثاني ينتهي عند الورقة 88 .

والثالث ينتهي عند الورقة 211 .

وهو عبارة عن رسائل ومكاتبات.

6-راغب باشا RogipPasaKtb

أسست سنة 1155 ولها فهرس مطبوع بها 1527 كتاباً وبها ملحق صغير يضم 114 كتاباً .

- 1158 المقامات الحصيبية مع شرحها هو كشكول يضم الحديث عدد من العلوم من الحجم الصغير يضم 259 ورقة .
- 1175 فرائد الخرائد من الأمثال للحوتي به 168 ورقة من الحجم المتوسط .
- 1115 روض الأداب للحجازي (أحمد بن محمد بن علي الحجازي).

الباب الخاص بالموشحات والأزجال من الورقة 175 إلى 222ظ.

الكتاب من الحجم المتوسط وبه 469 ورقة .

7- عاطف أفندي Atif Efendi

أسست سنة 1154 فهرسها مطبوع ويضم 2857 كتابا .

2050 دستور العمل في ضروب الأمثال للحريري(بالتركية والفارسية).

2125 زبدة الأمثال لمصطفى بن إبراهيم .

يقع في 61 ورقة من الحجم الصغير مرتب حسب الموضوعات وتحت نفس الرقم من الورقة 62 إلى 79 شرح قصيدة الأصمعي:

صوت صغير البلبل هيج قلبي الثمل

1998 أسعار الأسواق في أشعار الأشواق لمحمد بن أحمد السمنودي الشافعي جعل أربعين بابا كلها في الحب وما يتصل بهما به 170 ورقة من الحجم المتوسط جمع فيه كل مايتصل بالموضوع من أشعار وأخبار ونوادر.

8- مكتبة الحاج سليم أغاHoci Selim Aga

تأسست سنة 1197 لها فهرس مطبوع يضم 1281 كتاباً .

- 944 شرح قصيدة العروص لأبي عمر عثمان المعروف بابنه الصاحب المالكي (شرح قصيدة ابن الحاجب) في 54 ورقة من الحجم المتوسط يليها حتى الورقة 104 كتاب الكافي في علمي العروض والقوافي لمحمد الساوي.
- 955 شرح بديعية الحموي لابن حجة الحموي وهي المسماة أيضاً بخزانة الادب يقع في 324 ورقة من الحجم الكبير.
- 991 المستقصي في الأمثال للزمخشري.
- 1004 نوادر الأمثال لمحمد نقشبندي الطاشكندي.

1- أمير خواجة كمانكسيKemankes.

وهي مؤسسة سنة 1135 وتضم 698 كتاباً أكثرها تركي

436 تعليم المتعلم في طريقة التعلم

للإمام محمد بن برهان الدين الزرنوحي– كتاب مخطوط صغير الحجم يقع في 42 ورقة.

وهو فصول في ماهية العلم وفضله والنية في حال التعلم واختيار العلم والأستاذ والشريك والثبات وتعظيم العلم وأهله والجد والمواظبة والهمة وبداية ..... وقدره وترتيبه والتوكل ووقت التحصيل والنصيحة والاستفادة والأدب والورع في حالة التعلم وفيما يورث الحفظ ومايورث الحفظ وما يورث النسيان وما يجلب الرزق وما يمنع وما يزيد في العمر وما ينقص.

2- نوربانو سلطانة Nurbanu Sultan.

بها 157 كتابا .

3- يعقوب أغا yagub aga.

بها 31 كتابا .

468 شرح تعليم المتعلم لابن إسماعيل ت سنة 996.

كذلك ألحقت بمكتبة سليم أغا مكتبة HUDAI EFENDIهدائي .

فهرسها مخطوط وبه 1865 كتابا أغلبها بالتركية .

1454 كتاب التالد والطريف في فن التصحيف والتطريف للشيخ أحمد الجمالي مطبوع سنة 1299 في 33 ص من الحجم الصغير وهو اختصار لكتاب التالد والطريف في جناس التصحيف.

أورد فيه بعض اللطائف والنكات من مثل:

- كل عنب يغطيه الكرم إلا عنب الذئب: تصحيف كل عيب يغطيه الكرم إلا عيب الدين (منسوب لعلي بن أبي طالب).
- لابن سناء الملك :إِنَّكَ المخلوقُ في كَبد .وأَنا المخلوقُ في كَبَدِ.
- وعظ قاص جميل الصورة فقال القاضي الفاضل :يالها من عظة منعظة (بكسر الميم معروف برفعها من الإنعاظ وهو إنتصاب الذكر).
- ويل للمساكين ويل للمساكين (الأولى مسكين والثانية شديد البخل).

9- داما زادة قاضي عسكر محمد مراد dama zade kadi askermehmudmurad

تأسست سنة 1189 ولها فهرس مطبوع وبه 1836 كتاباً 1567 المستقصي للزمخشري .

ألحقت بهذه المكتبة وبفهرسها مكتبة الحاج حافظ محمد مراد وبها 154 كتابا .

كما الحقت بها مكتبة الحاج محمد عارف أفندي بن الحاج محمد مراد وبها 262 كتاباً ومكتبة مولانا طاهروبها 102 كتابا.

yazmaBagislar -10

فهرسها خطي وبالحروف اللاتينية وهي تضم 2180 كتاباً.

yabnordiller-11

فهرسها خطي وبالحروف اللاتينية وهي تضم 164 كتابا أغلبها كتب أجنبية وموسوعات ودائر معارف.

basmabagislar -12

فهرسها خطي وبالحروف اللاتينية وهي تضم 3878 كتابا .

13- مكتبة بايازيدbayazidumumiktb

أسست سنة 1300 وتضم 8054 كتاباً .

- ✓ 5542 العاطل الحالي لصفي الدين الحلى 241 ورقة من 15 إلى 90 أما الباقي فديوان الحلى.
- ✓ 5409 فاكهة الصيف لشهاب الدين واسمها بالكامل: فاكهة الصيف وانس الضيف لابن إسحاق برهلن الدين إبراهيم بن القاضي.

وهو فصول في الحكمة والبلاغة والفصاحة والاتفاقيات والأجوبة المسكتة وأخبار الصحابة وأحاديث نبوية وتاريخ العلماء العاملين والوزراء والشعراء وتاريخ الملوك وسلاطين ورجال الطريقة وأهل الحقيقة والنساء ومكرهن والصبر والشكر والفوائد والعجائب وفضائل القدس وقصائد و نوادر إلى غير ذلك وهو مجلد متوسط.

14 مكتبة قصر توبكابيTopkapi SaroyiKtb

وتضم :

1- مكتبة متحف توبكابي

لها عدة فهارس مطبوعة بالتركي لم أستطع الإطلاع عليها كلها لأن الإدارة بصدد طبع عدد منها وهي تضم :

1718 ديوان برهان الدين أبي الحسن على بن موسى بن أبي القاسم بن على الأنصاري الأندلسي .

به 53 ورقة من الحجم المتوسط مرتب على الحروف الهجائية.

2 -مكتبة أحمد الثالث: فهرسها مخطوط ويضم 4963 كتابا

فهرسها مخطوط ويضم 4963كتابا

- 2292 كتاب روضة (روض) الآداب للشهابي الحجازي به 248 ورقة من الحجم الكبير. وهو مختارات شعرية ونثرية مرتبة على خمسة أبواب وتحت كل باب عدة فصول، وقد خص الباب الثاني بالأزجال والموشحات وجعله فصلين.

1- الفصل الأول في الموشحات من 89 ظ إلى 107 ظ .

2- الفصل الثاني في الأزجال من 107 ظ إلى 112ظ.

- 2501 الأول من كتاب ألحان السواجع بين البادئ والمراجع
- 2358 الثاني من كتاب ألحان السواجع بين البادئ والمراجع عدد أوراقه 202 أما الأول فعدد أوراقه 211 من الحجم الكبير لصلاح الدين أبو الصفا خليل الصفدي.

والكتاب جمع فيه صاحبه ما دار بينه وبين أدباء عصره من مكاتبات ومطارحات أدبية. وقد رتب حسب الأدباء وعلى حروف المعجم. يذكر الاسم ثم يورد المراسلة.

وذكر في مقدمة كتابه أنه سبق له أن جمع قديما في الموضوع سماه "المجاراة والمجازاة".

- 2387 كتاب الصفى الحلى من الحجم المتوسط، وهو في الواقع:

أ- من الورقة 1 إلى 32 الأول من ديوان الحلى.

ب-ومن 33 حتى النهاية أي 195 كتاب المعجب المطرب لشمس الدين علي بن عبد الله الشافعي. وهو مرتب على ثمانية أبواب جمع فيها مختارات أدبية.

- 2610 كتاب نزهة العيون في أربع فنون، الفن الأول في مبدإ خلق السماء وما يتعلق بها ،الفن الثاني في مبدإ خلق الأرض وأحوالها، الفن الثالث في الحيوان وطبائعه ،الفن الرابع في النبات وخاصته ،تأليف جمال الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن يحيى بن علي الكتبي به 295 ورقة من الحجم الكبير.

تحدث عن البربر (الورقة 145 ط و).

تحدث عن افريقيا وما بها من مدن (من 168 ظ إلى 172ظ).

وبمكتبة أحمد الثالث تحت رقم 2333 يوجد ديوان أبي الربيع مسجلا باسم "كتاب منظومات" تحمل المخطوطة عنوان "ديوان شعر ولد عبد المؤمن بن علي سلطان المغرب".

به 52 ورقة ، يبدأ الديوان بل تبدأ مقدمته من الورقة 1ظ وينتهي في الورقة 52 و بعد سبعة أسطر.

وهو مكتوب بخط مغربي جيد مشكول في حجم متوسط حيث تحتوي كل صفحة على 17 سطرا.

15 مكتبة البلديةBelediyeKütüphonesi

لها فهرس مطبوع في جزءين ولكن أغلب كتبها مطبوع ومعروف.

- 1686 تدريس اللغات الشرقية بطريقة لنجوافون دكتور ج هيورث london1939

صادر عن liaguophoneinstitute وهو يعلم اللهجة المصرية.

- 1629 تعليم اللغة العربية على طريقة برليتزM Kanaat 1331 dersaadet.

به مقدمة بالتركية وأخرى بالعربية كتبها على سعاد وعبد العزيز جاوي فيها ضرورة استعمال طريقة العالم برليتز الألماني في تعلم اللغة العربية وتقتضي التعلم من طريقة المحاكاة والتقليد العادي مع مراعاة الفصاحة والإعراب طبقا للقواعد العربية.

- 230 تفضيل بين بلاغتي العرب والعجم لأبي أحمد العسكري
- M Cevaip 1302 Kostantaniye

هي رسالة صغيرة مطبوعة ضمن مجموعة من الرسائل والمقالات في موضوعات مختلفة.

- 655 أبو جهل القرن الرابع عشر أمير مكة
- M Hukuk 1334 DorülHilôk

كنت أود الاطلاع عليه ولكنه غير موجود وقالوا لي أنه ربما نقل إلى قسم الترميم والتجليد .

- 845 تمهيد بالعروض إلى فن العروض للشيخ طاهر بن صالح الجزائري.
- M vilayet 1304 Suriye .

بآخرها عروض الفرس وليس بها ذكر للموشحات والأزجال وغيرها من الفنون المستحدثة.

- 122 الرزنامة التونسية – محمد بن الخوجة.

- .Tunus 1323 Roid M

الرزنامة هي في الواقع تقويم أو دليل.

- 284/1-1,277 المدخل ابن الحاج الفاسي (أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري)هو المدخل المعروف .
- kenderiye 1291
- 465 النقود الإسلامية للمقريزي . 1298

Istanbul

وهي رسالة صغير من 19 صفحة جعلها ثلاث فصول :

1. فصل في النقود القديمة.
2. فصل في ذكر النقود الإسلامية.
3. فصل في نقود مصر.

16- مكتبة ملت (علي اميري افندنيك) Ali EmiriEf

1- فهرس مكتوب باليد يضم 4718 كتابا أغلبها مخطوط، وهو خاص ب AliEmiriEf

3279 تحفة الناصرية في الفنون الأدبية لأبي القاسم محمد الرشتي.

هو كتاب ضخم مطبوع في تركيا مقسم إلى عشرة أبواب جمع فيها مختارات شعرية وتحت كل بيت ترجمة بالتركية.

به 305 ورقات وكأنه مطبوع بالأوفيست لأن الحروف كأنها باليد وليس بالمطبعة.

22221 الموشحات – عبد الباقي بن العمري الموصلي.

به 21 ورقة من الحجم الصغير،يضم:

1-موشحة لعبد الباقي أفندي يمدح بها شيخ الإسلام أحمد عارف حكمت بك معارضا بها موشحا للسان الدين بن الخطب.

2- موشحة لأحمد أفندي يمدح بها والده

3 ـ موشحة لمحرره محمد فهمي العمري يمدح بها عبد الغني أفندي ... بغداد.

4 ـ موشحة لمحرره محمد فهمي العمري يمدح بها شريف بيك.

5ـ قصيدة لعبد الغفار الأخرس يمدح بها عبد الغني أفندي.

6ـتخميس لقصيدة للنابلسي .

7ـ تضم قصيدة أهل البيت.

8ـ تخميس لعبد الغفار أفندي على قصيدة عبد الباقي أفندي.

2- فيض الله أفندي Feyzullah Efendi.

فهرسها مكتوب باليد ويضم 2195 كتابا أغلبها مخطوط.

من 1609 إلى 1622: السفينة لأحمد مباركشاه.

راجعتها فوجدت أنه في :

ج 1: 1609 ابتداء من 255 يتحدث فيه عن الموشحات حتى 274 حيث ينقل عن دار الطراز. والمجلد كله يضم 278 ورقة من الحجم الصغير.

ج4: 1613 من الورقة 3 إلى 35: أزجال منها زجل لمحمد بن حسون الحلا (الورقة 25 ظ) .

أزجال منها زجل لمحمد بن حسون الحلا (الورقة 26 و) بل مطلع منها زجل لأبي بكر يحيى بن عمير(ظ) .

على الرغم من أن مبنى المكتبة في حال إصلاح ، فقد ساعدتني القيمة على إيجاد مكان داخل أحد المكاتب وأحضرت لي ما طلبت من مخطوطات، وهي تتكلم الفرنسية ولولا ذلك ما كنت لأتفاهم معها.

17- مكتبة مراد ملا (محمد مراد أفندي) Muradmollaktb

فهرسها مطبوع وبه 1845 كتابا.

1512 بهجة المجالس لابن عبد البر: نسخة أخرى من الجزء الأول من الكتاب بها 260 ورقة.

بهجة المجالس وأنس المجالس للإمام أبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري.

1567 المستقصى في الأمثال للزمخشري، هذه النسخة بها هوامش وتصحيحات مهمة بها 183 ورقة لعلها أقدم نسخ المستقصى.

18- مكتبة المعهد التركي:TürkiyatenstitüsüKtb

أكثر كتبها مطبوع، ليس لها فهرس خاص بالكتب العربية، بل ليس لها حتى فهرس عام وإنما يرجع إلى الجذاذات ، وهي مقسمة كما في سائر المكتبات الى جذاذات للمؤلفين مرتبة حسب الترتيب الهجائي، وأخرى للكتب تسير على نفس الترتيب، وكلها باللغة التركية.

من الكتب التي راجعت فيها Die Arabischen studien in Europa johann Fück Leipzig 1955.

19- مكتبة شمس باشا ŞemsiPaşaKtb

ذهبت إليها وسألت قيمها فذكر لي أن المكتبة لا تضم إلا المطبوعات التركية.

20- مكتبة متحف الآثار ArkeolojiMüsesiKtb

ليس لها فهرس سوى الجذاذات مرتبة حسب المؤلفين والموضوعات ومكتوبة بالتركية. وقد استعرضت جذاذات المخطوطات فوجدتها خليطا من التركي والعربي وهي في مجموعها حوالي الفي مخطوط.

وقد دخلتها بإذن مكتوب من مدير المتحف.

1198 أطباق الذهب (في الحكم والخطب) وهي مائة مقالة في الحكم والنصائح حملها صاحبها (مجهول الاسم) تقليدا لأطواق الذهب للزمخشري، وتلبية لرغبة أحمد بن محمود الجوني، وهي من الورقة 19ظ إلى 66 و. أما من الورقة الأولى حتى 19 فمقالات عددها اثنان وتسعون لم يذكر اسمها ولا مؤلفها ولعلها أطواق الذهب للزمخشري، والكتاب من الحجم الصغير.

ولكن انظر نسخة laleli رقم 1666 ...الكتاب لعبد المؤمن بن عبد الله الاصفهاني .

مكتبات بورصة: Bursa il holkktb

توجد في مدينة بورصة أربع مكتبات عمومية، وفي واحدة منها هي مكتبة أورخان جمعت كل المخطوطات سواء منها العربية أو التركية أو الفارسية وعددها 7352 مخطوطا موزعا كالآتي:

1- العربية: 5948

2- التركية 1051

3- الفارسية 353

وقد سجلت في فهرس خطي موزعة على هذه المكتبات:

1- **مكتبات أورخان Orhan:** وهي الأصل ثم الحقت بها خزائن أخرى.

1263 مجموعة أشعار.

1267 مجموعة أشعار متفرقة.

1383 نتائج الفنون ليحيى بن علي الشهير بتوعى زادة.

3216 مجموعة أدبيات (أشعار ورسائل وغيرها).

1268 مجموعة أشعار بها ورقات تضم نظما في مصطلح الحديث مبتورة، وأخرى في بعض النوازل والحكم وأحاديث ظهور المهدي.

هذه المخطوطات طلبتها ظنا مني أن يكون بها ما يهم، ولكن تبين أنها باللغة التركية .

2- **مكتبة خراجي أوغلو :Haraççi.**

983 : زبدة الأمثال.

نسخة شبيهة بالموجودة في عاطف أفندي، في 53 ورقة من الحجم الصغير. وفي آخر السطر من 54 إلى 82 كتاب صغير في التاريخ به نبذ من أخبار الرسول والصحابة والخلفاء حتى نهاية دولة الجراكسة.

1004 : كتاب العلم على حروف المعجم للشيخ أبي طاهر إبراهيم بن يحيى في مجلد من 147 ورقة : يتحدث عن الرؤيا وتعبيرها في أربعة عشر باباً.

1008 : عمدة المتلفظ في نظم كفاية المتحفظ لأبي عبد الله محمد الطبري، وهي أرجوزة لغوية في 51 ورقة من الحجم الصغير.

1043 :مجموعة موضوعات العلوم.

رسالة صغيرة في 15 ورقة استعرض فيها أنواع العلوم شارحاً فيها باختصار مقسما إياها إلى آلية يتوسل بها إلى تحصيل علوم أخرى، واعتقادية يقصد بها تحصيل نفسها، وعملية يراد بها العمل بمقتضاها.

3- حسيــن شلبــي :HuseyinÇelebi

871 :خريــدة الأصفهانــي :

جزء فيه ذكر عدة من شعراء بلاد الساحل يبدأ بالغزي وينتهي بابن رواحة الحموي ب 193 ورقة من الحجم الكبير.

902 : كتاب عماد البلاغة في أمثلة البراعة لعبد الرؤوف بن المناوي الحداوي : " يتضمن جملا من الأمثال الفائقة والاستعارات الرائعة التي استعملها الصدر الأول من المولدين المشهود لهم بالبلاغة والجزالة والتمكين ،اختصرت به ثمرات القلوب ورتبته على الحروف ."كما يقول في المقدمة.

به 70 ورقة من الحجم المتوسط. وفي نفس السفر من 71 حتى 102 المعشرات في مدح الرسول عليه السلام، من نظم أحمد بن حسين الشرواني. وهي كما بالمقدمة مائتان واحدى وتسعون قافية مرتبة على حروف التهجي كل عشرة أبيات منها على حرف إلا قافية اللام والألف فإنها إحدى عشرة ليكون وتراً .

وحتى الورقة 112 رسالة في العروض بالدوائر، وفي النهاية ورقتان بهما بعض الأشعار.

872 :الأمثال والحكم مع طرائف الطرف .

بل هو "طرائف الطرف" جمع محمود بن محمد البارع. وهو أحد عشر بابا بها مختارات من النظم والنثر في 70 ورقة من الحجم الكبير.

4- مكتبـــة قورشونلـــو :Kurşunlu.

5- مكتبـــة الجامـــع الكبيـــر :UluCami.

2671 : قراصنة الذهب في علم النمو والادب لأحمد التايب.

جعل مقدمة في العلوم، وهو مجموعة من المسائل اللغوية والنحوية ب 153 ورقة من الحجم المتوسط.

2803 : مجموعة متفرقة.

بها فوائد نحوية ولغوية لعلها كتاب واحد غير مرتب بها 188 ورقة.

6- مكتبـــة ملـــي : Milli .

7- مكتبـــة كنـــل:Genel.

744 : ديوان سيد محمد بن بابا = بالتركية، كنت أظنه لأحد الشناقطة.

237 : مجموعة أشعار = بالتركية كذلك.

الملحق رقم:2

جدول النسخ والتصوير

التصوير: JIRARI ABBES (FAS)

Suleymaniye ktb	الرقـــم	عدد الأوراق
1- Ayasofia	4178	39
	4243	37 الأولى
	4299	202
2- Fatih	3909	177
	3918	151
	3708	209
3- Es'ad Efendi	2867	170
	2736	18 الورقة الأخيرة
4- Shihid ali paşa	1575	313
5- Aşir El	808	76 ⟹ 112
6- Yeni Comü	851	201
7- Kara çelebri	300	197
Boyzid Umumi KTB	5542	241
Universite ktb	5894	8-14
	455	65
	4355	186
	4361	26

Millet Ktb 1- Ali Emir EP	3331	21
2- Feyzulloh EP	1609	255-278
	1612	3-35
Trpkapi SarayKtb 1- Ahmed III Ktb	2293	89-113
	2610	167-173 144-145-146
	2333	52
2450 **ورقة**		المجمـــــــوع

الملحق رقم :3

المكتبات وعناوينها باللغة التركية

- ✓ Şemsi posa Ktb

  ÜshüdorŞemsiPasa de

- ✓ Topkapi sarayi Ktb

  Topkapi Sarayi içinde (Library of Topkapi palace in the Topkapi palace Seroglio)

- ✓ Türkiyat enstitüsü Ktb

  Beyazit vezneciler Hasan Pasa Medresesi Tel :23626 (institute of Turcology)

- ✓ Universite Ktb

  Bayozit Süleymaniye cad Tel 22180 (Universitylibrary)

- ✓ Arkeoloji Müsesi Ktb

  Gülhone, orkesloji Müsesi linosi (Library of the archocological mueseum building Gühane park)

- ✓ Atif Ef Ktb

  Şehzadebaşi, Vefa cad N°44 (Atif Efendi library)

- ✓ Ayasofia ktb(ملحقة بالسليمانية)

  Sultanahmed Ayasofia Müsesi içinde (Hagia sophia Library in the hagia sophia Museum)

- ✓ Belediye Ktb

  Beyozit Meydai Tel 21259 (Municipal library, Beyozit square)

- ✓ Bayazid Umumi Ktb

  Beyazit imaset cod N°21 Tel 23167 (Bayazit Public library)(ملحقة بالسليمانية)

- ✓ Fatih camii Ktb

Fatih Kirmasti .camiyaninda (Library of the Fatihmosque)(ملحقة بالسليمانية)

- ✓ Hüsren pasa Ktb

  Eyüp Boston Iskelesi N°7 (Hüsren Pasa library)

- ✓ Koprülü Ktb

  Divanyolu cod N°131 (Koprülü library)

- ✓ Millet Ktb

  Fatih Macar Kandesler N°85 (Millet library Tel 12140)

- ✓ Murat Molla Ktb

  Fatih casşambaTevkü cofer Mh Murat Molla cod N°14 (Murat Mollalibrary)

- ✓ Nuruosmaniye Ktb

  Nuruosmaniye camü avlusu (Nuruosmanuye library in the rear coust yard of nuruosmany mosque)

- ✓ Ragib pasa Ktb

  Lôleli ordu cod N°225 (Ragip pasa library)

- ✓ Selim Aga Ktb

  Üskindar Atlomotosi cod N°21 (Selim Aġa Library)

- ✓ Süleymaniye Umumi Ktb

  Süleymaniye El maruf Mah.Ayse Kadim sok N° 35 Tel 20186 (Süleymaniye public library)

دليـــل مكتبـــات أسطنبـــول

Istanbul Kütüphaneleri Rehberi

Guide to the librairies of istanbul

M.Gökman

Bayazit Umumi Kütüohanes Müdürü

1954 Raşit Bütün Metbaasi – ist

الملحق رقم :4

الخريطة المؤدية إلى مسجد أيوب

بيد الرحالة عباس الجراري

مسعوفة أنه لهدوء الحركة بالخارج يذكر بأيام الأحد . وبعد قليل سأترك الفندق ، وقد نسيت أنه أصلي في جامع أيوب ، وسأحدثك عن ذلك فيما بعد ، وحتى ذلك الحين أتمنى لك يوما طيبا ومحظا .

الزيارة عشية

والطابع للمدينة

عزيزتي

لا أخفيك أني انزعجت حينما سرت في الشارع ولم أر أحدا من مظاهر العيد إلا تعطل الإدارة والأسواق وتعليق الرايات والأعلام وهروج الأطفال في أزياء جديدة . أما الأماكن مخصوصة والحركة راكدة وتكاد تخلو من السكان .

أخذت الحافلة إلى الجامع الذي كرمه والطريق إليه طويل ، فهو في ضاحية أيوب وتقع في أقصى شمال المدينة الغربي عند نهاية "قرن الذهب" ومشرف عليه .

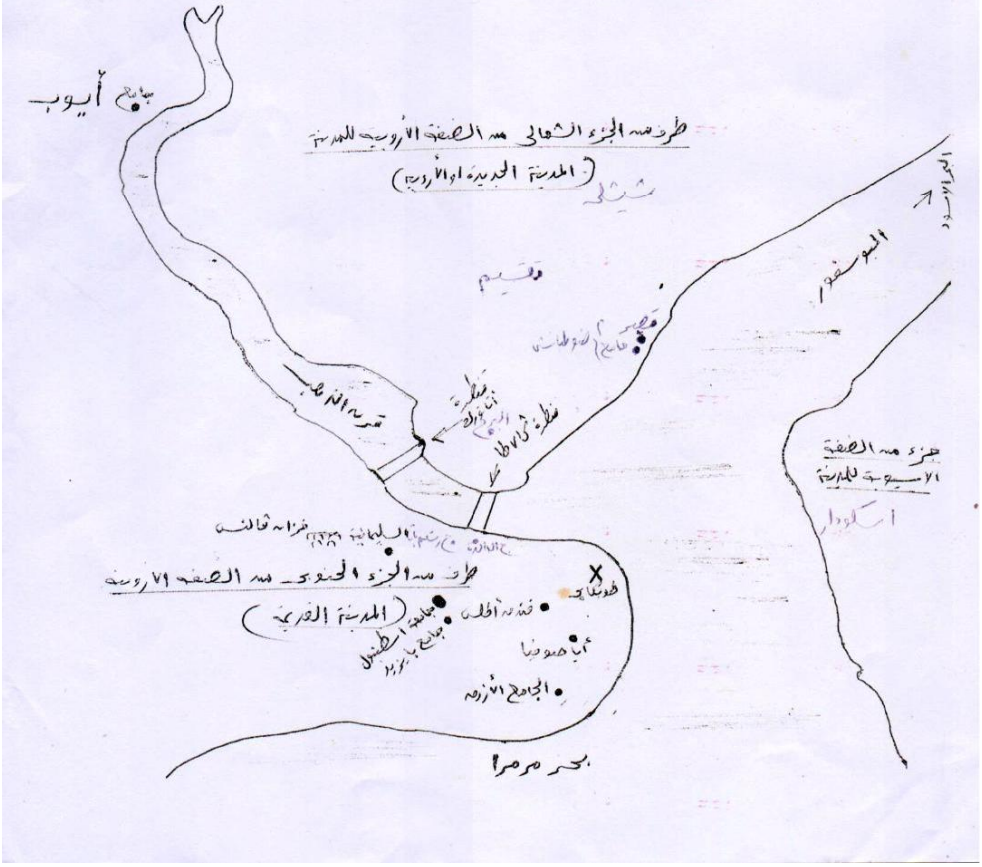

الملحق رقم :5

خريطة بورصة بيد الرحالة عباس الجراري

الطيور . وقد تم سفرنا منها على مرحلتين: الأولى بحرية حتى ميناء يالوفا استغرقت ساعتين وعشر دقائق حيث غادرت الباخرة اسطنبول في التاسعة وخمس دقائق صباحاً ووصلت إلى الميناء المذكور في الحادية عشرة وخمس دقائق ، علماً بأن سرعتها تقدر بـ ١٥ كيلو في الساعة . وقد كانت الجزيرة تبدو لنا من بعيد كأنها جزيرة واحدة ولكن عندما اقتربنا منها وجدنا أنها ثلاث جزر صغيرة متجاورة . أما المرحلة الثانية فبرية بواسطة السيارة وقد استغرقت ساعة ونصف . وعند وصول الباخرة كانت السيارة تنتظرنا لتقلنا إلى بورصة ، والمسافة إليها تقدر بـ ٣٥ كيلو متراً وقطعناها في أقل من ساعة ونصف على الرغم من أن الطريق صاعدة ومنحدرات كثيرة . وعلى الرغم من أن الطريق جبلي بسبب جبال الأولمب ، وهي سلسلة تارة وجبل آخر تارة أخرى ، إلا أنها كانت ممتعة بالأشجار الباسقة وأنواع من النباتات الخضراء . وكلما تقدم الإنسان عشرة أمتار في منحدرها ازداد شوقاً لأنها تكشف عن مناظر خلابة جميلة .

وعند وصولنا إلى بورصة في الواحدة والربع تناولنا الغداء سريعاً - وهو عبارة عن رغيف خبز مع قطع من الجبن أو شوربة - وسألت عن المكتبة العمومية فأشير علي بالذهاب فذهبت ، فإذا هي مغلقة ، وعلمت أن جميع مكتبات البلد تقفل يوم الثلاثاء . فكانت الصدمة خصوصاً وأني أخبرت أمس هناك من الباخرة بأنه سيتم إعلامي بالمكان على الأقل ما قدموا لي من إرشادات . ولكني لم أترك الوقت يضيع تماماً فركبت الحنطور وذهبت لزيارة بعض معالم المدينة التاريخية ، فذهبت أولاً لجامع الأولم Ulu camii وهو من أواخر القرن الرابع عشر على عهد السلطان بايزيد ومؤسسه الأول . وهذا ما أدرج الجامع الذي رأيت ، ويقولون أنه الوحيد الذي يصل عدد قبابه إلى العشرين . ويعتبر مجموعة كتابات ونقوش من أغنى مجموعات هذا النوع ، كما يعتبر منبره الخشبي غاية في الإتقان ، والعادة أن تكون المنابر من الرخام لا من الخشب ، ومع ذلك فمنبر هذا الجامع تحفة بديعة . وأهم ما لفت نظري هو وجود فسحة كبيرة وسط الجامع وتحت القبة الكبيرة ، وجدوها أمام الجامع صنبوراً للوضوء ، وقد أرسلت لي بطاقات تمثل هذه الفسحة وتبين محتوى الكتابات . وكنت أخبرت بوجود خزانة كتب ملحقة بهذا الجامع فسألت عنها فقيل لي انها نقلت للمكتبة العامة . وعند

الملحق رقم :6

ورود جزيرة الأمراء

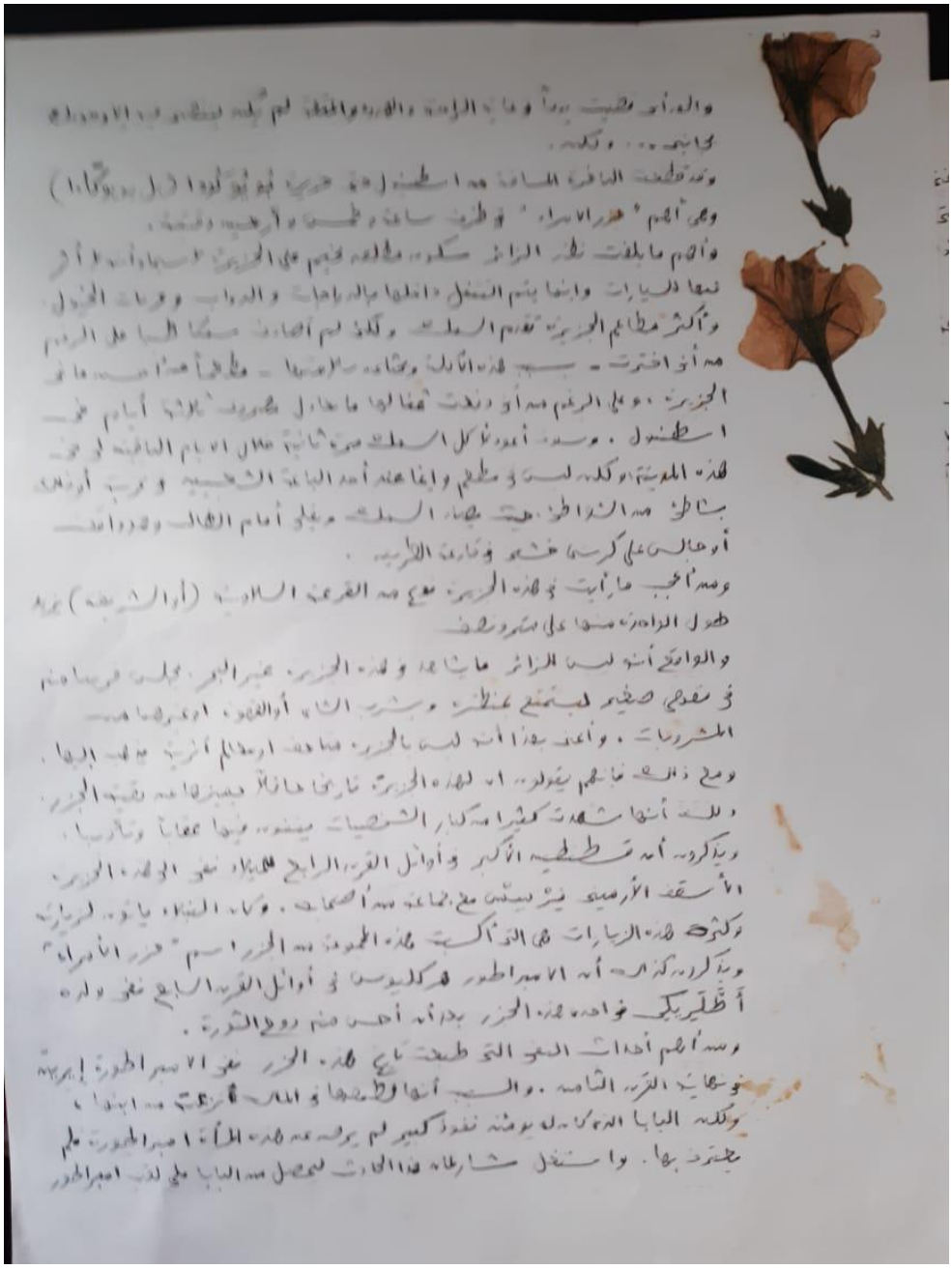

الملحق رقم :7

صور من رسائل الدكتور عباس الجراري التي خطها بعد أن جف قلمه:

"وأنا الآن مضطر للتوقف لأن القلم الناشف جف، فلجأت إلى قلم الحبر، وكان قد جف من قبل، فغمسته في الماء فتحرك فاترا كما ترين "

نموذج عثماني Kurusmaniye تظلل أشجار باسقة ، وترتفع عالياً حتى العقود إليه بعد سلم الدرج ، وعدد وقسم و شكل أقواس وقباب ونوافذه يميل إلى الفخامة الأوروبي ، وقد بدأ تأسيسه السلطان محمود الأول 1748 وأنهاه خليفته الثالث الذي افتتحه 1755 .

وفور دخول المحيطة بالجامع توجد مكتبة نور عثمانية ، وقد سمعت أنه توجد فيها بعض الوقت ، لكن توجد في جانب آخر من هذه الساحة دار الإفتاء .

وهذا الجامع في ذهني وكري لأنه أول جامع صليت فيه ، ولفت انتباهي أول يوم مررت به . أي في صباح آخر شهر يوليو ، سار جلدي بغلي يابس ، وكنت لي فيما بعد أن هذا التاريخ - وهو سبيل وثقيل الضغط عدة طبقات من الملابس - لا يرفع إلا في أوقات الصلاة حيث يكثر الداخلون ، أما في غيرها فيظل ويكلف دون أن يتمكن دخول الملابس أو الخروج . وغالبا ما يكون لون الحذاء أخضر أو بنيا ومزوقا بخطوط جلدية من لون آخر ، وغالبا كذلك ما تكتب عليه آيات كريمة تحظى تحتها دائما هذه العبارة " نوبة الامكان " ، وكأنه إيذان بذلك .

أما بعد هذا الجامع فلا تتبع الفقرة الإخطوات .

همية

قلت أو بعد أن تركت الفندق متجه إلى الفندق ، ولكني في الحقيقة لم أعد إليه مباشرة أو فوجئت خلال الطريق بالجو ينقلب فكفرا وه الريح تهب شديدة والتراب يعصف قويا والمطر يسيل فتهاطلا فالتجأت إلى أقرب مكان وهو مقهى شعبي يحتفظ وفناء الرصيف (الشيء) ويزدحم في الصيف الورود والطاولة والكراسي وغير ذلك من الأثاث . ولم أجد لي مكانا فاكتفيت بكرسي في جانب . فجاءني النادل أتفرج على حركاتهم وحيلهم وضحكاتهم الصافية . ومرت وقت طويل قبل أن يقف المطر وتأتي نفسه للصلاة في الجامع الأزرق . وكانه اقترب وقت المغرب . فتوجهت إليه على بعد المسافة . وفي طريقه الرجوع عاد المطر إلى النزول فآثرت الظل إلى الفندق فبالرغم أنه تنابلت خبزا بجبنه ولبنه فاطمة يطلقونه على أريانة بالتركية

وهكذا عزيزتي ومضت يوما آخر من أيام الغربة ، وبعد غد في مثل هذا الوقت إن شاء الله سأكون قد بدأت مرحلة جديدة أرجو أن تكون مثمرة ومفيدة . أما صباح الغد فسأذهب إلى مندوبية وزارة التعليم حيث المقر أساسا قصد الطرف الثاني من المنحة ، وللعلم سأجيء إجراءات آخر إلى سفارات السفر - ولعلي - رغم ضيق الوقت الباقي - لن أتأخر عن الالتقاء بك على هذه الصفحات . وأنا الآن منتظر للموقف لأنه التقلم الناشف جف مخابرات إلى قلم الحبر . وكانه جف من قبل . فلتكن

في الماء فتحرك فاترا مكاتبيه .

قالي لم ارسل الم أود لك فحسبنا أنه تكون قد تلقيت والصغيرتين يوما لهنا في أحضانه الآسرة الكريمة . فلأزفارها مني ألف تحية وسلام ولك انت وللصغيرتين الف قبلة وقبلة .

الإثنين 2-9-1968 / 9 جماد

حميدة العزيزة

ليس لي ما اكتب لك اليوم سوى أني أمضيت يوما جريا ولهثا من مكتب لآخر ومن إدارة لأخرى دون أن أستوفي الإجراءات اللازمة لقطع الشوط الباقي من الشهر . والذي آمل أن أنتهي منها صباح غد .

وما كان للإجراءات أن تطول وتتعقد لو لا سببان ، أولهما خلط وقع في الأوراق - على ما فهمت - خلقه مشكلا صعب على الموظفين حله ، وثانيهما غياب مندوب الوزارة في إجازة السنوية ، وكان سهلا لو جميع الملفات إلى حين أمر لسيارة المندوب تتعلق حيث يكون الأمر متعلقا بإدارة أخرى .

والوحيد الذي قضيت يوما في غايته لم يخف من الإحساس الوقت أمضيته مع الدكتور إحسان والأستاذ إسماعيل بعد الغداء .

والشغل الآن في طابعه الأخير أقوم لترتيب الحقائب وتنظيمها حتى أعادل الثقل . ولست أدري إذا كنت سأتمكن من مقابلتك غدا ، وإنه كنت أرجو ذلك خاصة وأني قررت ألا أبعث هذه الرسالة إلا من القاهرة .

مع قبلات كثيرة .

الثلاثاء 3-9-1968

4 بعد الظهر

حميدة العزيزة

كما أخبرتك أمس فقد أنهيت صباح اليوم بقية إجراءات القطع وكانت آخر مرحلة في إدارة للعواصم (أوكولار) مطبعة شيشلي ثم في الطابع الزراعي . وما أن انتهيت من هذا الشكل حتى أسرعت إلى السيارة حيث استقلت الميكروبيس وكان في نيتي أن أزور مصر ضوطيات Dolmo-bobige وكلفني ذلك ربع الغداء وحوالي بلغ بين الثلاثة والأخيرة واكتفيت بالبقاء هناك أتمام بالرطل المخزوم في كثير من الدقة والروية . ويقولون إن يطعم الواحد عجيبة من التعب

المصادر والمراجع

1. الكتب

ـ رحلة نسيم البوسفور ، د. عباس الجراري .

ـ الأجناس الأدبية ، إيف ستالوني ، ترجمة محمد الزكراوي ،مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى: 2014 .

ـ الأدب والغرابة، عبد الفتاح كيليطو، ، بيروت، دار الطليعة، الطبعة الثالثة ، 1997.

ـ الأدب العربي في الأندلس :عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، ط2 ، بيروت،1976 .

ـ أدبية الرحلة ، عبد الرحيم مودن ، دار الثقافة ،الدار البيضاء ،الطبعة الأولى 1996.

ـ الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه، عباس الجراري مطبعة النجاح الجديدة ،الدارالبيضاء، المغرب، الطبعة الثانية 1982.

ـ أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري ،فايز عبدالّنبي فلاح القيسي، دار البشير للنشر والتوزيع ،عمان ـ الأردن ، الطبعة الأولى : 1989

ـ أدب الرحلات ، فهيم محمد حسين ، سلسلة عالم المعرفة ،رقم 138، الكويت يونيو 1989.

ـ الانا الاخر، سلسلة شرفات العدد: 43، منشورات الزمن ـ المغرب 2014،ص:26

ـ البداية والنهاية، بن كثير ، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ، هجر للطباعة والنشر ، الطبعة الاولى 1998، ج:13.

ـ بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي ، حميد لحمداني،المركز الثقافي العربي، الطبعة : 3، سنة 2003 .
التأويل بين السيميائيات والتفكيكية ،أمبيرتو إيكو ،ترجمة وتقديم سعيد بن كراد ،المركز الثقافي العربي ، بيروت ـ لبنان ،الطبعة الثانية 2004.

ـ تتمة الأعلام للزركلي ، محمد خير رمضان يوسف ،دار ابن حزم ،الطبعة الثانية 2003

ـ تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، قدم له وحققه :الشيخ محمد عبد المنعم العريان ،راجعه وأعد فهارسه :الأستاذ مصطفى القصاص، دار إحياء العلوم ، الطبعة الأولى :1987 ، ج:1 ، ص 357 .

ـ التحليق إلى البيت العتيق ،د. عبد الهادي التازي ،الكتاب الأول إصدارات الدارة: 116،الطبعة الأولى .1422

ـ الترجمانة الكبرى في اخبار المعمور برا وبحرا ،ابو القاسم الزياني ،حققه وعلق عليه عبد الكريم الفيلالي طبعة 1991 ،دار المعرفة للنشر والتوزيع.

التراجم والسير ،محمد عبد الغني حسن ،دار المعارف ،الطبعة الثالثة 1980، القاهرة.
جماليات المكان،غاستون باشلار، ترجمة غالب هلسا،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشروالتوزيع، بيروت- لبنان، ط1984 .

ـ جواهر الأدب في أدبيات وانشاء لغة العرب ،السيد أحمد الهاشمي ،المكتبة التجارية الكبرى ، مصر الطبعة 27 ، سنة 1969 ج: 1.

ـ الحكاية والتأويل ـ دراسات في السرد العربي ـ ،عبد الفتاح كليطو ، دار توبقال للنشر،الدار البيضاء ،الطبعة الثانية ، 1997.

ــ خزانة الأدب وغاية الأرب، تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي الأزراري، تحقيق عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال – بيروت،الطبعة الأولى ،1987 ،ج1.

ـ دينامية النص الأدبي، تنظير وإنجاز، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء /بيروت، الطبعة الأولى، 1990.

ـ ديوان المتنبي ، عبد الرحمن البرقوقي ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، 2014.

ـ ديوان ابن الوردي، تحقيق عبد الحميد هنداوي ،دار الآفاق العربية ،الطبعة الأولى 2006.

ـ ربيع الأبرار ونصوص الأخبار ، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ،تحقيق عبد الأمير مهنا ، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت ،لبنان الطبعة الاولى ،1992 ج:3.

ـ الرجل الصنم مصطفى كمال أتاتورك ،حياة رجل ودولة ،ت عبد الله عبد الرحمن،الأهلية للنشرو التوزيع،الطبعة الأولى 2013.

ـ رحلة المكناسي إحراز المحلى والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب محمد بن عبد الوهاب المكناسي ,حققها وقدم لها محمد بو كبوط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، الطبعة الأولى :2003

ـ الرحلة المشرقية لمحمد بن يحيى الصقلي دراسة وتخريج د مصطفى الغاشي ، مؤسسة الانتشار العربي ، الطبعة الأولى2015

ـ الرحلة في الأدب العربي ، شعيب حليفي ، التجنس آليات الكتابة ،خطاب المتخيل ، الهيئة العامة لفصول الثقافة ،أبريل 2002.

ـ الرحلة المغربية ،أبو عبدالله العبدري تحقيق د. علي إبراهيم كردي ،دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ، 2005.

ـ الرحلة العياشية عبد الله بن محمد العياشي ، حققها وقدم لها د سعيد الفاضلي ـ د سليمان القرشي ،دار السويدي للنشر والتوزيع ، الامارات العربية المتحدة ، الطبعة الأولى 2006.

الرحلة عين الجغرافية المبصرة ،صلاح الدين الشامي،منشأة المعارف ،الطبعة الثانية 1999 .

ـ رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة، تحقيق الدكتور سامي الدهان، مطبوعات المجمع العلمي العربي دمشق ،طبعة 1959،ص:89.

ـ رسائل إلى العائلة ، انطون تشيخوف ، ترجمة ياسر شعبان ،وزارة الثقافة والفنون والتراث، قطر، كتاب الدوحة42 ، نونبر 2014.

ـ رسائل إلى فيرا ،فلاديمير نابوكوف،اختارها وترجم لها وقدمها د عبد الستار الأسدي، الطبعة الأولى 2018 ، بيروت ،لبنان.

ـ الرسائل الفنية في العصرالعباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، محمد الدروبي دار الفكرللطباعة والنشر والتوزيع.

ـ الرسائل محمود درويش وسميح القاسم، دار العودة بيروت1990.

ـ السنن ابن ماجة القزويني ، باب النكاح ،حققه : شعيب أرناؤوط ـ محمد كامل قرة بلي ـ أحمد برهوم ، دار الرسالة العالمية ,الطبعة الأولى 2009،ج: 3.

ـ السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي، فيليب لوجون ، ترجمة وتقديم عمر حلي ، المركز الثقافي العربي ،الطبعة الأولى 1994.

ـ السيرة الذاتية جورج ماي تعريب د محمد القاضي ود عبد الله صولة رؤية للنشر والتوزيع 2017 الطبعة الأولى.

ـ السيرة الذاتية في الأدب السعودي، عبد الله الحيدري ، دار طويق للنشر والتوزيع ،الطبعة الثانية 2003

ـ السيرة تاريخ وفن ،ماهر حسن فهمي ،دار القلم 1983، الطبعة الثانية

ـ صبح الأعشي صناعة الإنشا، القلقشندي،ج1،دارالكتب لمصرية،القاهرة،1340هـ،1922م

ـ صحيح البخاري الامام ابو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري،الطبعة الاولى 2002 دار ابن كثير دمشق لبنان.

ـــــ كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، أبو هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي

ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، طبعة 1406هـ/1986م.

ـ عباس الجراري شاعرا، إعداد وتنسيق وتقديم محمد احميدة ، دار ابي رقراق للطباعة والنشر ،الرباط، منشورات النادي الجراري رقم 79 طبعة :2018.

ـالعنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي، محمد فكري الجزار، الهيئة المصرية العامة للكتاب مصر، بدون طبعة ،1998.

ـ العقد الفريد ، ابن عبد ربه الأندلسي ،دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، 1404 ج:2.

ـ غربة الراعي، سيرة ذاتية ، إحسان عباس دار الشروق للنشر والتوزيع ،الطبعة الأولى ، 2006.

ـ القصيدة : الزجل في المغرب مطبعة الأمنية 1970.

كلمات تقديم ،عباس الجراري ، جمع وتقديم: حميدة الصائغ الجراري ، ،الجزء الأول، ،منشورات النادي الجراري رقم :34،الطبعة الأولى 2016، مطبعة الأمنية – الرباط.

ـ الكلام والخبر: مقدمة للسرد العربي ، سعيد يقطين ، المركز الثقافي العربي ، البيضاء / بيروت ، الطبعة الأولى ،1997.

ـ المذكرات في الأدب المغربي : هذه مذكراتي لعبد الله الجراري، تحقيق ودراسة : د. مصطفى الجوهري ، الدراسة ، منشورات النادي الجراري رقم 60 ، مطبعة دار ابي رقراق ـ الرباط.

ـ مجمع الأمثال ، أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة – بيروت ،ج:2.

ـ المعجم الأدبي ، جبور عبد النور ، دار العلم للملايين ، بيروت ،الطبعة الثانية 1984
ـ معلمة المغرب"، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر ، مطابع سلا 1989 ، ج: 7.

ـ من ديوان عباس الجراري ،الجزء الأول ،إعداد وتقديم محمد حميدة ،دار ابي رقراق للطباعة والنشر ،الرباط، منشورات النادي الجراري رقم:73 ، الطبعة الأولى :2017.

ـ مع المعاصرين أسماء وآثار في الذاكرة وفي القلب،" عباس الجراري، جمع خديجة العسري، منشورات النادي الجراري رقم :82، الطبعة الاولى 2019، ج: 4.

ـ مناديل وقضبان : رسائل السجن ، جمعها وبوبها ثريا السقاط ، دار النشر المغربية ، الدار البيضاء ، المغرب ،الطبعة الاولى 1988 .

ـ من العمل الى النص ، رولان بارث ،ترجمة محمد خير البقاعي ، ضمن سلسلة دراسات في التناص والتناصية ،مركز الانماء الحضاري ، حلب ، سورية ، الطبعة الأولى1998.

ـ مفهوم الأدب ودراسات أخرى ،سفيتان تودوروف، ترجمة عبود كاسوحة ، سلسلة الدراسات الأدبية ، منشورات وزارة الثقافة سورية ،دمشق ـسوريا .

ـ المقامات ، عبد الفتاح كليطو، ترجمة : عبد الكبير الشرقاوي ، دار توبقال ،1993

ـ مقدمة ابن خلدون العلامة ولي الدين بن محمد عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون تحقيق عبد الله بن محمد الدرويش ، دار البلخي، دمشق ، الطبعة الأولى 2004 ، ج: 2 .

ـ مقدّمات في نظريَّة الأنواع الأدبيَّة، رشيد يحياوي، افريقيا الشرق ، الدار البيضاء المغرب ،الطبعة الثانية 1994.

ـ المرأة والسرد ، محمد معتصم ،دار الثقافة للنشر والتوزيع ،الطبعة الأولى2004 .

ـ النثرالعربي وفنون الكتابة:أبوالرب توفيق :،ط2،دار الأمل، إربد، د.ت

ـ نثر أبي العلاءالمعري ، دراسة فنية ، صلاح رزق ، دار الثقافة العربية ،1985.

ـ نظرية النص ،رولان بارث ، ترجمة محمد خير البقاعي ، ضمن سلسلة دراسات في التناص والتناصية ،مركز الانماء الحضاري ، حلب ، سورية ، الطبعة الأولى1998

ـ النفحة المسكية في السفارة التركية ، علي بن محمد التمكروتي ،تقديم وتحقيق :عبد اللطيف الشادلي ، المطبعة الملكية الرباط، 2002 ،ص:20 .

ـ نقد النثر، قدامة بن جعفر ،دارالكتب العلمية ، بيروت ، ط 1، لبنان1982 .

ـ فلسفة المكان في الشعر العربي قراءة موضوعاتية ،حبيب مونسي، منشورات اتحاد الكتاب العرب ،د ط 2001،دمشق ـ سوريا ،ص :20

ـ الهوامل والشوامل، التوحيدي ومسكويه ،تحقيق احمد امين والسيد احمد صقر،لجنة التأليف والترجمة والنشر،القاهرة1951.

ـ اليوميات (مختارات)، أنابيس نن،ترجمة لطفية الدليمي، دار المدى للثقافة والنشر ،بيروت ـ لبنان ، الطبعة الأولى 2013.

2. المجلات

ـ "السرد والحوار ، حميد الحميداني" ،مجلة دراسات سيميائية وأدبية ولسانية ،العدد3، 1988،المغرب.

ـ "تيمة السفر في النص السردي القديم"،شعيب حليفي" ،مجلة فصول،المجلدالثالث عشر،العدد الثالث،عام1994 .

ـ "كتابة الماضي بالمضارع تأملات في السيرة الذاتية" ، رشيد بنجدو، مجلة علامات في النقد ، الجزء 23 ،المجلد 6، مارس 2007.

ـ الصورة الغربية في الذاكرة الشرقية ،الصورة الشرقية في الذاكرة الغربية ،سعيذعلوش، مجلة الثقافة الأجنبية (محور الرحلات)بغداد ـ العراق ، السنة التاسعة، العدد الثالث ،1989

ـ الذات والعالم... نحوَ تقعيد لكتابة اليوميات ،لحسن أحمامة ،مجلة الفيصل ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، مايو 2019.

3. رسائل جامعية

الأستاذ أحمد الطريسي أعراب ، نوقشت بكلية الآداب بالرباط عام.1995 ـ مستويات السرد في الرحلة المغربية خلال القرن التاسع عشر، رسالة دكتوراه تحت إشراف الأستاذ أحمد الطريسي أعراب ، نوقشت بكلية الآداب بالرباط عام.1995

- المحتمل في الرحلة العربية الى إلى أوروبا وامريكا والاتحاد السوفياتي خلال القرنين التاسع عشر والعشرين ، عبد النبي ذاكر ، رسالة دكتوراه تحت إشراف الأستاذ سعيد علوش ، نوقشت بكلية الآداب باكادير عام 1998.

4. مواقع الكترونية :

- موقع الدكتور عباس الجراري .www.abbesjirari.com ://

- موقع المكتبة الشاملة89/http ://shamela.ws/index.php/author-
- موقع دائرة المعارف الفلسطينية ، موسوعة الأعلام ، زياد أبو لبن 2009 . .https://ency.najah.edu/node/155

[1]- مقال تحت عنوان علي أحمد باكثير وفن اليوميات ،مسعود عمشوش ، الموقع الالكتروني https://www.mahaarat.com/

4. مراجع أجنبية

-Dostïevski, Correspondance, Ed. Bartillat, 2000 ; Image : © D.R-|

-Lettres à sa femme, de Léon Tolstoï Rivages poche, 171 p08/02/2012 Léon et Sofia

الفهرست

- تقديم بقلم الدكتور عباس الجراري.....ص: ز
- مقـــــــــــــــــــدمة .....ص: 3
- تمـــــــهـــــــــــيـــــــد.....ص:7

الفصل الأول : نسيم البوسفور وتشظي الجنس الأدبي : الأجناس المتعايش....ص:13

المبحث الأول:- ملامح الرحلة ومحكي السفر.....ص: 15

المبحث الثاني: الرسالة وتحـــبير الخطابات.....ص: 55

المبحث الثالث : المحكي عن الذات :اليـــــوميات .....ص: 79

الفصل الثاني : رحلة نسيم البوسفور وتعالق الأجناس.....ص: 96

الفصل الثالث : الأنـــــا و صورة الآخـــــر في نسيم البوسفور.....ص: 107

المبحث الأول : الملاحظات .....ص: 109

المبحث الثاني : المقارنات.....ص: 117

المبحث الثالث: الآخر في ميزان النقد.....ص: 123

الخاتمة ص:129

نص رحلة نسيم البوسفور .....ص: 133

الملاحق :.....ص: 203

- الملحق الاول : دليل مكتبات اسطنبول وبورصة .....ص: :205
- الملحق الثاني :جدول النسخ والتصوير .....ص: 249

- الملحق الثالث : المكتبات وعناوينها باللغة التركية ص:253
- الملحق الرابع : الخريطة المؤدية إلى مسجد أيوب بيد الرحالة عباس الجراري..... ص:259
- الملحق الخامس: خريطة بورصة بيد الرحالة عباس الجراري.....ص:263
- الملحق السادس: ورود جزيرة الأمراء.....ص: 267
- الملحق السابع: صور من رسائل الدكتور عباس الجراري التي خطها بعد أن جف قلمه:.....ص:271
المصادر والمراجع : .....ص: 275
الفهرست ص:283